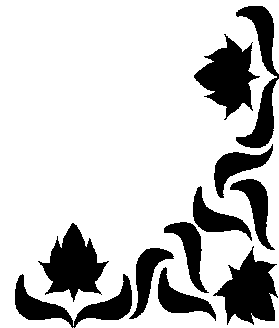
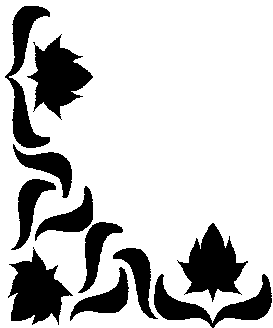


عبدالله أحمد اليوسف

فلسفة الفكر الإسلامي

قراءة جديدة لأهم الأصول الفكرية في الإسلام



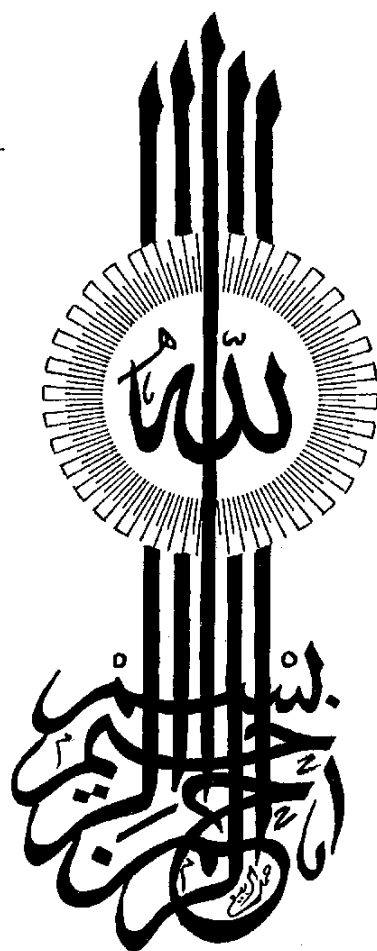
فلسفة الفكر الإسلامي

قراءة جديدة لأهم الأصول الفكرية في الإسلام

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾

سورة إبراهيم ٢٤ - ٢٧

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
محمد وآله الطيبين الطاهرين.. وبعد:

إن عملية «البناء الفكري» بجميع أبعاده وأسس وقواعده يمثل
الأرضية الصلبة لبناء الإنسان، ويتباين هذا البناء تبعاً للمدرسة الفكرية
التي ينتمي إليها الأفراد والمجتمعات، وفي كل الأحوال لا يستطيع أحدنا
إلا أن يكون مؤمناً بمجموعة من الأفكار التي تشكل مجموعها «الإطار
الفكري» للشخصية، والذي من خلاله يستوحي «الإنسان» قناعاته
وتصرفاته وسلوكه، بل وحتى فلسفته في الحياة.

وبنظرة متأملة إلى واقعنا المعاصر نجد أن كل الأديان والمذاهب
والتيارات والمدارس الفكرية تسعى جاهدة إلى تقديم مناهجها الفكرية
إلى أتباعها في عملية الهدف منها تنمية البعد الفكري لدى المنتمين
إليها، مما يوحي بأهمية «البناء الفكري» كأساس لأي بناء شامل
للشخصية والمجتمع والأمة ومن ثم الحضارة.

وفي زمن أصبح فيه التطور والتغير إحدى سماته الأساسية، إذ أن كل
شيء أضحى يتغير ويتبدل بسرعة فائقة، علينا أن نتعرف على ثوابتنا
الفكرية والثقافية التي لا تقبل التغير والتبدل، كما يجب أن لا نغفل عن

المتغيرات في منظومتنا الفكرية والثقافية، وعندما نتعرف على الثوابت والمتغيرات نستطيع المحافظة على المبادئ والقيم التي نؤمن بها ونقدسها.

وتكمن المشكلة عندما تختلط الأوراق، فنعتبر الثوابت متغيرات، والمتغيرات ثوابت، أو عندما نعتقد أن كل منظومتنا الفكرية هي ثوابت، أو أنها قابلة للتغير بأجمعها، عندئذ سنكون ضحية الفهم المعكوس، وستحمل الأمة نتائج هذا التحليل الخاطئ.

إننا في عالم تتصارع فيه الأفكار بشدة وقوة متناهية، فقد أصبحت المعركة اليوم سلاحها المعتقدات والأفكار والفلسفات والاجتهادات والتأملات المختلفة، مما يستدعي مضاعفة الجهود، واستثمار كل الفرص، وتجنيد كل الإمكانيات، وتجميع كل الطاقات، في سبيل مواجهة حرب الأفكار والمعتقدات والمفاهيم التي تشن ضد أفكارنا وعقائدنا وفلسفتنا.

إن الإسلام في هذا الزمن بحاجة ماسة إلى دعاة يتقنون ويحسنون عرض أفكاره ومبادئه وقيمه ومثله بأسلوب جذاب وشيق ومقنع ومنطقي.

وها هو الغرب اليوم يبشر الآخرين بصلاحيه أفكاره للحياة، وبأشكال مختلفة، مستفيدا من كل الوسائل التقنية والتكنولوجية والعلمية، فها هي قنواته التلفزيونية والإذاعية تدخل بيوتنا بدون استئذان من أحد، وتسلب على أدمغتنا وعقولنا، تبشر بأفكارها ومعتقداتها وفلسفتها للحياة، مما يستوجب علينا -نحن المسلمين- أن ندير المعركة الفكرية بذكاء وإرادة وحكمة ومنطق دقيق، كي نتمكن ليس فقط من الدفاع عن عقيدتنا وفكرنا وفلسفتنا، وإنما أيضا كي نتمكن من الوصول إلى العالم -كل العالم- فعقيدتنا لكل الناس، وديننا لكل زمان ومكان.

وكل ما نحتاجه هو عرض الإسلام بصورة صحيحة ودقيقة ومنطقية، كي نستطيع إقناع الآخرين بصحة ما نؤمن به من معتقدات وأفكار ورؤى ومفاهيم، والاستفادة من كل الوسائل القديمة منها والحديثة لتبليغ الدعوة الإسلامية، ونشر المبادئ والقيم، وغرس المعتقدات الدينية في عقول كل الأجيال.

وهذا الكتاب - عزيزي القارئ - ما هو إلا محاولة مخلصة لتوضيح بعض المفاهيم والأفكار والرؤى في البعد العقدي والتشريعي والميتافيزيقي بهدف تنمية «البناء الفكري» في المجتمع المسلم، وكذلك تعريف الأجيال الحاضرة والقادمة بالأصول الفكرية للإسلام، وتوضيح الأبعاد الفلسفية للفكر الإسلامي الأصيل، كما يهدف هذا الكتاب إلى بناء «وعي وقائي» يحمي الفرد من الإصابة بفقدان الثقة بالذات، واستعارة عقول الغير، ويحافظ في الوقت نفسه على الاعتداد بالنفس، والنهل من نبع التراث والأصالة، مع الاستفادة من روح العصر ومنجزاته الحضارية.

وختاماً... أتمنى أن تكون هذه الأفكار إضاءة في طريق يحتاج إلى الكثير من الإضاءات القوية.. كما أضرع إلى المولى عز وجل أن يتقبل مني هذا المجهود المتواضع، وأن يشملني بعفوه ورحمته في يوم لا ظل إلا ظله إنه غفور رحيم.

والله ولي التوفيق

عبدالله أحمد اليوسف

الحلة - القطيف

٢٨ / ٩ / ١٤١٦ هـ

١٨ / ٢ / ١٩٩٦ م

الفصل الأول

أفكار عقديّة

- ♦ الدين والإنسان
- ♦ الدين والعلم
- ♦ خصائص الدين الإسلامي
- ♦ فضل أهل البيت
- ♦ القضاء والقدر
- ♦ فوائد الاعتقاد بالبداء

الدين والإنسان

حاجة الإنسان إلى الدين تفرضها طبيعة تركيبته الفطرية والروحية والنفسية، فكما يحتاج الإنسان إلى الشراب والطعام لإشباع جوعه وعطشه، كذلك هو بحاجة أشد إلى غذاء روحي يشبع فيه «الجوع الروحي»، والغذاء الروحي يتمثل في العقيدة التي تؤمن له إشباع حاجاته الروحية والنفسية.

ولذا.. فلا أحد من البشر قادر أن يعيش بدون دين، كل إنسان في الحياة لابد وأن يعتنق ديناً ما، لأن الحياة بدون دين، كالحياة بدون غذاء، وهو ما يعني الموت المحتم.

ومن هنا فحتى أولئك الذين يعتبرون أن «الدين أفيون الشعوب» لا يستطيعون الحياة بدون عقيدة تشبع فيهم نهمهم الروحي والعاطفي، كل ما هنالك أن الإنسان قد يعتنق ديناً سماوياً صحيحاً، وقد يخترع له أفكاراً ونظريات وتصورات ويعتبرها عقيدة مقدسة، وبالتالي فهو مستعد للتضحية دفاعاً عن دينه حتى ولو كان خرافة أو شعوذة، لأنها في نظره هي العقيدة الصحيحة، وما عداها باطل وسخيف!

مفهوم الدين:

الدين في اللغة: العادة، وفي الاصطلاح: الاعتقاد بقيم يقدسها المتدين، ويقابله الزنديق والمنافق حيث يبطن الكفر ويظهر الإيمان.

وتشمل كلمة الدين بعمومها أديان أهل الأرض بكاملها، وهي على نوعين متضادين من حيث المصدر: أديان إلهية سماوية تتلقى الوحي من الله بواسطة رسله، وأديان وضعية أرضية تقوم على أفكار الأفراد وميولهم^(١).

وعلى هذا الأساس تنقسم الأديان التي يؤمن بها البشر إلى: أديان حقة وهي ما جاءت به السماء، والمعروف أن الأديان السماوية ثلاثة: الإسلام والنصرانية واليهودية، وأن الإسلام هو خاتمة الأديان السماوية، وقد جب ما قبله من أديان، يقول الله تعالى: ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾^(٢). وأديان باطلة وهي التي اخترعها الإنسان من وحي عقله وذاته.

ويتألف الدين من قسمين رئيسين وهما:

١ - العقيدة أو العقائد التي تمثل الأساس والقاعدة له.

٢ - التعاليم والأحكام العملية الملائمة لذلك الأساس أو الأسس العقائدية والمنبثقة في واقعها من تلك الأسس.

ومن هنا كان من المناسب أن يسمى قسم العقائد من الدين بـ «الأصول».

(١) مذاهب فلسفية، ص ٤٠.

(٢) سورة آل عمران، ٨٥.

وقسم الأحكام العملية بـ «الفروع» كما استخدم علماء المسلمين هذين المصطلحين في مجال العقائد والأحكام.

وتشترك الأديان التوحيدية، وهي الأديان السماوية الأصيلة في ثلاثة أصول كلية: الإيمان بالله وحده، والإيمان بالحياة الأبدية لكل إنسان في عالم الآخرة، ونيل الجزاء على الأعمال التي مارسها في الحياة الدنيا، والإيمان ببعثة الأنبياء والرسل المبعوثين من الله تعالى لهداية الناس إلى الطريق المستقيم ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾^(١).

الدين والفطرة:

يولد الإنسان حاملا بعدين اثنتين هما:

١. البعد المادي:

ويعني أن الإنسان عليه أن يتحرك وفقا لقوانين الطبيعة التي أوجدها الله سبحانه وتعالى في الكون، وأي محاولة من قبل الإنسان لتحدي قوانين الطبيعة تؤدي به إلى الموت المحتم، فتحديه لقانون الجاذبية يعني أن عظامه ستتهدم، وأن تحديه لقانون الغذاء سيجعله يموت جوعا، وأن تحديه لقانون النوم سيؤدي به إلى الموت بانفجار في دماغه.. هكذا لا يستطيع الإنسان أبدا الحياة بدون مسيرته لقوانين الطبيعة التي أوجدها الله عز وجل في هذا الكون، لأن القوانين التي تسير الطبيعة هي نفسها التي تسير البشر.

(١) سورة البقرة، ١٣٦.

٢ . البعد الفطري:

ويعني أن تركيبة الإنسان الفطرية تختم عليه الإيمان بشيء ما، أي أنه جائع فطريا إلى «العقيدة الدينية» .

يقول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١). وقد ورد في الحديث عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله^(ع) عن قول الله عز وجل: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: «فطرهم جميعا على التوحيد»^(٢).

إذن فالتدين ينبع من فطرة الإنسان وكيونته، ففي فطرة كل إنسان نزوع قوي إلى الله تعالى، المبدأ الأول للكون، وهذا النزوع يتمثل في التدين والعبادة والالتزام بالتعاليم والأحكام الشرعية. وحقيقة هذا الميل هو النزوع إلى الكمال، فإن في نفس كل إنسان نزوعا إلى الكمال، وهذا النزوع ينبع من أعماق الفطرة ويطفح على كل اتجاهات الإنسان وأعماله.

وفي فطرة كل إنسان خيط من النور يتصل بمبدأ الكون سبحانه وتعالى، إن هذا الخيط، وهذه العلاقة المرموزة بين الإنسان والله هي سر انجذاب الإنسان إلى الله تعالى.

وليس عبثا أن تتوجه الإنسانية بعرضها العريض وعلى امتداد تاريخها الطويل إلى الله تعالى في حب وفي لهفة تدين به وتعبد به وتخضع له وتخشع، وتقيم له الصلوات وتتجه إليه بالدعاء وتتقيه وتسبحه

(١) سورة الروم، ٣٠.

(٢) البحار، ج ٣، ص ٢٧٨، رقم ٨.

وتقدسه، وتقيم المساجد والمعابد وتضحى في سبيله وتجاهد.. وذلك في كل فترات التاريخ، وفي كل الأديان السماوية.

وقد ينحرف الإنسان عن دين الفطرة، فيعتنق دينا وضعيا، بفعل عوامل عديدة، كالوراثة والتربية والتقليد الأعمى والأهواء والمصالح، وهو بذلك يخالف فطرته الطبيعية التي فطر عليها وهو التوحيد، فمن لم يؤمن بالله عز وجل فسوف يؤمن حتما بالخرافات والأساطير، وسيعتقد بالأصنام والأشباح وشؤم الأيام ونحوه الأبراج وتعاسة الأرقام!

حقائق دامغة:

يستحيل على الإنسان الحياة بدون دين.. والدليل على ذلك الحقائق التالية:

١. الغريزة الدينية:

توجد في أعماق الإنسان مجموعة من الغرائز التي أودعها الله عز وجل، ومن أعمق هذه الغرائز هي «الغريزة الدينية» فالإنسان بفطرته يحن إلى الدين إلى درجة لا يمكن معها إلا أن يكون متدينا بدين ما، مع فارق واحد هو أنه قد يعتنق دينا إلهيا، وقد ينتمي إلى دين وضعي.

يقول أحد علماء تاريخ الأديان وهو (بنيامين قونستان): «إن الشعور الديني من الخواص اللازمة لطبائعنا الأزلية ومن المستحيل أن نتصور ماهية الإنسان دون أن تتبادر إلى ذهننا فكرة الدين».

ويقول (ماكس مللر): «إن فكرة التعبد من الغرائز التي فطر عليها منذ نشأته الأولى»^(١).

(١) عقائد الإمامية الاثني عشرية، ج١، ص٦.

ويقول الدكتور (ماكس توردو) عن الشعور الديني: «إن هذا الإحساس أصيل يجده الإنسان غير المتدين كما يجده أعلى الناس تفكيراً وأعظمهم حدساً وستبقى الديانات ما بقيت الإنسانية وستتطور بتطورها وستجانب دائماً مع درجة الثقافة العقلية التي تبلغها الجماعة».

وفي معجم (لاروس) للقرن العشرين: «إن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالية الخالدة للإنسانية»^(١).

وفي النصوص الإسلامية ما يؤيد ذلك، ويمكن أن يكون مشيراً إلى هذه النظرية كقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢)، وكقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣)، وورد في الحديث عن زرارة قال: سألت أبا جعفر^(ع) عن قول الله عز وجل: ﴿حَنِيفًا لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ ما الحنيفية؟ قال: «هي الفطرة التي فطر الناس عليها، فطر الله تعالى الخلق على معرفته»^(٤). وعن زرارة أيضاً قال: سألت أبا جعفر^(ع) عن قول الله عز وجل: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: «فطرهم على معرفته أنه ربه، ولولا ذلك لم يعلموا -إذا سئلوا- من ربه ولا من رازقهم»^(٥). وجاء عن النبي (ص) أنه قال: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه»^(٦).

(١) الدين شمس لن تغيب، ص ٤٦.

(٢) سورة الروم، ٣٠.

(٣) سورة يونس، ١٠٥.

(٤) البحار، ج ٣، ص ٢٧٩، رقم ١٢.

(٥) البحار، ج ٣، ص ٢٧٩، رقم ١٣.

(٦) البحار، ج ٣، ص ٢٨١، رقم ٢٢.

إذن.. الغريزة الدينية لا يمكن تجاوزها أو مقاومتها، وقد أكدت البحوث العلمية أنه لا يوجد إنسان واحد على سطح الأرض يستطيع أن يتحرر من قبضة الفطرة، والميل نحو الدين.

لقد فشل العلم وعجزت الثقافة عن إخماد الصرخة الدينية المنطلقة من أعماق الإنسان، لأن الدين يشبع جوع الإنسان في البعد الفطري حتى يتساوى مع البعد الطبيعي.

٢ . الحاجات الروحية والنفسية:

للإنسان حاجات مادية ومعنوية، وكما يحتاج إلى إشباع حاجاته المادية، كذلك هو بحاجة إلى إشباع حاجاته المعنوية، وتوجد حاجات روحية ونفسية «معنوية» لا يمكن لغير الدين أن يشبعها، كحب البقاء والخلود، والاطمئنان النفسي، والحاجة إلى القيم والمثل في العلاقات الاجتماعية، والحاجة إلى النظام الاجتماعي الذي يضمن سعادة الجميع.

يقول الكاتب الشهير «فيكتور هيجو» صاحب قصة البؤساء: «إن الإنسان لو فكر بفنائه ونهاية حياته وبأنه سيصبح عدما مطلقا، لو فكر بذلك ووعى هذه الحقيقة لما كانت للحياة عنده قيمة، ولم يكن من الممكن أن يكون في الحياة متعة ولذة.. نعم الذي يمكن أن يجعل الحياة متعة، وأن يجعل أعمال الإنسان فرحا وسرورا، وأن يسكب في قلبه الحرارة والحركة، وأن يوسع من أفق نظره، الذي يعطي كل ذلك للإنسان هو الدين، الاعتقاد بالخلود وعدم الفناء، الاعتقاد بأن الإنسان غير فان وأنه أكبر من هذا الوجود، ودائرة حياته أوسع من هذه الحياة القصيرة، ومرحلة الحياة بالنسبة إليه كمرحلة الأرجوحة واللعب بالنسبة للطفل، وأما المرحلة الكبرى من حياة الإنسان فسوف يعيشها

غداً»^(١).

ويقول العالم النفسي والفيلسوف الأمريكي «وليم جيمس» وهو من رواد المدرسة النفسية التجريبية، فقد أجرى هذا العالم الكبير فحوصاته على الأفراد الذين ترتبط حالاتهم النفسية بالعقيدة الدينية، ولم يقتصر في تجاربه على المرضى وإنما كان يلاحظ المرضى والأصحاء في دراسته التجريبية للعقيدة الدينية.. يقول «جيمس» :

«صحيح أن كثيراً من الرغبات والحاجات النفسية تنبع من عالم المادة، ولكن قسماً كبيراً من هذه الحاجات تنبع من وراء دنيا المادة، والدليل على ذلك عدم انسجام كثير من أعمال البشرية مع المقاييس والحسابات المادية»^(٢).

أما الفيلسوف اليوناني الكبير «سقراط» فقد قال :

«يشعر الإنسان بحاجته الماسة إلى الهواء والماء والطعام، وكذلك تشعر روحه أنها في حاجة مبرمة أيضاً إلى غذاء روحي، وهذا الشعور هو في عرفنا الدين الذي اهتدى إليه أول إنسان.. يدل ذلك على ذلك: أننا إذا تتبعنا حياة طفل أتينا به من أقاصي البلاد المتوحشة وتركناه يترعرع بدون أن نلقنه عقيدة دينية مهما كان نوعها، فإنك لتجده عندما يصبح رجلاً كامل الشعور، يتحرى في أعماق تفكيره عن شيء مجهول، ويظل باحثاً منقّباً تحت تأثير عامل نفسي وغريزي حتى يعثر على بادرة تكون في أول أمرها مائعة اللون، تتمركز في دماغه، ثم لا تلبث حتى تتجسم وتتخذ شكلاً صوفياً بارزاً، يأخذ في التطور رويداً رويداً إلى الشيء

(١) الدين شمس لن تغيب، ص ٥٧.

(٢) الدين شمس لن تغيب، ص ٤٥.

الذي نسميه (عقيدة) أو (دينًا) لأن هنالك ضرورة خفية وقوية تدفعه إلى هذا التدرج، حتى يصل إلى النوع الذي يحلو له للعبادة»^(١).

٣. الآثار التاريخية:

أثبتت الحفريات والآثار - وبما لا يدع مجالاً للشك - أن الإنسان منذ بدء الخليقة كان ملتزمًا بدين ما، يستوحي منه قيمه ومثله ومبادئه في الحياة، ولم يتخل لحظة واحدة عن الدين، وذلك لأن الدين حاجة سيكولوجية فطرية.

يقول الأثري الدكتور «سليم حسن»: «دلت البحوث العلمية البحتة حتى الآن على أن لكل قوم من أقوام العالم عامة مهما كانت ثقافتهم منحطة دينًا يسرون على هديه ويخضعون لتعاليمه»^(٢).

ويقول المؤرخ الإغريقي الشهير «بلوتارك» منذ نحو ٢٠٠٠ سنة: «من الممكن أن نجد مدناً بلا أسوار ولا ملوك ولا ثروة ولا آداب ولا مسارح، ولكن لم ير الإنسان قط مدينة بلا معبد أو لا يمارس أهلها عبادة».

فنحن نقرأ في أسفار الهند المعروفة بالكتب الفيدية: «إن الإله الأكبر قد خلق الأرض بكلمة ساحرة، فأمرها بأن توجد، فبرزت على الفور إلى حيز الوجود».

ونقرأ في كتب الصين واليابان القديمة جداً: «إن إله السماء هو الذي يصرف الأكوان ويدير أمور الإنسان».

ونقرأ في كتب الفرس القديمة ما نصه: «هو أقوى القوى في عالم

(١) التكامل في الإسلام، ج٤، ص٥.

(٢) التكامل في الإسلام، ج٤، ص٥.

الملوكوت، وهو واهب الأنعام المكين، الكامل القدس، الحكيم الخبير،
الغني المغني، السيد المنعم، القهار، محق الحق، البصير، الشافي، الخلاق،
العليم بكل شيء». .

ونجد عند الفراعنة من النصوص التي تدل على الابتهاال إلى الله
العلي القدير والتي تثير في النفس شعورا فياضا بالإيمان والتوحيد..
منها:

«أيها الإله الأوحد الذي ليس لغيره سلطان كسلطانه، يا خالق
الجرثومة في المرأة، ويا صانع النطفة في الرجل، ويا واهب الحياة للابن
في جسم أمه، ويا من يهدئه فلا يبكي، ويا من يغذيه حتى وهو في
الرحم، يا من خلقت الأرض كما يهوى قلبك حين كنت وحيدا، ألا ما
أعظم تدبيرك يا رب الأبدية»^(١).

كل هذه الحقائق الدامغة، والأدلة العلمية القاطعة، تدل بوضوح
على أن الإنسان لا يمكنه أن يعيش بدون دين، يستمد منه فلسفته في
الحياة ولا معنى للحياة بدون فلسفة إطلاقا.

الدفاع عن العقيدة:

إن كل من يؤمن بدين أو مذهب من مجتمع أو أفراد يعتقدون أن
دينهم هو العقيدة الصحيحة، يقول الإمام الصادق^(ع): «ثلاث خصال
يقول كل إنسان إنه على صواب منها: دينه الذي يعتقد، وهو الذي يستعلي
عليه، وتديره في أموره»^(٢).

(١) التكامل في الإسلام، ج٤، ص٦.

(٢) ميزان الحكمة، ج٣، ص٣٧٠، رقم ٦١٨٣.

فلا يوجد أحد ممن يؤمن بدين وعقيدة يعتقد أن دينه غير صحيح،
وإلا لعدل منه إلى غيره، بل إن جميع أصحاب الديانات يحترمون عقائدهم
إلى درجة التبجيل والتقديس، ومستعدون للتضحية والتفاني دفاعاً عنها،
فالكثير من الحروب قديماً وحديثاً اشتعلت بفعل العامل الديني.

وحتى أولئك الذين يعبدون الأصنام والأبقار والشمس والقمر
والنار مستعدون للقتال ضد كل من يمس عقائدهم (الزائفة) لأنها في
نظرهم عقيدة مقدسة!

فنبى الله إبراهيم^(ع) حكم عليه قومه الوثنيون بالموت حرقاً فألقوه
في النار لأنه كان يسخر من عبادتهم وأصنامهم ويعلن بطلانها
وفسادها، يقول الله تعالى: ﴿قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً
ولا يضركم (٦٦) أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون (٦٧) قالوا
حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين (٦٨) قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على
إبراهيم (٦٩)﴾^(١).

وخذ مثلاً آخر.. على تقديس العقيدة والاستعداد للتضحية دفاعاً
عنها: «ذات مرة حدثت مجاعة في الهند، حدت بالحكومة أن تستعين
بالمساعدات الخارجية.. على الرغم من وجود ما يقارب الـ ١٥ مليون
بقرة مقدسة (بنظر الهندوس)!

ويوم وصلت المعونات الخارجية إلى الموانئ الهندية، حدثت هناك
مفاجأة تستوقف العقول وتأخذ بالألباب، وهي عندما أرادت الحكومة
الهندية أن توزع الطعام على الجياع، خرج الملايين من الناس في
مظاهرات ضخمة، مطالبين بتقديم الطعام إلى البقرة أولاً، باعتبارها

(١) سورة الأنبياء، ٦٦ - ٦٩.

(إلهها مقدسا!)

وأطرف ما يروى في هذا المجال، القصة التي ذكرتها الصحف في وقتها، عن الزعيم الوثني (جواهر لال نهرو) رئيس وزراء الهند السابق.. فبالرغم من الشهادات العالية والثقافة الواسعة التي كان يتمتع بها هذا الرجل الوثني، إلا أن درجة العلم هذه تحطمت أمام جبروت العقيدة! فقد ذكروا أن (جواهر لال نهرو) كان يتناول قطرات من بول البقرة، ليرشها على الطعام في المناسبات الدينية!.. ولما سأله مراسل إحدى الصحف العالمية عن السبب الذي يدفعه لاستعمال بول البقرة في هكذا مناسبات؟ أجابه: «إنها طقوس دينية، وليس في الإمكان، التخلي عنها!.. ثم أضاف يقول: عندما أشعر بالمشاكل تضغط على صدري أسرع إلى ضريح غاندي، فاركع أمامه!..»^(١).

ولنصغ - بتدبر وتأمل - إلى (المهاتما غاندي) وهو يتحدث عن تقديسه واحترامه لعبادة البقرة في الهند! - وهو شخصية سياسية قيادية مرموقة تحررت الهند على يديه - يقول تحت عنوان «أمي البقرة» ما يلي:

«إن حماية البقرة التي فرضتها الهندوسية هي هدية الهند إلى العالم، وهي إحساس برباط الأخوة بين الإنسان وبين الحيوان، والفكر الهندي يعتقد إن البقرة أم للإنسان، وهي كذلك في الحقيقة، إن البقرة خير رفيق للمواطن الهندي وهي خير حماية للهند!

عندما أرى بقرة لا أعطني أرى حيوانا، لأنني أعبد البقرة وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع!

وأمي البقرة تفضل أمي الحقيقية من عدة وجوه: فالأم الحقيقية

(١) الإيديولوجية الإسلامية، ص ٤٦٩.

ترضعنا مدة عام أو عامين ، وتتطلب منا خدمات طول العمر نظير هذا ، ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائما ، ولا تتطلب منا شيئا مقابل ذلك سوى الطعام العادي ، وعندما تمرض الأم الحقيقية تكلفنا نفقات باهضة ، ولكن أمنا البقرة فلا نخسر لها شيئا ذا بال ، وعندما تموت الأم الحقيقية تتكلف جنازتها مبالغ طائلة ، وعندما تموت أمنا البقرة تعود علينا بالنفع كما كانت تفعل وهي حية ، لأننا ننتفع بكل جزء من جسمها من العظم والجلد والقرن.

أنا لا أقول هذا لأقلل من قيمة الأم ، ولكن لأبين السبب الذي دعاني لعبادة البقرة.. إن ملايين الهنود يتجهون للبقرة بالعبادة والإجلال.. وأنا أعد نفسي واحدا من هؤلاء الملايين^(١).

وفي أوروبا المعاصرة والتي تسودها المادية فإن فيلما قد عرض - منذ فترة ليست بالبعيدة - فيه إساءة وتجريح لشخصية السيد المسيح عيسى بن مريم^(ع) بعنوان «الإغواء الأخير للسيد المسيح» فحصلت على أثره ضجة ومظاهرات من قبل المسيحيين ، وأحرقوا عدة دور للسينما كانت تعرض ذلك الفيلم.

وعندما كتب المرتد (سلمان رشدي) كتابه (الآيات الشيطانية) ثارت ثائرة المسلمين في كل مكان ، واندلعت المظاهرات الصاخبة في مختلف أنحاء الأرض ، معلنة احتجاجها ضد نشر الكتاب المملوء بالتهجم على مقدسات الإسلام ، مما جرح مشاعر الملايين من البشر ممن يدينون بالإسلام.

وهذا كله يؤكد قداسة الدين في نفوس معتنقيه ، ومدى تأثيره

(١) أديان الهند الكبرى ، د. أحمد شلي ، ص ٣٦.

على سلوك الإنسان وشخصيته، ومدى ارتباط الإنسان القوي بعقيدته، حيث إنه لا يستطيع إلا أن يكون مؤمناً بدين ما لإشباع الجانب الروحي والنفسي من شخصيته.

ومن لم يؤمن بالله وبالعقيدة الحقة، فلا بد وأن يؤمن بالشيطان والأصنام والأشباح والخرافات ﴿إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون﴾ إفا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون ﴿^(١) .

(١) سورة العنكبوت، ١٧.

الدين والعلم

يتباهى بعض علماء هذا العصر على قدرة العلم المادي في القيام بدور الدين والحلول محله، وأنه لم يعد من حاجة للدين، فالعلم، والعلم وحده، قادر على تلبية كل الحاجات الأساسية للإنسان!

إن هؤلاء يعتبرون أن الدين ما هو إلا من صنع الجهل والخوف والمرض والخرافات، وأنه انتشر في زمن لم يكن فيه العلم متطوراً، أما اليوم فلا مكان لشيء اسمه (الدين) !

ويتمادى هؤلاء - أنصاف المثقفين - في غيهم وغرورهم، فلا يرون أي شيء وراء المادة، إن فلسفتهم تقوم على أن المادة الصماء هي كل شيء في هذا الكون، إنهم يغرقون في عبادة المادة إلى درجة الهذيان!

والحقيقة.. أن العلم لا يمكنه أبداً أن يحل محل الدين، ذلك لأن لكل واحد منهما حقله الخاص به، فالدين بما يمثله من شرائع ومناهج وقوانين لتنظيم حياة الإنسان دينياً ودنياً، لا يستطيع العلم أن يقوم بهذا الدور العقائدي والتشريعي، لا في الوقت الحاضر، ولا في

المستقبل.

«ولا يمكن للإسلام أن يتقبل ما يقوم به العلم الحديث من تضيق للأمر وقلب للأدوار بإحلال علم النفس مكان الدين، ومن ثم التعامل مع مسائل علم النفس بمنظار علم الأحياء (البيولوجيا) والبيولوجيا بمنظار علم الكيمياء، والكيمياء بمنظار فيزيائي، فيكون بذلك قد حصر وأضمر عناصر الواقع الإنساني المتشعب إلى الفيزيائية التي هي أدنى درجات ظاهر الوجود.

إن المسلمين يرون بأن الغرب أفرط في التبجح باستقلالية وذاتية العلوم على قاعدة «الفن للفن» أو «العلم للعلم» وكأنه رفع شعار «لا خلاص ولا نجاة إلا في العلوم التجريبية» وهو يكون قد أصبح بذلك كالمؤمن بلا دين، أما الله فقد أصبح عنده من المنسيات، وإذا تعامل معه فبأحسن الأحوال يتعامل معه كفرضية لا تخلو من الثغرات، والإنسان نفسه لم يعد سوى عنصر مزعج في عملية الإنتاج، بينما تحول المجتمع الإنساني بنظر العلوم الطبيعية إلى منظومة ميكافيلية آلية مبسطة، وهكذا نرى تحول مسألة الأخلاق في عصرنا إلى أمر من الأمور الشخصية عند الفرد.

ومع كل هذا نقول بأن العلوم الطبيعية الوضعية والتجريبية التي أقصت الدين عن دوره لا يمكن لها حسب مقاييسها ومعاييرها ونسبة إلى دلالتها ومضمونها ومغزاها، أن تحل مكانه أو أن تسد الفراغ الذي يتركه»^(١).

إن الذين يريدون أن يستبدلوا العلم بالدين يغالطون أنفسهم، ويسعون للخلاص من المسؤولية الدينية، إنهم يبررون لأنفسهم التحلل

(١) الإسلام هو البديل، ص ٧٨.

والإباحية واللا أخلاقية في سلوكهم وتصرفاتهم، وبينون لأفكارهم «فلسفة» مادية هوجاء، إنها فلسفة لا تقوم على أسس وقواعد من العقل والمنطق، ولكنها تقوم على الإباحية الهمجية، إنهم لا يريدون ضوابط وأطر وحدود لتنظيم حياة الإنسان، ولكي يبرروا لأنفسهم هذا التحلل الأخلاقي والديني، فإنهم يتمسحون بالعلم -والعلم يدعو إلى الإيمان- ولكنهم في الواقع إنما يتبعون شهواتهم ونزواتهم الحيوانية ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا (٤٣) أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا (٤٤)﴾^(١).

لهذا لا يغني العلم عن الدين؟

لا يمكن للعلم أن يحل محل الدين.. والدليل على ذلك الحقائق التالية:

١. العلم لا يلبي كل الحاجات الإنسانية:

الإنسان مكون من نفس وبدن، وكما أن للبدن أمراضا وحاجات، كذلك للنفس أمراض وحاجات، وأمراض النفس هي أعقد بكثير من أمراض البدن، لأن النفس لا يمكن إخضاعها للتشريح والمباضع الجراحية، بخلاف البدن.

وإشباع الحاجات النفسية هي بلا شك أهم من إشباع الحاجات البدنية، وإن كان من المهم إشباع كل الحاجات الأساسية للإنسان.

إن تهذيب النفس وتربيتها، والتحليق بها في سماء النقاء والصفاء والطهر الروحي والسمو العرفاني.. هي الخطوة الأولى نحو صناعة

(١) سورة الفرقان، ٤٣ - ٤٤.

الإنسان الفاضل.

والعلم المادي لا يستطيع أبدا القيام بهذا الدور الرئيسي في بناء الشخصية، وهو أعجز من أن يلبي كل الحاجات الميتافيزيقية والنفسية والعقلية للإنسان.

يقول «فيلفرد مراد هوفمان»: «إن العلوم الوضعية ليست لها القدرة على وضع المعايير والقياسات خارج حدودها وذلك لكونها لا تعالج سوى المسائل الكمية، ومسألة الأخلاق ليست مسألة فيزيولوجية، وليس الوعي والإدراك حواصل تفاعلات بيوكيميائية، والعشق والغرام لم يكونا يوما مسألة حسابية.

وفي الواقع لم تهب العلوم الطبيعية الإنسان المعاصر في المجال الإيديولوجي (العقائدي) سوى الشك والريبة وفقدان الطمأنينة والغرق في عبادة العلوم، عبادة صنمية بدائية وأزمة هوية دائمة ومستترة، فهي لا يمكن أن تقدم له وفي أحسن الأحوال، وبسبب إيمانها المطلق بالعلوم، سوى نوع من الأساطير الخيالية ذات الطابع المسرحي عن أخبار نهاية العالم»^(١).

إن المادة ليست كل شيء في حياة الإنسان، فهناك مثل وقيم ومبادئ، وحاجات روحية ونفسية يعجز غير الدين عن إشباعها، فالدين هو وحده القادر على تلبية كل الحاجات الأساسية للإنسان، وعلى إشاعة القيم الأخلاقية في المجتمع، وعلى صناعة مجتمع فاضل.

(١) الإسلام هو البديل، ص ٧٩.

٢ . محدودية العلم:

إن العلم محدود بالمادة، فهو لا يملك القدرة على التعامل مع (ما وراء المادة) ، بل إن العلم أعجز من أن يحيط بالمادة ذاتها، فرغم تقدم العلم، إلا أنه لم يستطع معرفة كل الحقائق الكونية، ولا زال العلم يجهل الكثير عن هذا الكون العملاق، مما يعني أن العلم لا يمكنه الإجابة عن كل الأسئلة التي يبحث الإنسان عن جواب لها حتى بالنسبة للقضايا المتعلقة بالمادة فضلا عما ورائها.

«لقد كشف إسحاق نيوتن دستور الجاذبية العامة، ولكنه عجز هو ومن جاء بعده عن تفهم حقيقة الجاذبية، ولا يزال العلم عاجزا عن فهم حقيقة الجاذبية وحقيقة الكهرباء والضوء والنفس الإنسانية، وكل شيء قواني (منسوب إلى القوة) وسيبقى عاجزا إلى الأبد مادامت هذه النفس مرتبطة بالبدن.. فقد جاء في الحديث: «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا» ذلك لأنه لا يمكن قياس ما هو غير مادي بمقاييس مادية، وإن العلم الحديث لا يعمل إلا في كشف خواص المادة والتأثيرات المتقابلة المادية بين المواد، وليس له أن يتجاوز حدود المادة وأن يتغلغل فيما وراء الطبيعة مادام يعمل في الطبيعة نفسها وبمقاييس طبيعية مادية: (غرام، سانتيمتر، ثانية) فتكلم العالم المادي فيما وراء الطبيعة سفسطة وهراء»^(١).

إن الدين، والدين وحده، هو المخول بإعطاء الحقائق عن عالم (ما وراء المادة) وعن مصير الإنسان بعد الموت، وعن البرزخ والحشر، وعن الجزاء والعقاب، وعن الجنة والنار ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)﴾^(٢).

(١) التكامل في الإسلام، ج١، ص٦٦.

(٢) سورة التكاثر، ٥ - ٨.

٣ . العلم والخطأ:

يقع العلماء في أخطاء كبيرة، فكم كان يعتقد العلماء بصحة بعض النظريات والفرضيات باعتبارها علما قطعيا، وبعد ذلك يتضح أنها لم تكن سوى (أوهام) واهية!

وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

١ - كان يرى العلم الحديث إلى عهد قريب.. أن الشمس ثابتة، وكان القرآن ينادي منذ مئات السنين أنها متحركة.. يقول تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾^(١) ثم عدل العلم الحديث عما كان يعتقد به بعد تقدم العلوم الرياضية وآلات الرصد، فقال بحركة الشمس لمستقر لها سائرة نحو نجمة تدعى بالنسر الواقع على شكل لولبي، وقال بحركة كثير من النجوم الثابت بعد أن كان يراها ثابتة لا تتحرك!

٢ - زعم «إينشتاين» وكان من كبار الفيزيائيين الرياضيين، بل كاد أن يكون أعظمهم بعد كشف النظرية النسبية: إن أقصر الخطوط هو الخط المنحني، وأن الضوء يسير على خط منحني غير مستقيم، وكان فيما يقوله يستند على تجاربه واستنتاجاته السابقة، ثم أتيح له أن رصد بالآلات أتقن من الآلات السابقة، وقام بحسابات أخرى، فعدل عن رأيه وقال: إن أقصر الخطوط هو الخط المستقيم، وإن الضوء يسير على خط مستقيم.

٣ - إن فرضية «لابلاس» في تشكل النظام الشمسي، والتي كان يعتمد عليها، قد جرحت وعدلت كثيرا.

(١) سورة يس، ٣٨.

في مرات كثيرة عدل العلم عما قرره بعد العثور على حقائق جديدة، وسوف يعدل في المستقبل عما يقرره الآن، وكل من تتبع العلوم العالية يرى ضعف العلماء وعجزهم عن استقصاء حقائق كثيرة لا تعد ولا تحصى، ويرى اعترافهم بجهلهم أكثر من اعتزازهم بعلمهم، فهذا «أفلاطون» يقول: «علمت أنني لا أعلم شيئاً» وهذا «نيوتن» يقول: «إن علمي بحقائق هذا الكون أقل بكثير من علم طفل صغير جالس على شاطئ بحر يلعب بالحصى بما في أعماق هذا البحر».

إن العلم يتغير، والعلماء يقعون في أخطاء فاحشة، أما الدين فهو ثابت لا تغير فيه ولا أخطاء.

يقول «ماريت ستانلي كونجدن» وهو عالم أمريكي معاصر:

«إن العلوم حقائق مختبرة، ولكنها مع ذلك تتأثر بخيال الإنسان وأوهامه، ومدى بعده عن الدقة في ملاحظاته وأوصافه واستنتاجاته، ونتائج العلوم مقبولة داخل هذه الحدود، فهي بذلك مقصورة على الميادين الكمية في الوصف والتنبؤ، وهي تبدأ بالاحتمالات وتنتهي بالاحتمالات كذلك.. وليس باليقين.. ونتائج العلوم بذلك تقريبية وعرضة للأخطاء في القياس والمقارنات، ونتائجها اجتهادية، وقابلة للتعديل بالإضافة والحذف.. وليست نهائية»^(١).

أما العلوم الثابتة التي لا مرأ فيها والتي يعتمد عليها فهي العلوم الرياضية كالحساب النظري والهندسة النظرية بأنواعها والهندسة التحليلية والحساب الأعلى والجبر العالي والتحليل الرياضي.. لأنها مجردة عن المادة.

(١) التكامل في الإسلام، ج ٥، ص ٣٢٢.

أما غير ذلك من العلوم فهي قابلة للتغير والتعديل، وبمنظرة بسيطة إلى تاريخ العلوم والفلسفة ترينا مدى تغير الحقائق العلمية ووضع نظريات جديدة أو فرضيات، وإلغاء نظريات قديمة كان البشر يظنها حقائق ثابتة.

وإذا كان العلم يتغير ويتبدل، فهل يمكن للإنسان أن يعتمد كمنهج بديل عن الدين؟! هذا مع ملاحظة أن ما جاء في الدين ثابت لا تغير فيه، وأنه يلي كل الحاجات الأساسية للإنسان، والتي يعجز العلم عن إشباعها، ولكن غرور الإنسان وعنجهيته يؤدي به إلى اتباع الظن وترك الحق ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾^(١).

٤ - فشل العلم في إسعاد الإنسان:

رغم التقدم العلمي الهائل، ورغم المدنية الحديثة المتطورة، فإن الإنسان يزداد قلقاً واضطراباً وأمراضاً مختلفة!

وها نحن نرى في عصر (النور) كما يدعون.. كيف يستغل الأقوياء العلم لاستغلال الإنسان واستعمارهم، واستخدامه - أي العلم - كوسيلة للسيطرة والهيمنة، بدلاً من أن يكون أداة للبناء والتعمير والتقدم.

لم نقرأ في التاريخ، ولم نسمع، عن عصر كعصرنا، يمتاز بكثرة الحروب المتنوعة.. فهناك حروب عسكرية واقتصادية وثقافية وإعلامية.. وكلها من أجل السيطرة على الضعفاء والبؤساء والفقراء!

إن العلم اليوم أصبح سلاحاً فتاكاً بيد الأقوياء، فالأسرار العلمية

(١) سورة الأنعام، ١٤٨.

أصبحت محتكرة، والجشع والاحتكار والاستغلال بات -وفي عصر العلم- في أعلى مراتبه.

أما إنسان اليوم، فإن العلم لم يستطع أن يحقق له الاستقرار النفسي، والغذاء الروحي، بل العكس هو الصحيح، فحالات الانتحار في تزايد مستمر -وبالذات في الغرب- والأمراض النفسية والعصبية والعقلية تنتشر كالوباء!

يقول «روبرت هتشنس»: «لقد بلغ العلم في آن واحد إلى الأوج في المعرفة والتكنولوجيا^(١) والتحكم في الطبيعة، وإلى الحضيض في حياته الأخلاقية والسياسية»^(٢).

وقد بدأ بعض علماء الغرب في الاعتراف بحقيقة أن العلم المادي غير قادر على إسعاد الإنسان «فهناك من هو في طريقه للبحث عن معايير جديدة مثل: هانس وجورج غادمر وهلموت كون.. وهؤلاء بدأوا بالحديث للرجوع إلى الميتافيزيك، وذلك لاقتناعهم ولو المتأخر بأنه لا غنى عن الدين بأية حال، وبالعكس فإن دوره يصبح أكثر ضرورة في عصر التقنية والعلم.

والذي أسهم في التوصل إلى هذه القناعة هو التداعي والانهيار الفعلي للنظرية الداروينية والفرويدية والماركسية، وما آلت إليه الفيزياء من إعادة النظر بكثير من مسلماتها السابقة»^(٣).

(١) التكنولوجيا هو: العلم الذي يبحث عن تاريخ وأصول الفنون والصناعات على اختلاف أنواعها.

(٢) التكامل في الإسلام، ج ٥، ص ٣٢٨.

(٣) الإسلام هو البديل، ص ٧٩.

إن التمسك بالدين الحنيف، والالتزام بتعاليمه وقيمه، والسير على هديه ونهجه.. هو الطريق الوحيد لنيل السعادة في الدنيا وفي الآخرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا وَلَيْسَ لَكَ مِنْ شَرِّ الْبَرِيَّةِ (٦)﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَيْسَ لَكَ مِنْ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿١﴾ .

العلم يدعو إلى الدين:

وإذا كان العلم لا يمكنه أن يكون بديلاً عن الدين، فإنه يدعو إلى الدين والإيمان بالله جلّ وعلا، فقد أدت الاكتشافات العلمية، والإحاطة ببعض حقائق الكون، إلى إيمان الكثير من كبار العلماء الملحدّين.

ولا شك أن العلوم كالفيزياء والكيمياء والفلك وعلم النبات والحيوان والإنسان وغيرها من العلوم.. هي نوافذ منها يتمكن العالم أن يبصر عظمة الله وجلال قدرته، فيزداد إيماناً بالله وقرباً منه.. يقول الله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٢﴾﴾ .

ويقول الإمام علي^(ع): «بالعلم يُعرف الله ويوحّد»^(٣) فالعلم خير وسيلة لمعرفة الخالق جلّ جلاله، والتعرف على ما أودع الله تعالى من

(١) سورة النبأ، ٦ - ٨.

(٢) سورة سبأ، ٦.

(٣) أمالي الصدوق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة الخامسة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٤٩٣.

دقائق الصنع وخواص مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً لإيجاد عوالم من الجماد والنبات والحيوان ، ولتسيير هذه الأفلاك بهذا النظام الرائع البديع.. نظام يجعل عيني الفلكي الذي لم يقس قلبه بالموبقات تفيضان بالدموع خشوعاً وتقديساً لله تعالى لما يرى هنالك من دقيق المعادلات وبديع القوانين.. نظام يجعل «هانري بركسون» مؤمناً بوحداية الله تعالى معظماً إياه حين يتتبع نظام الذرة وما فيها من معادلات وقوانين تبهر العقول، هذه الذرة التي قد بلغت من الصغر بحيث لو وضعت (١٠,٠٠٠,٠٠٠) منها، على شرط الكروية، بعضها جنب بعض لكان طولها مليمترًا واحدًا.. نظام يجعل الطبيب الذي لم يلوث باطنه بسكر أو فسق يركع أمام عظمته تعالى حين يرى أنه تعالى قد رتب في المخ البشري (٢٠,٠٠٠,٠٠٠) عصب موضوعة بعضها جنب بعض بحساب دقيق بحيث لو جس أحد هذه الأعصاب لحدثت عوارض تخص هذا العصب المجسوس دون غيره.. نظام يخشع تجاهه العالم بالميكانيك السماوي والفيزياء، حين يرى.. كيف رتب الله تعالى الأبعاد بين الأجرام السماوية، ومنها بعد أرضنا عن الشمس، وبعد القمر عن الأرض^(١) وهو القائل: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾^(٢).

وإليك شطراً من أقوال كبار العلماء وتأكيدهم على أن العلم يدعو إلى الإيمان بالله تعالى:

١ - يقول «جورج إيرل دافيز» وهو عالم من علماء الطبيعة، ورئيس قسم البحوث الذرية بالبحرية الأمريكية: «يخطئ الذي يظن بأن الإلهاد منتشر بين رجال العلوم أكثر من انتشاره بين غيرهم، فقد لاحظنا فعلاً

(١) لمزيد من الاطلاع راجع كتاب التكامل في الإسلام، ج ٣، ص ٤٤٤.

(٢) سورة الواقعة، ٧٥ - ٧٦.

شيوخ الإيمان بين جمهرة المشتغلين بالعلوم، وكلما تقدم العلم كان ذلك أشد دلالة على وجود خالق مدبر وراء هذا الخلق» .

٢ - ويقول «إيرفنج وليام» أستاذ العلوم الطبيعية بجامعة ميتشغان: «إن الإيمان بالدين تدعمه الاكتشافات العلمية، وقد أيدت العلوم فعلا كثيرا من النبوءات التي جاءت بها الكتب المقدسة» .

٣ - ويقول «إلبرت ماكوس ونشتر» عميد أكاديمية العلوم بفلوريديا: «درست العلوم المختلفة، واشتغلت بها سنوات عديدة، ولم يكن في ذلك ما يزعزع إيماني بالله، بل إن اشتغالي بالعلوم قد دعم إيماني بالله، حتى صار أشد قوة وأمتن أساسا مما كان عليه من قبل، وبالتالي فإن معرفة الله سبحانه تعتمد على الأدلة العلمية، تماما كما تعتمد على البراهين الفلسفية، بالرغم من أن هذه المعرفة لا تقوم على التجربة والاختبار» .

٤ - وقال «باستور» : «لا تنافي بين العلم والإيمان بالله، وكلما زاد علم الإنسان زاد إيمانه بالله» .

٥ - وقال الكيميائي الشهير الدكتور «وتز» : إذا أحسست في حين من الأحيان أن عقيدتي بالله تزعزعت وجهت وجهي إلى أكاديمية العلوم لتثبيتها» .

٦ - وقال «إسحاق نيوتن» وهو من أعظم علماء القرن الثامن عشر، وله الفضل الأكبر في تقدم العلوم المادية في القرن العشرين إلى هذه المرتبة.. يقول: «لا شك في الخالق.. فإن هذا التنوع في الكائنات وما فيها من ترتيب أجزائها ومقوماتها وتناسبها مع غيرها ومع الأزمنة والأمكنة لا يعقل أن تصدر إلا من حكيم عليم» .

٧ - وقال الدكتور «جرينه» الفرنسي: «تتبع كل الآيات القرآنية

التي لها ارتباط بالعلوم الطبيعية والصحية والطبية التي درستها من صغري، وفهمتها جيداً، فوجدتها منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة فأسلمت لأنني تيقنت أن محمداً أتى بالحق الصريح من قبل ألف سنة، من غير أن يكون له معلم أو مدرس من البشر، ولو أن صاحب كل فن من الفنون أو علم من العلوم، قارن كل الآيات المرتبطة بما يعلمه جيداً، كما قارنت أنا لأسلم بلا شك، إن كان عاقلاً، خالياً من الأغراض» .

إن العلم المادي يدعو الإنسان -وبشهادة كبار العلماء- إلى الاعتقاد بالله جلّ جلاله، ويقوي من معتقداته الدينية، وذلك لما يكشفه العلم للإنسان من دقة متناهية، وإبداع في تنظيم هذا الكون الرائع، ففي كل جزء من أجزاء هذا الكون، وكل ذرة من ذراته.. دليل على وجود الخالق المبدع القادر على كل شيء.

لقد سأل «أفلاطون» المعلم الأول «أرسطو»: ما الدليل على وحدانية الله؟ فقال: «ليس شيء من خلقه بأدل عليه من شيء» .

ويقول الشاعر العربي لبّيد:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
ولله في كل تحريكة وتسكينة أبداً شاهد

إن الفطرة والعلم والفلسفة كلها معالم تهدي الإنسان إلى الله الواحد الخالق المقتدر ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

(١) سورة آل عمران، ١٨.

خصائص الدين الإسلامي

نحن الآن في العقد الأخير من القرن العشرين ، حيث تعيش البشرية في خضم إيديولوجيات متباينة ، وأفكار متناقضة ، ومبادئ وقيم وضعية متضاربة ، بيد أن البشرية جربت الكثير من العقائد والمبادئ والأفكار.. والنتيجة واحدة: حيث لم تستطع كل تلك العقائد والنظريات البشرية أن تلي الحاجات الأساسية للإنسان ، ولا أن تحل مشاكله وآلامه ومآسيه.. بل إنها لم تقدم شيئاً يذكر في سبيل مساعدة الإنسان على الوصول إلى السعادة التي ينشدها ، وكل ما حققته تلك الأديان والمعتقدات الوضعية هو تزايد مشاكل الإنسان يوماً بعد آخر!

لقد جربت البشرية «الشيوعية» كنظرية وممارسة لما يقارب من قرن.. وماذا كانت النتيجة؟ ازدادت آلام الإنسان ، وتحطمت إنسانيته ، مما سبب في خلق إنسان معقد ، ومجتمع مخطم ، ونظام مستبد.

واليوم نعيش تساقط الأفكار الشيوعية ، كما تتساقط أوراق الشجر في فصل الخريف! وأثبتت التجربة فشل «الشيوعية» وعقمها ، وأصبح الذين يؤمنون بها يعيشون في أزمة عقائدية خانقة ، مما أدى بهم

إلى البحث عن إيديولوجية جديدة!

لقد كانت الشيوعية، وإلى وقت قريب، تتباهى بقوتها وبنجاحها، وكانت تسيطر بقوة الحديد، لا بقوة الفكر، على ثلث العالم، وهما هي الآن أصبحت من مخلفات الماضي!

أما الرأسمالية فقد أثبتت التجربة أيضاً فشلها الذريع في صناعة السعادة للجميع، كما كانت تدعي ذلك، وكل ما استطاعت فعله هو تكريس الأنانية والجشع والاحتكار والاستغلال.. وكل وسيلة تؤدي إلى الثراء الفاحش ولو كان على حساب الآخرين، لأن الغاية تبرر الوسيلة في نظرهم.

وسنسمع في يوم ما - عاجلاً أم آجلاً - عن تهافت الرأسمالية وموتها، لأنها هي الأخرى تحمل في ذاتها مقومات الفناء، يقول تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرٌ نَّالٍ لَّيْلًا وَ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ، كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١).

دعونا الآن، ونحن على أعتاب القرن الواحد والعشرين، نطبق الإسلام تطبيقاً كاملاً، ولو لمرة واحدة، ولو من زاوية التجربة فقط، وسيثبت الإسلام قدرته الديناميكية على صنع السعادة لكل البشر، كما أثبتتها عندما طبقه الرعيل الأول من المسلمين.

واعتقد جازماً بأنه لو طبقت البشرية الإسلام كمنهج لها في الحياة، وكما أنزل من السماء، لعاش العالم كله في سعادة لا مثيل لها إطلاقاً، لأن خالق الكون هو واضع الشريعة، والخالق هو الأعلم بما يحتاجه

(١) سورة يونس، ٢٤.

المخلوق، يقول تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

الخصائص الأساسية:

يحمل الإسلام بخصائصه المميزة مقومات البقاء والخلود بخلاف المناهج الوضعية.. وأهم هذه الخصائص ما يلي:

١. الربانية:

الإسلام منهج إلهي أنزله الله عز وجل ليكون نوراً وبصيرة ومنهجاً للحياة، وليس مخاض عقل بشري شأن المذاهب الوضعية التي صنعها الإنسان بنفسه لنفسه، لتكون بديلاً عن منهج السماء!

إن بشرية المناهج الوضعية هو السبب وراء نشوء وتوالد كافة مثالب تلك المناهج وعيوبها.

وقد فشلت كل المناهج الوضعية في إسعاد الإنسان، وقد جرب العالم الكثير من تلك المناهج كالشيوعية والرأسمالية والاشتراكية والقومية.. ولم يستطع أي منهج وضعي تحقيق العدالة والحرية الحقيقية للإنسان، والسر في ذلك أن الإنسان لا يملك المؤهلات الرئيسة لكي يضع لنفسه منهجاً يكون بديلاً عن المنهج الإلهي، فهذا الإنسان العاجز عن معرفة كل الحقائق والأسرار الموجودة في ذاته.. هذا الإنسان الذي يجهل الكثير من الحقائق الكونية.. كيف يستطيع أن يضع لنفسه منهجاً يكفل له السعادة والنجاح؟!

(١) سورة المائدة، ٣.

إن المنهج الإسلامي بما يعنيه من عقيدة وشريعة (الدين) يكفل للبشرية العدالة والحرية والمساواة، ويحقق السعادة للجميع، ذلك لأن الدين يتماشى مع الفطرة الإنسانية، ويلبي الحاجات الأساسية للإنسان، فالله الخالق هو الأقدر على وضع المنهج الكفيل بإسعاد المخلوق الإنساني.

٢ . الإنسانية:

يهتم الإسلام كثيراً بتحقيق إنسانية الإنسان، ففي الدين الإسلامي تعاليم ومبادئ تؤكد كلها على أهمية احترام الإنسان، ورعاية حقوقه، باعتباره المخلوق الذي كرمه الله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١) فالله كرم الإنسان، وجعله خليفة له على هذه الأرض، وسخر له هذا الكون بما فيه من نبات وحيوان وماء وهواء وشمس وقمر وجمال.. الخ.

وتكريم الإنسان بنظر الدين الإسلامي إنما ينبع من كونه إنساناً، بغض النظر عن لونه أو لغته أو جنسه أو ثقافته أو قوميته أو غيرها من الاعتبارات التي لا يقرها الدين، يقول الرسول (ص): «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى».

أما المناهج الوضعية فإنها حطمت إنسانية الإنسان، فالإنسان لا قيمة له من حيث هو إنسان، وإنما تخضع مقاييس احترام حقوق الإنسان من اعتبارات مادية بحتة.

وتلتقي الماركسية والرأسمالية في أن الإنسان بهويته كائن مادي، أما الإسلام فإنه ينظر إلى الإنسان على أساس أنه مخلوق شرفه الله وكرمه

(١) سورة الإسراء، ٧٠.

بالروح والمادة، بالعقل والجسم على أحسن صورة، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(١).

٣. الشمولية:

يمتاز المنهج الإسلامي أيضاً بشموله وکليته، واستيعاب نظره وتصوره وأفقه لكافة شؤون الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والعلمية، وعظمة ما في هذا الشمول أنه متوافق ومنسجم في جزئياته وکلياته مع بعضه أولاً، ومع المرتکز العقدي الذي ينبثق عنه ثانياً.

وبنظرة فاحصة إلى المبادئ والأصول الرئيسة للفقہ والتشريع الإسلامي نجد أن فيها صفة الشمول والعموم لحياة الإنسان في كل البيئات والعصور، وعليه يكون معنى صلاح الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان أن مبادئها وأصولها الرئيسة تصلح لأن يتفرع عنها ويستخرج منها أحكام تنسجم وتتلاءم مع كل بيئة وعصر.

أما النظم الوضعية فإنها عادة ما تركز على جانب معين وتعتبره كل شيء، وتهمل بقية الجوانب الأخرى المؤثرة في حياة الإنسان، وفي مسار المجتمع، مما يؤدي إلى إيجاد منهج أحادي النظرة، مما يفقده الشمول، وبالتالي فإن هذا المنهج سيكون قاصراً عن تلبية المستلزمات الأساسية للإنسان والمجتمع والأمة، مما تكون نتيجته الفشل الذريع.

٤. المرونة:

وهذه الخصوصية هي التي تمنح المنهج الإسلامي القدرة على استيعاب مشاكل الحياة المتجددة والمتنوعة والمتعددة، ففي الإسلام بعدان

(١) سور التين، ٤.

رئيسيان وهما:

أ - البعد الثابت: الذي لا تغيير فيه ولا تبديل.. كالعقيدة والعبادة، فهذه لا تتطور ولا تتغير، وكذلك مبادئ الأخلاق والقيم الفاضلة غير قابلة هي الأخرى للتغير، فالصدق - مثلاً - يبقى حسناً في ذاته، والكذب يبقى قبيحاً في ذاته، رغم تغير الزمان والمكان.. وعليه قس بقية الأمثلة.

ب - البعد المتطور: وهو القابل للتغير والتبدل والتطور.. كالمعاملات التي يمكن فيها التبدل والتغير تبعاً لتطور الزمن، وكأسلوب الحياة العامة.. فتبدل وسائل النقل من دواب إلى عربات إلى سيارات إلى طائرات.. وتبدل وسائل الإنارة من شمع إلى زيت إلى كهرباء إلى ذرة.. وتبدل طرق المعيشة، ونوعية الملابس، وكيفية الأكل.. الخ كلها أمور مباحة، والإسلام يحث على هذا التطور، ويدعو دائماً إلى التقدم في جميع المجالات.

يقول العلامة الشيخ «محمد جواد مغنية» (رحمه الله):

«الشريعة الإسلامية تعم وتشمل الأحكام الإلهية بكاملها، وتنقسم هذه الأحكام - من حيث موضوعها - إلى ثلاثة أقسام: عقيدة وعبادات ومعاملات، ونريد بكلمة المعاملات هنا كل الحقوق والالتزامات ماعدا العقيدة والعبادة والإرث والزواج والطلاق، لأن هذه الأمور الثلاثة بالعبادة أشبه.

وموضوع العقيدة حقيقة ثابتة في ذاتها، ولا يناط وجوده بأمر أو اقتناع، فالله وصفاته، واليوم الآخر وجزاؤه، ومحمد ورسالته، كل ذلك تشهد له أعلام الوجود، والشارع يؤكد هذا الوجود ويوجب الإيمان به، لأنه حق وصدق.

وعليه فلا تغيير وتجديد وتقليم وتطعيم في العقيدة مهما طال الزمن واختلفت الظروف، لأن طبيعة الموضوع تأبى ذلك وترفضه.

أما العبادة فلا عين لها ولا أثر في الخارج، وإنما ينط وجودها بأمر الشارع، فهو مصدرها، وبه قوامها، ومن هنا انعقد إجماع الفقهاء على أن العبادة من الأمور التوقيفية، وأن الأصل فيها المنع حتى يثبت الإذن من الشرع، ومن تعبد لله في شيء على أنه حكمه تعالى بلا إذن منه فقد أحدث في الدين وأبدع.. وإذن فلا تجديد وتغيير أيضاً في العبادة بعد أن حددت خطوطها بصورة حتمية ونهائية.

أما المعاملات بالمعنى المتقدم فليس للشارع فيها حقيقة شرعية كالعبادة، ولا هي ثابتة راسخة في نفسها كموضوع العقيدة، وإنما هي عادات وقواعد عرفية اصطلاح الناس عليها، والتزموا بها في التعاون والتعامل، كالبيع والشراء والرهن والإيجار ونحوه.. والشارع أقر بعضها كما هي، وألغى بعضاً من الأساس، وقلّم أو طعم البعض الآخر في نطاق المصلحة وحدود الله وحرامه.

وعليه فإن التجديد والتغيير ممكن في المعاملات بالخصوص، فإن مبادئ التشريع في المعاملات تفسح المجال لكل اجتهاد يستجيب لحاجات الناس في كل عصر ومصر»^(١).

٥. العالمية:

الإسلام جاء لكل الناس، فهو رسالة السماء لأهل الأرض جميعاً، فهو لا يختص بمجتمع دون مجتمع، ولا بأمة دون أخرى، ولا بزمان دون آخر، بل هو «رسالة» و «دين» لكل الناس، أينما كانوا، وحيثما وجدوا.

(١) الإسلام بنظرة عصرية، ص ٩٤.

ففي القرآن الكريم آيات عديدة تُوجه الخطاب إلى الناس جميعاً، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾^(١) و ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾^(٢) ويرى هدايته شاملة لجميع البشر ﴿لِلنَّاسِ﴾^(٣) و ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾^(٤) ومع التأمل في هذه الآيات، لا يبقى أي شك في عمومية الدعوة القرآنية، وعالمية الدين الإسلامي.

لقد أُريد لهذا الدين أن يكون لكل الناس، ولكل الأمم، وفي جميع الأزمنة والأمكنة، أُريد له أن يكون منهجاً عاماً للبشرية جمعاء في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة، لأنه منهج إلهي، وليس وليد بيئة محددة، أو ردة فعل تجاه أوضاع معينة، أو مخاض عقل بشري.. شأن كل المناهج والنظم الوضعية القاصرة، والتي لا تصلح حتى لزمن واحد، أو لمكان واحد كما أثبتت التجارب ذلك.

وبهذه الخصائص التي يمتاز بها الدين الإسلامي عن بقية المناهج والمذاهب الوضعية، يكون الإسلام هو المنهج الوحيد القادر على تلبية الحاجات الأساسية للإنسان، وتحقيق العدالة والحرية والمساواة، وتوفير السعادة للجميع.

المستقبل لهذا الدين:

تؤكد الآيات الشريفة والأحاديث المتواترة على حتمية الانتصار للدين الإسلامي، وأنه الدين الوحيد الذي سيعم العالم كله، حتى أنه لن يبقى غير مسلم إطلاقاً، كما وعد القرآن الحكيم حيث قال: ﴿هُوَ

(١) البقرة، ٢١. والنساء، ١، و ١٧٤. وفاطر، ١٥.

(٢) الأعراف، ٢٦، و ٢٧ و ٣١، و ٣٥. ويس، ٦٠.

(٣) البقرة، ١٨٥، و ١٨٧. وآل عمران، ١٣٨، وإبراهيم، ١، و ٥٢. والجن، ٢٠. والزمر، ٤١. والنحل، ٤٤. والكهف، ٥٤. والحشر، ٢١.

(٤) الأنعام، ٩٠. ويوسف، ١٠٤. وص، ٨٧. والتكوير، ٢٧. والقلم، ٥٢.

الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»^(١) ، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٢) ، كما قد ورد في الحديث عن النبي (ص) قوله: «أبشروا بالمهدي رجل من قريش من عترتي، يخرج في اختلاف من الناس وزلزال، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض»^(٣) ، وعن عباية بن ربعي أنه سمع أمير المؤمنين^(ع) يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ الآية أظهر ذلك بعد؟ «كلا والذي نفسي بيده؛ حتى لا يبقى قرية إلا نودي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله بكرة وعشياً»^(٤).

إن الإسلام هو خاتم الأديان، وأن النبي محمد (ص) هو خاتم الأنبياء، وأن هذا الدين بما يحمله من خصائص ومميزات مؤهل دون سواه ليكون دين العالم كله.

يقول «فيلفرد مراد هوفمان» - مؤلف كتاب (الإسلام هو البديل) وهو شخصية ألمانية سياسية، حيث كان يشغل منصب سفير ألمانيا في المغرب، وقد أسلم مؤخراً، وهو يدعو أوروبا للإسلام- يقول: «عندما كانت المواجهة قائمة بين عالم الغرب (الرأسمالي) والشيوعية، كان للإسلام أن يكون كخيار دون هذا وذاك، ولكن الإسلام اليوم، يرى نفسه كبديل لحل مشاكل الحياة في عالم بدأ يأخذ طابع الثنائية مجدداً.

ولاشك في أن كل من يملك بعداً في النظر، لن تخفى عليه حقيقة أن

(١) سورة التوبة، ٣٣.

(٢) سورة الأنبياء، ١٠٥.

(٣) كنز العمال، ج١٤، ص٢٦١، رقم الحديث ٣٨٦٥٣.

(٤) البحار، ج٥١، ص٦٠، رقم الحديث ٥٩.

الإسلام سوف يكون الدين الأكثر سيادة في القرن الحادي والعشرين»^(١).
وقد أَلَّف الأستاذ السيد محمد الرضي الرضوي كتاباً بعنوان «لماذا اخترنا الدين الإسلامي» أورد فيه آراء الكثير من الشخصيات البارزة في الغرب والذين اعتنقوا الدين الإسلامي نتيجة بحث وتنقيب وتتبّع عميق، فأمنوا بالإسلام عن قناعة ودراسة، وهو ما يؤكد عمق الفكر الإسلامي، وصواب العقيدة الإسلامية، وديناميكية التشريع الإسلامي.
والحقيقة أن كل من يدرس الإسلام دراسة عميقة، وبعيدة عن التعصب والأهواء، يستطيع أن يجزم، بدون أي تردد، أن المستقبل لهذا الدين، لأنه دين الفطرة، ودين الحق، ودين العقل، ودين العلم، ودين الحياة ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).

(١) الإسلام هو البديل، ص ٦.

(٢) سورة آل عمران، ٨٥.

فضل أهل البيت

يتفق المسلمون جميعاً على وجوب مودة أهل البيت^(١) ولزوم محبتهم وتقديرهم واحترامهم، وذلك انطلاقاً من الواجب الشرعي، والباعث العقلي.

وقد نطق القرآن الكريم بوجوب محبة وموالاتة أهل البيت^(٢) في كثير من آياته الشريفة.. ومنها:

١ - قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١) روى صاحب الكشاف أنه لما نزلت هذه الآية، قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال: «علي وفاطمة وابناهما» فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي (ص) وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم، كما ثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله (ص) أنه كان يحب علياً والحسن والحسين وإذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله^(٢).

(١) سورة الشورى، ٢٣.

(٢) التفسير الكبير، ج ٢٧، ص ١٤٣.

٢ - قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١) روى الترمذي عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي (ص) قال: «لما نزلت هذه الآية على النبي (ص) في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجللهم بكساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا». قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله، قال: أنتِ على مكانك، وأنتِ على خير»^(٢) والمسلمون يسمون هذا الحديث بحديث (الكساء).

٣ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٣) قال فخر الدين الرازي في تفسيره لهذه الآية.. المسألة الثالثة: سئل النبي (ص) كيف نصلي عليك يا رسول الله؟ فقال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»^(٤) وفي صحيح البخاري روى عند تفسيره هذه الآية عن كعب بن عجرة قيل: يا رسول الله.. أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»^(٥).

والإمامية يروون الحديث بدون كلمة (على) بين محمد وآله،

(١) سورة الأحزاب، ٣٣.

(٢) سنن الترمذي، ج ٨، ص ٣٤٤، رقم الحديث ٣٢٠٣. وج ٩، ص ٣٨٨، رقم الحديث ٣٨٧٠.

وقال حديث حسن صحيح، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب (باب فضل فاطمة ع).

(٣) سورة الأحزاب، ٥٦.

(٤) التفسير الكبير، ج ٢٥، ص ١٩٦.

(٥) صحيح البخاري، ج ٦، ص ٤٨٩، رقم الحديث ١٢٢٢.

وإبراهيم وآله، لذا يقولون: اللهم صل على محمد وآل محمد.

وقالوا أيضاً: تجب الصلاة على محمد وآله في التشهد، وتبطل الصلاة بتركها، وقال أبو حنيفة ومالك: لا تجب، ولكنها تستحب، وقال الشافعي: تجب الصلاة على محمد، ونقل عن أحمد بن حنبل روايتان أشهرهما: ما ذهب إليه مالك^(١).

وقد ورد في السنة المطهرة على لسان رسول الله (ص) أحاديث متواترة ومستفيضة.. وكلها تؤكد فضل أهل البيت ووجوب محبتهم والافتداء بهديهم والسير على نهجهم.. وإليك بعضاً منها:

١ - قوله (ص): «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^(٢).

٢ - عن زيد بن أرقم، أن رسول الله (ص) قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: «أنا حرب لمن حاربتم، وسلم لمن سالمتم»^(٣).

٣ - وعن زيد بن أرقم أيضاً قال: خطبنا رسول الله (ص) بماء يدعى خمًا^(٤) بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «أما بعد.. ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب

(١) أهل البيت منزلتهم مبادئهم عند المسلمين، ص ١٠٨.

(٢) سنن الترمذي، ج ٩، ص ٣٤٢، رقم الحديث ٣٧٩٠ باب (مناقب أهل بيت النبي (ص)).

(٣) سنن الترمذي، ج ٩، ص ٣٨٧، رقم الحديث ٣٨٦٩ باب (ما جاء في فضل فاطمة بنت محمد).

(٤) اسم لغيضة على نحو ثلاثة أميال من الجحفة غدير مشهور يضاف إلى الغيضة فيقال: غدير خم.

وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيت، أذكركم الله في أهل بيتي»^(١).

٤ - عن أبي ذر (رضي الله عنه) قال، قال رسول الله (ص): «إن مثل أهلي بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك»^(٢).

٥ - وعنه (ص) قال: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي»^(٣).

٦ - وعنه (ص) قال: «أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه، والخب لهم بقلبه ولسانه»^(٤).

٧ - عن ابن عباس قال: قال النبي (ص): «من سرّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنّة عدن التي غرسها ربي فليوال علياً من بعدي وليوال وليّه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي، فإنهم عترتي، خلّقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذّبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتّي، لا أنا لهم الله شفاعتي»^(٥).

والأحاديث في هذا الباب لا يبلغها الإحصاء^(٦).. وكلها تؤكد على فضل أهل البيت ولزوم اتباعهم، والافتداء بهم، وموالاتهم، ومعاداة

(١) صحيح مسلم، ج ٢، ص ٣٦٢ باب (من فضائل علي بن أبي طالب).

(٢) كنز العمال، ج ١٢، ص ٩٤، رقم الحديث ٣٤١٤٤.

(٣) كنز العمال، ج ١٢، ص ٩٦، رقم الحديث ٣٤١٥٥.

(٤) كنز العمال، ج ١٢، ص ١٠٠، رقم الحديث ٣٤١٨٠.

(٥) كنز العمال، ج ١٢، ص ١٣، رقم الحديث ٣٤١٩٨.

(٦) للمزيد من الاطلاع.. راجع كتب الحديث المعتمدة عند المسلمين، باب (فضل أهل البيت).

أعدائهم.

يقول الدكتور «محمد عبده يماني»: «نحن -المسلمين- نتولّى آل البيت بالحب والتقدير والإعزاز والمودة والاتباع والاقتداء، وقد تعبدنا الله تعالى بالصلاة والسلام عليهم، وجعل ذلك في الصلاة قبل التسليم، مقروناً إلى الصلاة والتسليم على سبب شرفهم، وتاج مجدهم، سيد الأولين والآخرين محمد عليه الصلاة والسلام»^(١).

وللإمام الشافعي أبيات رائعة في حبه لأهل البيت^(ع)، فمن شعره:
يا راكباً قف بالمخَصَّبِ من منى واهتف بقاعد خيفِها والنَّاهِضِ
سَحَرًا إذا فاض الحجيج إلى منى فيضاً كملتطم الفرات الفائضِ
إن كان رفضاً حُبُّ آل محمدٍ فليشهد الثَّقلان أني رافضي^(٢)
وقال أيضاً في أبيات جميلة:

يا آل بيتِ رسولِ اللهِ حُبُّكُمْ فرضُ من اللهِ في القرآن أنزلهُ
يكفيكم من عظيمِ الفخر أنْكُمْ من لم يُصلِّ عليكم لا صلاةَ لَهُ^(٣)
وقال أيضاً في حب علي وسبطيه وفاطمة^(ع):

إذا في مجلس نذكر علياً وسبطيه وفاطمة الزكية
يُقَالُ تجاوزوا يا قوم هذا فهذا من حديث الرافضية
برئتُ إلى المهيمن من أناسٍ يرونَ الرفضَ حُبَّ الفاطمية^(٤)

(١) علموا أولادكم محبة آل بيت النبي (ص)، ص ١٨.

(٢) ديوان الشافعي، ص ٥٥.

(٣) ديوان الشافعي، ص ٧٢.

(٤) ديوان الشافعي، ص ٩٠.

«أما الإمام أحمد بن حنبل فكتابه «مسند أحمد» مشحون بفضائل علي^(ع) كما أُلّف كتاباً كبيراً في فضائل أهل البيت^(ع)، وإن نسخة منه كانت في خزانة مشهد الإمام علي^(ع) بالنجف، وكان أبو حنيفة يحب أهل البيت^(ع) ويذل لهم الأموال الطائلة، وقد أفتى بنصرة زيد بن علي، وحمل الأموال إليه، كما أفتى بالخروج مع إبراهيم بن عبد الله الحسيني لحرب المنصور، وضرب أبو حنيفة بالسياط وحبس وعذب، وأخيراً سقاه المنصور السم فمات، كل ذلك في سبيل حبه لأبناء الإمام علي، وبغض أعدائهم»^(١).

لقد أجمع علماء هذه الأمة وفقهاؤها على وجوب المحبة والمودة لأهل البيت، واتفق المسلمون على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم على تعظيم أهل البيت وتبجيلهم واحترامهم، فلا يوجد مسلم على وجه الأرض إلا وهو يكن حباً عميقاً لآل البيت^(ع)، يبعث على ذلك الواجب الشرعي، والحب العميق للنبي (ص)، هذا الحب الذي لا يكتمل إلا بمحبة أقرب الناس إليه، وهم أهل بيته، الذين لم يرثوا عن النبي (ص) شرف الانتساب إليه فقط، وإنما ورثوا أيضاً علومه وشمائله وأخلاقه، مما يستدعي مضاعفة الحب والمودة والاحترام والولاء لآل البيت^(ع).

كيف نحب أهل البيت؟

من أجل تجسيد المفهوم الحقيقي لمعنى (حب أهل البيت) علينا اتباع ما يلي:

١ - دراسة حياة الأئمة^(ع) دراسة تحليلية، والتعرف على تاريخهم، وأفكارهم، وأعمالهم.. بصورة تفصيلية.

(١) أهل البيت منزلتهم مبادئهم عند المسلمين، ص ٩٩.

ومن المخجل حقاً أن يعرف أحدنا الأسماء البارزة والمغمورة في عالم الفن والرياضة، ويكون ملماً بالتفاصيل عن حياتهم، في الوقت الذي يجهل فيه أبسط الأشياء عن تاريخ أهل البيت، ومع ذلك يعتبر نفسه محباً وموالياً لهم!

إن الحب يدفع بالحب لمعرفة كافة التفاصيل عن المحبوب، ولا يمكن أن نعتبر الجهل بحياة أهل البيت إلا نقيضاً للحب والود والولاء.

ومن أبرز علامات الحب الحقيقي لهم^(٤) قراءة سيرة حياتهم، والاطلاع على تفاصيل أعمالهم، والإلمام الشامل والدقيق بشخصياتهم.

٢ - أن نجعلهم قدوات لنا، ورموزاً للحق والفضيلة، فهم أئمة الهدى، ولذلك يجب الاقتداء والتأسي بهم، وبذلك نحقق معنى «الولاية» لأهل البيت، فولايته تعني اتباعهم في الدين، وامثال أوامرهم ونواهيهم، والتأسي بهم في الأعمال والأخلاق.

يقول الإمام الصادق^(٥): «ليس من شيعتنا من قال بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا، ولكن شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه، واتبع آثارنا وعمل بأعمالنا، أولئك شيعتنا»^(١). وقال الإمام الباقر^(٥): «أيكفي من انتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله»^(٢). فالالتزام بالدين، واتباع تعاليمه ومثله وقيمه، هو التجسيد العملي لولاية أهل البيت، فقد روي عن الإمام الباقر أيضاً قوله: «إنما شيعتنا من أطاع الله عز وجل»^(٣). وعن أمير المؤمنين^(٥) قال: «أما المطيعون لنا فسيغفر الله ذنوبهم

(١) البحار، ج ٦٥، ص ١٦٤، رقم الحديث ١٣.

(٢) روضة الواعظين، ص ٣٢٢.

(٣) البحار، ج ٦٥، ص ١٥٣، رقم الحديث ٧.

امتناناً إلى إحسانهم» قالوا: يا أمير المؤمنين: ومن المطيعون لكم؟ قال: «الذين يوحّدون ربهم، ويصفونه بما يليق به من الصفات، ويؤمنون بمحمد نبيه (ص) ويطيعون الله في إتيان فرائضه وترك محارمه، ويحيون أوقاتهم بذكره، وبالصلاة على نبيه محمد وآله الطاهرين، ويتقون على أنفسهم الشح والبخل، ويؤدّون كل ما فرض عليهم من الزكاة ولا يمنعونها»^(١). وقال الإمام الصادق^(ع): «شيعتنا أهل الورع والاجتهاد، وأهل الوفاء والأمانة، وأهل الزهد والعبادة، أصحاب إحدى وخمسين ركعة في اليوم والليلة، القائمون بالليل، الصائمون بالنهار، يزكون أموالهم، ويحجون البيت، ويجتنبون كل محرم»^(٢).

فمن يوالي أهل البيت ويحبهم، عليه أن يكون مطيعاً لله عزّ وجلّ، ممتثالاً لأوامره، منتهياً عن زواجه.. أما من يرتكب المحرمات تلو المحرمات، ويخالف تعاليم الشرع في كل لحظة، فليس له أن يعتبر نفسه إلا من أتباع الشيطان!

٣ - أن ننهل من علومهم وفكرهم وفلسفتهم في الحياة، ففكر أهل البيت هو فكر الإسلام، وتراثهم هو تراث الإسلام، فقد روي عن الرسول (ص) قوله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأتته من باب»^(٣). وروي عنه أيضاً (ص) قوله: «أنا دار الحكمة، علي بابها»^(٤). وقال الإمام علي^(ع) في خطبة يذكر فيها حال الأئمة وصفاتهم: «... جعلهم الله حياة للأنام، ومصابيح للظلام، ومفاتيح للكلام، ودعائم للإسلام»^(٥) فأهل البيت^(ع) هم منبع العلم، وبحر الحكمة، ومن يأخذ العلم من غيرهم ينطبق عليه

(١) البحار، ج ٦٥، ص ١٦٣، رقم الحديث ١٢.

(٢) البحار، ج ٦٥، ص ١٦٧، رقم الحديث ٢٣.

(٣) كنز العمال، ج ١١، ص ٦١٤، رقم الحديث ٣٢٩٧٩.

(٤) سنن الترمذي، ج ٩، ص ٣٠٦، رقم الحديث ٣٧٢٥.

(٥) ميزان الحكمة، ج ١، ص ١٩٣، رقم الحديث ٩٢٤.

قوله^(ع): «تركوا صافياً وشربوا آجناً^(١)»^(٢)

إن من يملك علوم أهل البيت يستغني عن الأفكار المستوردة من هنا وهناك، فأهل البيت هم «شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم ..»^(٣) كما يقول الإمام علي^(ع)، فعلم أهل البيت^(ع) بحار زاخرة بجميع أنواع العلم والمعرفة، فقد روي عنهم أكثر من مائة ألف حديث ورواية، وهي بلا شك تشكل تراثاً ضخماً من المعرفة، وتمثل المنظومة الفكرية في الإسلام، بما تعبر عنه من مضامين عقدية وفقهية واجتماعية ونفسية وأخلاقية وسياسية واقتصادية.

٤ — أن نخلد ذكرهم، بنشر فضائلهم وعلومهم، وبإقامة الاحتفالات في ذكرى مواليدهم، والمآتم في أيام وفاتهم، وذلك من أجل استذكار سيرتهم العطرة، ووفاء لأداء حق المودة إليهم^(٤) ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٥).

كما ينبغي تسمية أولادنا بأسمائهم، علماً بأن للاسم تأثيراً على شخصية صاحبه، فقد روي عن الإمام الصادق^(ع) قوله: «كان رسول الله (ص) يغير الأسماء القبيحة في الرجال والبلدان»^(٥) وعن النبي (ص) قال: «إن أول ما ينحل أحدكم ولده الاسم الحسن فليحسن أحدكم اسم ولده»^(٦) وعن أبي الحسن^(ع) قال: «لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمد أو أحمد أو علي أو

(١) الآجن: الماء المتغير اللون والطعم.

(٢) نهج البلاغة، ج ٢، ص ٣١٨، خطبة ١٤٤.

(٣) ميزان الحكمة، ج ١، ص ١٩٢، رقم الحديث ٩٢٠.

(٤) سورة الشورى، ٢٣.

(٥) البحار، ج ١٠١، ص ١٢٧، رقم الحديث ٤.

(٦) البحار، ج ١٠١، ص ١٣٠، رقم الحديث ٢٠.

الحسن أو الحسين أو جعفر أو طالب أو عبدالله أو فاطمة من الناس»^(١).

ومن المؤسف أن نرى بعض المسلمين اليوم يسمون أولادهم بأسماء النصراري واليهود! مع العلم أن أسماء الأئمة^(ع) هي أجمل وأروع الأسماء، ولكنه التقليد الأعمى، وانعدام الثقة بالذات، نتيجة للانبهار بالحضارة المادية المعاصرة.

ومن الضروري كذلك تسمية المحلات والمؤسسات والشوارع بأسمائهم^(ع) تبركاً وتيمناً بهم، وتخليداً لذكراهم، وتعريفاً بفضلهم وحقهم علينا، فعن ربعي بن عبدالله قال: قيل لأبي عبدالله^(ع): جعلت فداك.. إننا نسمي بأسمائكم وأسماء آبائكم فينفعنا ذلك؟ فقال: «أي والله.. وهل الدين إلا الحب؟»^(٢).

وبتحويل هذه النقاط الأربع إلى ممارسة عملية نجسد معنى «الحبة والمودة والولاء» لأهل البيت^(ع)، وإلا فالولاء والحبة إذا كانت مجرد قلقلة لسان، وعواطف جياشة، فإنها ستتحول إلى مشاعر بليدة، وعواطف فارغة، وولاء أجوف، وحب بارد، بل إن الولاء الذي لا يتجسد أفكاراً وسلوكاً، يتحول إلى ولاء سلبي، وحب قاتل!

إن السلوك والممارسة والتطبيق العملي وفقاً لمنهج أهل البيت.. وتحويل الأقوال إلى أفعال، والأفكار إلى طاقة منتجة، والقيم إلى التزامات وحدود وضوابط.. هي وحدها المعبر الحقيقي عن مضمون «الحب» و«الولاء» لأهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

(١) البحار، ج ١٠١، ص ١٣١، رقم الحديث ٢٥.

(٢) البحار، ج ١٠١، ص ١٣٠، رقم الحديث ١٩.

القضاء والقدر

ما من شيء يحدث في هذا الكون من كلية أو جزئية، من صغيرة أو كبيرة، في السماء أو في الأرض، في أي زمان أو مكان.. إلا بقضاء الله وقدره، فقد ورد عن أبي الحسن الأول^(ع) أنه قال: «لا يكون شيء في السماوات والأرض إلا بسبعة: بقضاء، وقدر، وإرادة، ومشية، وكتاب، وأجل، وإذن، فمن قال غير هذا فقد كذب على الله، أو ردّ على الله عزّ وجل»^(١) وقال أمير المؤمنين^(ع): «أوحى الله تعالى إلى داود: يا داود.. تريد وأريد، ولا يكون إلا ما أريد، إن أسلمت لما أريد أعطيتك ما تريد، وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد»^(٢).

ويجب على المؤمن الإيمان بقضاء الله وقدره، لأنه لا يقضي إلا بالحق، يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ..﴾^(٣) وقد جاء في الحديث عن النبي (ص) قوله: «قال الله جلّ جلاله: من لم يرضَ بقضائي، ولم يؤمن بقدري،

(١) البحار، ج ٥، ص ٨٨، رقم ٧.

(٢) البحار، ج ٥، ص ١٠٤، رقم ٢٨.

(٣) سورة غافر، ٢٠.

فليلتمس إلهاً غيري» ^(١) ولا يقدر إلا ما كان صواباً ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ^(٢) ولا يفعل إلا ما كان عدلاً، وفيه مصلحة وحكمة.. فعن الإمام الصادق ^(ع) قال: «في قضاء الله كل خير للمؤمن» ^(٣) وعن رسول الله (ص) قال: «عجباً للمؤمن لا يقضي الله عليه قضاء إلا كان خيراً له سره أو ساءه، إن ابتلاه كان كفارة لذنبه، وإن أعطاه وأكرمه كان قد حباه» ^(٤).

معنى القضاء:

أ. المعنى اللغوي:

القضاء بمعنى العمل، ويكون بمعنى الصنع والتقدير، قضى الشيء قضاءً صنعه وقدره، وكل ما أحكم عمله أو أتم أو ختم أو أدى أداءً أو أوجب أو أعلم أو أنفذ أو أمضى فقد قضى.

وقضى أي حكم، ومنه القضاء للفصل في الحكم. والقضاء: الإعلام، تقول: قضينا إليه ذلك الأمر، أي أنهينا إليه، وأبلغناه ذلك.

ب. المعنى القرآني:

أطلق القضاء - قرآنياً - على المعاني الآتية:

١ - الخلق والإحداث.. كقوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ^(٥) أي خلقهن وأوجدهن.

(١) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ١٧٧، رقم ١٦٤٨٧.

(٢) سورة القمر، ٤٩.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ١٧٥، رقم ١٦٤٨٠.

(٤) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ١٧٥، رقم ١٦٤٨١.

(٥) سورة فصلت، ١٢.

٢ - الحكم.. لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾^(١) أي يحكم بالحق، ومنه اشتقاق القاضي.

٣ - الأمر والإلزام.. لقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(٢) أي أمر.

٤ - الإعلام والإخبار.. لقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾^(٣) أي أعلمنا وأخبرنا.

ولا يجوز أن تكون أفعالنا بقضاء الله بمعنى أنه خلقها لأنها فعلنا، والفعل الواحد لا يكون من فاعلين، فأما القضاء بمعنى الحكم والإلزام فلا يجوز إجماعاً، وأما القضاء بمعنى الإخبار والإعلام فيجوز أن يقال على ضرب من التقييد لأن الله أخبر وأعلم ما لنا في فعل الطاعة من الثواب، وما علينا بفعل المعاصي من العقاب.

معنى القدر:

أ. المعنى اللغوي:

إن لفظة «القدر» بمعنى المقدار، و«التقدير» يعني قياس الشيء وجعله على مقدار، وصنع كل شيء بحد معين.

وأحياناً تستعمل كلتا الكلمتين «القضاء» و«القدر» بمعنى مترادف حيث تستعملان في معنى «المصير».

(١) سورة غافر، ٢٠.

(٢) سورة الإسراء، ٥٣.

(٣) سورة الإسراء، ٤.

ب . المعنى القرآني:

استعمل «القدر» قرآنياً في المعنيين الآتيين:

١ - الخلق والتنظيم والتدبير والترتيب .. مثل قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا..﴾^(١) ، وقوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾^(٢) ، وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾^(٣).

٢ - البيان والإخبار .. كقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمْرًا قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾^(٤) أي أخبرنا وبيننا ذلك. وعلى هذا يجوز أن يقال: أفعالنا بقدر الله بمعنى أنه قدر ما عليها من الثواب والعقاب.

ومن كل ما سبق .. نستنتج أن معنى القضاء والقدر: هو العلم بأفعال العباد وحكمه عليهم، وإلزامهم بفعله إذا كان واجباً أو حسناً، ونهيهم عن فعله إذا كان محرماً أو مضرراً.

وهكذا يكون قضاء الله وقدره تعبيراً آخر عن أمره وحكمه وتكاليفه الموجهة للعباد، ويكون رضانا بالإسلام وإقرارنا بالشرعية رضاً بقضاء الله وإقراراً بقدره.

مفهوم القضاء والقدر:

المراد من التقدير الإلهي، أن الله تعالى جعل لكل حادث مقداراً وحدوداً، كمية وكيفية، وزمانية ومكانية معينة، في تحققه بفعل العلل

(١) سورة فصلت، ١٠.

(٢) سورة يس، ٣٩.

(٣) سورة الفرقان، ٢.

(٤) سورة النمل، ٥٧.

والعوامل التدريجية، والمراد من القضاء الإلهي، إيصال الشيء إلى مرحلته النهائية والحتمية بعد توافر المقدمات والأسباب والشروط لذلك الحادث.

وعلى ضوء هذا التفسير، تكون مرحلة التقدير متقدمة على مرحلة القضاء، ويدل على ذلك قول الإمام الصادق^(ع): «إن الله إذا أراد شيئاً قدره، فإذا قدره قضاء، فإذا قضا أمضاه»^(١).

وقال الشيخ المفيد شارحاً معنى ومفهوم القضاء والقدر:

«والوجه عندنا في القضاء والقدر.. أن الله تعالى في خلقه قضاءً وقدرًا، وفي أفعالهم أيضاً قضاءً وقدرًا معلوم، ويكون المراد بذلك أنه قد قضى في أفعالهم الحسنة بالأمر بها، وفي أفعالهم القبيحة بالنهي عنها، وفي أنفسهم بالخلق لها، وفيما فعله فيهم بالإيجاد له، والقدرة منه سبحانه فيما فعله إيقاعه منه في حقه وفي موضعه، وفي أفعال عباده ما قضاها فيها من الأمر والنهي والثواب والعقاب، لأن ذلك كله واقع موقعه، موضوع في مكانه، لم يقع عبثاً ولم يضع (ولم يصنع) باطلاً، فإذا فسر القضاء في أفعال الله تعالى والقدر بما شرحناه زالت الشبهة منه، وتثبت الحجة به، ووضح فيه لذوي العقول، ولم يلحقه فساد ولا إخلال»^(٢).

وعلى هذا.. فإن القضاء والقدر لا ينافي حرية إرادة الإنسان، فالإنسان مسؤول لأنه حر في إرادته واختياره، ولو كان الإنسان مجبراً على أفعاله، لسقط اللوم والعقاب عن العاصي، ولما استحق المطيع ثواباً على عمله وفعله، يقول الإمام علي^(ع): «أتظن أن الذي هناك دهاك، إنما

(١) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٤٩، رقم ١٦٠٤٥.

(٢) تصحيح الاعتقاد، ص ٤١.

دهاك أسفلك وأعلاك ، والله بريء من ذلك» ^(١) وقال أيضاً: «لو كان الزور في الأصل محتوماً ، كان الموزور في القضاء مظلوماً» ^(٢).

ووجوب الرضا بقضاء الله وقدره لا يعني سوى وجوب القبول والاستسلام والإيمان والإذعان لما أوجب الله علينا وبين لنا من أمر وحكم.

لا جبر ولا تفويض:

ذهب قوم وهم (المجبرة) إلى أنه تعالى هو الفاعل لأفعال المخلوقين ، فيكون قد أجبر الناس على المعاصي وهو مع ذلك يعذبهم عليها ، وأجبرهم على فعل الطاعات ومع ذلك يثيبهم عليها ، لأنهم يقولون أن أفعالهم في الحقيقة أفعاله ، وإنما تنسب إليهم على سبيل التجوز لأنهم محلها ، ومرجع ذلك إلى إنكار السببية الطبيعية بين الأشياء ، وأنه تعالى هو السبب الحقيقي لا سبب سواه.

وقد أنكروا السببية الطبيعية بين الأشياء ، إذ ظنوا أن ذلك هو مقتضى كونه تعالى هو الخالق الذي لا شريك له ، ومن يقول بهذه المقالة فقد نسب الظلم إليه - تعالى عن ذلك -.

وذهب قوم آخرون وهم (المفوضة) إلى أنه تعالى فوض الأفعال إلى المخلوقين ، ورفع قدرته وقضائه وتقديره عنها ، باعتبار أن نسبة الأفعال إليه تعالى تستلزم نسبة النقص إليه ، وأن للموجودات أسبابها الخاصة وأن انتهت كلها إلى مسبب الأسباب والسبب الأول ، وهو الله تعالى ،

(١) البحار، ج ٥، ص ٥٨، رقم الحديث ١٠٨.

(٢) وورد في البحار ج ٥، ص ٥٨، رقم الحديث ١٠٨ ما نصه: «لو كان الزور في الأصل محتوماً كان الموزور في القصاص مظلوماً» .

ومن يقول بهذه المقالة فقد أخرج الله تعالى من سلطانه، وأشرك غيره معه في الخلق.

واعتقادنا في ذلك تبع لما جاء عن أئمتنا الأطهار^(ع) من الأمر بين الأمرين، والطريق الوسط بين القولين، فقد قال الإمام الصادق^(ع) كلمته المشهورة: «لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين» ويعني: أن أفعالنا من جهة هي أفعالنا حقيقة ونحن أسبابها الطبيعية، وهي تحت قدرتنا واختيارنا، ومن جهة أخرى هي مقدورة الله تعالى وداخله في سلطانه، لأنه هو مفيض الوجود ومعطيه، فلم يجبرنا على أفعالنا حتى يكون قد ظلمنا في عقابنا على المعاصي، لأن لنا القدرة والاختيار فيما نفعل، ولم يفوض إلينا خلق أفعالنا حتى يكون قد أخرجها عن سلطانه، بل له الخلق والحكم والأمر، وهو قادر على كل شيء ومحيط بالعباد^(١).

وقد وضع الإمام الرضا^(ع) مفهوم: «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين» في كلمات بليغة وواضحة.. فقد روى يزيد بن عمير بن معاوية الشامي قال: دخلت على علي بن موسى الرضا بمرو، فقلت له: يا بن رسول الله روي لنا عن الصادق جعفر بن محمد^(ع) أنه قال: «لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين» ما معناه:

فقال: من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها، فقد قال (بالجبر) ومن زعم أن الله فوض أمر الخلق والرزق إلى حججه^(ع) فقد قال (بالتفويض) والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك.

فقلت: يا بن رسول الله.. فما أمر بين الأمرين؟

(١) عقائد الإمامية، ص ٦٧.

فقال: وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به، وترك ما نهوا عنه.

قلت: وهل لله مشيئة وإرادة في ذلك؟

فقال: أما الطاعات، فإرادة الله ومشيتته فيها الأمر بها، والرضا لها، والمعاونة عليها، وإرادته ومشيتته في المعاصي، النهي عنها، والسخط لها، والخذلان عليها.

قلت: فلله عز وجل فيها القضاء؟

قال: نعم.. ما من فعل يفعل العباد من خير أو شر إلا والله فيه قضاء.

قلت: ما معنى هذا القضاء؟

قال: الحكم عليهم بما يستحقونه من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة^(١).

وروي أنه سئل أمير المؤمنين^(ع) عن القضاء والقدر، فقال: «لا تقولوا: وكلهم الله إلى أنفسهم فتوهّنوه، ولا تقولوا: جبرهم على المعاصي فتظلموه، ولكن قولوا: الخير بتوفيق الله، والشر بخذلان الله، وكل سابق في علم الله»^(٢).

وفي رواية أخرى يوضح الإمام علي^(ع) مفهوم القضاء والقدر بصورة واضحة وينفي الجبر والتفويض في كلمات رائعة وجلية.. وإليك نص الرواية:

روي عن علي بن محمد العسكري^(ع) في رسالته إلى أهل الأهواز في نفي الجبر والتفويض أنه قال: روي عن أمير المؤمنين^(ع) أنه سأله رجل بعد انصرافه من الشام، فقال: يا أمير المؤمنين.. أخبرنا عن خروجنا من الشام أبقضاء وقدر؟

(١) الاحتجاج، ج ٢، ص ١٩٨.

(٢) البحار، ج ٥، ص ٩٥، رقم ١٦.

فقال له أمير المؤمنين: نعم يا شيخ ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن وادٍ إلا بقضاء من الله وقدره.

فقال الرجل: عند الله احتسب عنائي، والله ما أرى لي من الأجر شيئاً.

فقال علي^(ع): بلى.. فقد عظم الله لكم الأجر في مسيركم وأنتم ذاهبون، وعلى منصرفكم وأنتم منقلبون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين. فقال الرجل: وكيف لا نكون مضطرين والقضاء والقدر ساقانا، وعنهما كان مسيرنا؟

فقال أمير المؤمنين^(ع): لعلك أردت قضاء لازماً وقدرًا حتمًا، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، والأمر من الله والنهي، وما كانت تأتي من الله لائمة المذنب، ولا محمداً لمحسن، ولا كان المحسن أولى بثواب الإحسان من المذنب، ولا المذنب أولى بعقوبة الذنب من المحسن، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان، وجنود الشيطان، وخصماء الرحمن، وشهداء الزور والبهتان، وأهل العمى والطغيان، هم قدرية هذه الأمة ومجوسها، وإن الله تعالى أمر تحييراً، ونهى تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكرهاً، ولم يرسل الرسل هزلاً، ولم ينزل القرآن عبثاً، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار. قال ثم تلا عليهم ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾.

قال: فنهض الرجل مسروراً وهو يقول: أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النشور من الرحمن رضواناً إلى آخر الأبيات^(١).

(١) البحار، ج ٥، ص ٩٥، رقم ١٩.

وروي أن الرجل قال: فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا أمير المؤمنين؟

قال^(ع): «الأمر بالطاعة، والنهي عن المعصية، والتمكين من فعل الحسنة، وترك المعصية، والمعونة على القربة إليه، والخذلان لمن عصاه، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، كل ذلك قضاء الله في أفعالنا وقدره لأعمالنا، أما غير ذلك فلا تظنه فإن الظن له محبط للأعمال.

فقال الرجل: فرجت عني يا أمير المؤمنين فرج الله عنك»^(١).

بهذه الكلمات البليغة يوضح الإمام علي^(ع) المفهوم الحقيقي للقضاء والقدر، وأنه ليس سوى الالتزام بما أمر الله عز وجل، وترك ما نهى عنه، وبهذا المعنى لا تنافي بين حرية الإنسان وإرادته وبين القضاء والقدر «إن الله تعالى أمر تحييراً، ونهى تحذيراً».

ويخطئ من يخضع جميع الوقائع والأحداث إلى القضاء والقدر الحتميين، معتبراً أن الإنسان ليس سوى كائن مجبر على أفعاله وسلوكه، بيد أن هذه النظرية تشير إلى عجز الإنسان عن القيام بأي دور أو فعل، باعتباره مخلوقاً مسيراً، لا إرادة له ولا قرار في تصرفاته وأعماله وسلوكه، وهذا المعنى واضح الخطأ لمن فهم المعنى الواقعي للقضاء والقدر «لعلك أردت قضاء لازماً وقدرًا حتمًا، لو كان ذلك كذلك، لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد» فلا معنى للثواب والعقاب إذا كان الإنسان مجرد آلة تتحرك بوحى من غيرها!

إن الإمام علي^(ع) قد فند نظرية «الجبر» ونظرية «التفويض» بعبارات قوية وبليغة، وكل من تدبر في كلام الإمام^(ع) سيجد ضعف

(١) البحار، ج ٥، ص ٩٦، رقم ٢٠.

وخوار تلك النظريتين، وأن العقل الصحيح ينص أيضاً على ضعفهما وتهافتهما.

والخلاصة.. أن مشيئة الإنسان هي ضمن المشيئة الإلهية، وعليه فإن الأفعال الصادرة منها هي بإرادتنا واختيارنا ومشيتنا، ولكننا لا نشاء شيئاً إلا بمشيئة الله، يقول تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(١). وكما قال الإمام علي: «لم يعص مغلوباً، ولم يطع مكرهاً» ولكنه أمر بفعل الطاعات، ونهى عن إتيان المعاصي، وسيحاسب الإنسان وفقاً لاختياره وفعله، ف«لا جبر ولا تفويض، ولكنه أمر بين الأمرين» فمن شاء اهتدى إلى طريق الخير بفعل الطاعات والالتزام بتعاليم الشرع المقدس، ومن شاء ضل بسوء اختياره وعمله. يقول تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٢).

البهلول يلقي الخطيب درساً لا ينسى:

كان الخطيب فوق المنبر، وقد امتلأ رأسه بالغرور والعنجهية، ظناً منه أنه أصبح علامة العلماء، وترجع على قمة العلم والفلسفة!

أخذ هذا الخطيب المغرور، يذكر أقوال الإمام الصادق^(ع) ويفندها بأدلة أوهم من بيت العنكبوت! كان يتحدث للناس عن مسألة في الفلسفة، ذكرها الإمام الصادق^(ع)، وكان يرد عليها بغرور لا حدود له!

وإليك القصة بالتفصيل:

أتى البهلول إلى المسجد يوماً، والخطيب يقرر للناس علومه، وقال في

(١) سورة الإنسان، ٣٠.

(٢) سورة الكهف، ٢٩.

جملة كلامه: إن جعفر بن محمد تكلم في مسائل ما يعجبني كلامه فيها!

الأولى: يقول إن الله سبحانه موجود، ولكنه لا يرى لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهل يكون موجود لا يرى، ما هذا إلا تناقض!

الثانية: أنه قال إن الشيطان يعذب في النار مع أن الشيطان خلق من النار، فكيف الشيء يعذب بما خلق منه؟!

الثالثة: أنه يقول إن أفعال العباد مستندة إليهم، مع أن الآيات دالة على أنه تعالى فاعل كل شيء!

فلما سمعه «البهلول» أراد أن يلقيه درساً عملياً لا يُنسى، بحيث يكون أبلغ من الكلام والجدال في هذه المسائل.

أخذ «البهلول» مدرة وضرب بها رأس «الخطيب المغرور» فشجه، وصار الدم يسيل على وجهه ولحيته بقوة!

وهنا بادر «الخطيب» للذهاب إلى الخليفة يشكو له من «البهلول» فلما أحضر «البهلول» عند الخليفة الرشيد العباسي، دار الحوار الساخن بين الخطيب والبهلول على النحو التالي:

قال الخطيب -والدم يجري من جبهته-: ويلك يا بهلول، لماذا ضربتني هكذا؟!

قال البهلول: لست أنا الذي ضربتك، وإنما هو الله...! ألم تقل إن الأفعال كلها لا فاعل لها إلا الله؟! وإن الخير والشر من الله؟ فهذا الحجر من الله، وليس مني!

ثم تابع البهلول في كلامه:

وأنت أيها الخطيب، ألم تقل إن الإنسان مسير وليس بمخير،

فهاأنذا مسير.. عندما ضربتك، وليس لي أي ذنب!

هذا والخطيب يصرخ من شدة الألم.. وعندها أراد البهلول أن يفند مسألة «رؤية الله» التي قالها الخطيب.. فقال له:

ألست تزعم أن كل شيء موجود لا بد أن يرى؟! فهذا الوجد في رأسك موجود وتحس به جيداً ومع ذلك لا يراه أحد!

وأضاف «البهلول» قائلاً:

ألست تدعي أن الجنس لا يتعذب بجنسه؟! وأنت -أيها الخطيب- خلقت من التراب، وهذه المدرة التي شجت جبهتك من التراب أيضاً، فكيف جرحك التراب وأدماك؟! وهنا أعجب الرشيد بكلام البهلول، وأفرج عنه، وأسقطت الدعوى المقامة ضده! وانتصر «البهلول» ونقل الخطيب للعلاج.

وهكذا لقّن «البهلول» الخطيب درساً عملياً في بطلان نظرية «الجبر» وعلمه معنى المشيئة والقضاء والقدر بطريقة عملية وفعالة ومقنعة!

معطيات هامة:

إن التفسير الصحيح لمفهوم «القضاء والقدر» يجنب الإنسان الوقوع في الأخطاء القاتلة، ذلك لأن التفسير الخاطيء لمفهوم «القضاء والقدر» له نتائج خطيرة على مسيرة الإنسان في الحياة، ومصيره فيما بعد الموت، فالفهم الخاطيء -للقضاء والقدر- يؤدي بالإنسان إلى قبول الظلم والجور، والتهرب من تحمل المسؤولية، ويصبح عاجزاً ومتكاسلاً عن أداء واجباته في الحياة، وذلك بحجة انعدام الجدوى من العمل

والنشاط والإنتاج، مادام كل شيء بقضاء وقدر!

بينما فهم معنى «القضاء والقدر» بالتفسير الصحيح له، والذي يعني امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وأن في هذه الدنيا مجموعة من القوانين والأسباب والسنن التي وضعها الله عز وجل، وعلى الإنسان أن يتعاطى مع هذه السنن والقوانين المودعة في هذا الكون، هذا الفهم هو الذي يدفع الإنسان نحو طاعة الله عز وجل، وعدم مخالفة سنن وقوانين الكون والحياة، وعلى هذا الأساس، فالسعادة أو الشقاء الأبدي للإنسان، إنما هو نتيجة أفعاله الاختيارية، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا^(٣).

وهكذا.. فإن القضاء والقدر يعتبر مرحلة متقدمة لمعرفة الله جلّ وعلا، ويؤدي إلى الالتزام بالشرعية، ومضاعفة العمل والنشاط والعطاء والإنتاج ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(٤).

(١) سورة البقرة، ٢٨٦.

(٢) سورة النجم، ٣٩.

(٣) سورة الشمس، ٩ - ١٠.

(٤) سورة الزلزلة، ٧ - ٨.

فوائد الاعتقاد بالبداء

لاشك في أن الله عز وجلّ عالم بجميع الأشياء كبيرها وصغيرها، يعلم بكل حركة يتحركها إنسان أو حيوان أو نبات في الأرض أو البحر، بل وهو العالم بخطر القلوب ولحظات العيون، يقول تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(١).

وهو العالم -جلّ وعلا- بعدد الرمل والحصى، ويعلم بما هو موجود في الحال، وما يصدر عنه في المستقبل، ومحيط بكل ما خلقه من سماوات وأراض وجبال وأودية وكواكب وبحار وأنهار وأشجار وغيرها، يقول الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾^(٣).

(١) سورة غافر، ١٩.

(٢) سورة الأنعام، ٥٩.

(٣) سورة الرعد، ٨.

ويجب الاعتقاد بأن علم الله عز وجل غير متناهٍ لعدم تناهي ذاته المقدسة، ولو كان علمه متناهياً لكان محدوداً، ولو كان محدوداً لكان له ماهية، لأن الماهية عبارة عن حدود الوجودات، ولو كان لله عز وجل ماهية للزم أن يكون مخلوقاً حادثاً، وهذا لا يقول به إلا كافر أو ملحد أو مشرك.

والقول بالبداء هو اعتراف بأن العالم تحت سلطان الله وقدرته في حدوثه وبقائه، وأن إرادة الله نافذة في الأشياء أزلاً وأبداً.

تعريف البداء:

في اللغة: البداء بالفتح والمد هو: ظهور الشيء بعد الخفاء وحصول العلم به بعد الجهل، واتفقت الأمة على امتناع ذلك على الله سبحانه وتعالى^(١).

والبداء في الإنسان: أن يبدو له رأي في الشيء لم يكن له ذلك الرأي سابقاً، بأن يتبدل عزمه في العمل الذي كان يريد أن يصنعه إذ يحدث عنده ما يغير رأيه وعلمه به، فيبدو له تركه بعد أن كان يريد فعله، وذلك عن جهل بالمصالح وندامة على ما سبق منه.

والبداء بهذا المعنى يستحيل على الله تعالى لأنه من الجهل والنقض، وذلك محال عليه تعالى، ولا تقول به الإمامية^(٢)، قال الإمام الصادق^(ع): «من زعم أن الله تعالى بدا له في شيء بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم» وقال أيضاً: «من زعم أن الله عز وجل يبدو له في شيء لم يعلمه أمس فابروا منه»^(٣).

(١) البحار، ج ٤، ص ٩٢.

(٢) عقائد الإمامية، ص ٦٩.

(٣) البحار، ج ٤، ص ١١١، رقم ٣٠.

وفي العرف: هو عبارة عن التغير والتبدل في عالم التكوين كالبراء بعد العافية، والصحة بعد المرض، والغنى بعد الفقر، والعسر بعد اليسر، وطول العمر وقصره.

قال «الصدوق» (رحمه الله) في التوحيد: إن البداء معناه.. أن له أن يبدأ بشيء من خلقه فيخلقه قبل شيء، ثم يعدم ذلك الشيء، ويبدأ بخلق غيره، أو يأمر بأمر ثم ينهى عن مثله، أو ينهى عن شيء ثم يأمر بمثل ما نهى عنه، وذلك مثل نسخ الشرائع.

فمن أقرَّ لله عزَّ وجلَّ أن له أن يفعل ما يشاء، ويؤخر ما يشاء، ويخلق مكانه ما يشاء، ويؤخر ما يشاء كيف يشاء، فقد أقرَّ بالبداء.

النسخ والبداء:

اتفق المسلمون بكلمة واحدة على جواز النسخ، ووقوعه في الشريعة الإسلامية، ومعناه في اصطلاح المفسرين وأهل التشريع أن الله يشرع حكماً كالوجوب أو التحريم، ويبلغه لنبيه، وبعد أن يعمل النبي وأمته بموجبه يرفع الله هذا الحكم وينسخه ويجعل في مكانه حكماً آخر، لإنهاء الأسباب الموجبة لبقاء الأول واستمراره، وهذا النوع من النسخ ليس بعزيز، فإنه موجود في الشرائع السماوية والوضعية، واستدل المسلمون على جوازه ووقوعه بأدلة، منها: أن الصلاة كانت في بدء الإسلام لجهة بيت المقدس، ثم نسخت، وتحولت إلى جهة البيت الحرام، كما نطقت الآية بذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^(١).

(١) سورة البقرة، ١٤٤.

وقد أجاز المسلمون البداء الذي لا يستدعي الجهل وحدوث العلم لذات الله، وهو أن يزيد الله في الأرزاق والأعمار، وأو ينقص منهما بسبب أعمال العبد.

يقول «الشيخ المفيد» في كتاب «أوائل المقالات»: «البداء عند الإمامية هو الزيادة في الآجال والأرزاق، والنقصان منهما بالأعمال»^(١).
وكما أن النسخ في التشريعات أمر جائز وسائغ، كذلك البداء في التكوينات أمر سائغ وممكن وجائز، فالنسخ هو عبارة عن التغيير في التشريع وأحكام الدين، والبداء هو عبارة عن التغيير والتبديل في الأمور التكوينية.

القضاء والبداء:

يقع البداء في القضاء غير المحتوم، أما المحتوم منه فلا يتخلف، ولا بد من أن تتعلق المشيئة بما تعلق به القضاء، وتوضح ذلك أن القضاء على ثلاثة أقسام:

الأول: قضاء الله الذي لم يطلع عليه أحداً من خلقه، والعلم المخزون الذي استأثر به لنفسه، ولا ريب في أن البداء لا يقع في هذا القسم، بل ورد في روايات كثيرة عن أهل البيت^(ع) أن البداء إنما ينشأ من هذا العلم، فعن أبي عبد الله^(ع) قال: «إن الله عز وجل علمين: علماً مخزوناً مكنوناً لا يعلمه إلا هو، من ذلك يكون البداء، وعلماً علمه ملائكته ورسله، فالعلماء من أهل بيت نبيك يعلمونه..»^(٢) وعنه أيضاً^(ع) قال: «إن الله علمين: علم مكنون مخزون لا

(١) انظر كتاب (الشيعة والتشيع) لمغنية، ص ٢٥٢.

(٢) البحار، ج ٤، ص ٩٥، رقم ٢.

يعلمه إلا هو ، من ذلك يكون البداء ، وعلم علمه ملائكته ورسله وأنبياءه ونحن نعلمه»^(١).

الثاني: قضاء الله الذي أخبر نبيه وملائكته بأنه سيقع حتماً، ولا ريب في أن هذا القسم أيضاً لا يقع فيه البداء، وإن افترق عن القسم الأول، بأن البداء لا ينشأ منه.

قال الإمام الرضا^(ع) لسليمان المروزي: «إن علياً^(ع) كان يقول: العلم علمان، فعلم علمه الله ملائكته ورسله، فإنه يكون ولا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه، يقدم منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء، ويمحو ويثبت ما يشاء»^(٢).

وعن أبي جعفر^(ع) قال: «من الأمور أمور محتومة جائية لا محالة، ومن الأمور أمور موقوفة عند الله يقدم منها ما يشاء، ويمحو ما يشاء، ويثبت ما يشاء، لم يطلع على ذلك أحداً - يعني الموقوفة - فأما ما جاءت به الرسل فهي كائنة لا يكذب نفسه، ولا نبيه، ولا ملائكته»^(٣).

الثالث: قضاء الله الذي أخبر نبيه وملائكته بوقوعه في الخارج، إلا أنه موقوف على أن لا تتعلق مشيئة الله بخلافه، وهذا القسم هو الذي يقع فيه البداء.

قال الله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٤)

(١) البحار، ج ٤، ص ١٠٩، رقم ٢٧.

(٢) البحار، ج ٤، ص ٩٦، رقم ٢.

(٣) البحار، ج ٤، ص ١١٩، رقم ٥٨.

(٤) سورة الرعد، ٣٩.

وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾^(١).

وقد دلت على ذلك روايات كثيرة.. منها:

١ - ما روي عن أبي جعفر وأبي عبد الله وأبي الحسن^(ع) في تفسير قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^(٢) أي «يقدر الله كل أمر من الحق ومن الباطل، وما يكون في تلك السنة، وله فيه البداء والمشيئة، يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء من الآجال والأرزاق والبلايا والأعراض والأمراض، ويزيد فيها ما يشاء وينقص ما يشاء»^(٣).

٢ - عن أمير المؤمنين^(ع) قال: «لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾»^(٤).

٣ - عن أبي جعفر^(ع) قال: «كان علي بن الحسين^(ع) يقول: لولا آية في كتاب الله لحدثتكم بما يكون إلى يوم القيامة، فقلت: أية آية؟ قال: قول الله: يَمْحُو اللَّهُ...»^(٥).

إلى غير ذلك من الروايات الدالة على وقوع البداء في القضاء الموقوف، أما القضاء الحتمي المعبر عنه باللوح المحفوظ، وبأم الكتاب، والعلم المخزون عند الله، فيستحيل أن يقع فيه البداء^(٦).

(١) سورة الروم، ٤.

(٢) سورة الدخان، ٤.

(٣) البحار، ج ٤، ص ١٠١، رقم ١٢.

(٤) البحار، ج ٤، ص ٩٧، رقم ٤.

(٥) البحار، ج ٤، ص ١١٨، رقم ٥٢.

(٦) البيان في تفسير القرآن، ص ٣٨٦.

كتابان:

لقد ثبت من الأخبار الواردة عن أئمة أهل البيت -سلام الله عليهم- أن هناك كتابين وهما:

الأول: كتاب اللوح المحفوظ

وهو الذي لا يتغير ولا يتجدد ولا يتبدل وهو مطابق لعلمه فلا بداء فيه، وهو «القضاء الحتمي» .

الثاني: كتاب المحو والإثبات:

وهو الذي يتغير ويتبدل ما فيه حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية قبل وقوعه وتحققه في الخارج، وهذا هو الذي يقع فيه البداء وهو «القضاء الموقوف» .

ولتقريب الفكرة إلى الأذهان.. إليك هذا المثل:

يكتب في كتاب الحو والإثبات أن عمر «زيد» خمسون سنة، ومعنى هذا أن مقتضى الحكمة أن يكون عمره خمسين عاماً، إذا لم يفعل ما يقتضي طوله أو قصره، فإذا قام بأعمال صالحة كصلة الرحم والتصدق على الفقراء فإن عمره يزيد عن الخمسين، ويبدل على أساسه تحديد عمره في لوح الحو والإثبات، كأن يكتب عمره ستين عاماً بدلاً من خمسين سنة، أما لو قام بأعمال منهي عنها كقطع الرحم ورد السائل فإن عمره ينقص عن الخمسين ويبدل عمره في كتاب «الحو والإثبات» فيكتب عمره -مثلاً- أربعين عاماً فقط، بدلاً من خمسين سنة.

ويبدل على هذا الكثير من الروايات عن أهل البيت (ع) منها:

١ - عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: «قال رسول الله (ص):

إن المرء ليصل رحمه وما بقي من عمره إلا ثلاث سنين، فيمدها الله إلى ثلاث وثلاثين سنة، وإن المرء ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة، فيقصرها الله إلى ثلاث سنين أو أدنى. قال الحسين بن زيد بن علي: وكان جعفر يتلو هذه الآية ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١).

٢ - عن أبي عبد الله^(ع) قال: «إن الله كتب كتاباً فيه ما كان وما هو كائن فوضعه بين يديه، فما شاء منه قدم، وما شاء منه أخر، وما شاء محأ، وما شاء منه أثبت، وما شاء منه كان، وما لم يشأ منه لم يكن»^(٢).

٣ - وعنه أيضاً^(ع) قال: «إن الله يقدم ما يشاء، ويؤخر ما يشاء، ويمحو ما يشاء، ويثبت ما يشاء وعنده أم الكتاب. وقال: فكل أمر يريد الله فهو في علمه قبل أن يصنعه، ليس شيء يبدو له إلا وقد كان في علمه، إن الله لا يبدو له من جهل»^(٣).

إن الله عز وجل يعلم بمصير كل نفس وكل شيء منذ الأزل لا تغيير فيه، يعلم ما يجري على كل مخلوق من مخلوقاته، ويعلم بكل حركة وكل تصرف يتصرفه ذلك المخلوق، ويعلم بأن هذا الإنسان سيعمل أعمالاً صالحة تؤهله لإطالة العمر وزيادة الرزق، وآخر يعمل أعمالاً طالحة تؤدي به لقصر العمر وقلة الرزق.

(١) البحار، ج ٤، ص ١٢١، رقم ٦٦.

(٢) البحار، ج ٤، ص ١١٩، رقم ٥٧.

(٣) البحار، ج ٤، ص ١٢١، رقم ٦٣.

فوائد الاعتقاد بالبداء:

للاعتقاد بالبداء فوائد عديدة.. أهمها ما يلي:

١ - الإيمان بالبداء يوجب الاعتراف بأن الكون كله تحت سلطان الله وقدرته في حدوثه وبقائه، وأن إرادة الله نافذة في الأشياء أزلاً وأبداً، وأنه تعالى يفعل ما يشاء، كيف يشاء، متى يشاء ﴿.. إِنَّ رَبَّكَ فَاعِلٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾^(١).

وهذا الاعتقاد هو إقرار من العبد بقدرة الله وعظمته، ولذا ورد في الحديث عن أبي عبد الله^(ع) أنه قال: «ما تنبأ نبي قط حتى يقر الله تعالى بخمس: بالبداء، والمشية، والسجود، والعبودية، والطاعة»^(٢).

٢ - الاعتقاد بالبداء عبادة، ولذا فالمعتقد به يثاب على اعتقاده، روي عن زرارة، عن أحدهما^(ع) قال: «ما عبد الله عز وجل بشيء مثل البداء»^(٣) وعن أبي عبد الله^(ع) قال: «ما عظم الله عز وجل بمثل البداء»^(٤) وعنه أيضاً^(ع) قال: «لو يعلم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه»^(٥).

٣ - الاعتقاد بالبداء يوجب انقطاع العبد إلى الله تعالى، وطلبه إجابة دعائه منه، فقد جاء عن الإمام السجاد^(ع) أنه قال: «الدعاء يدفع البلاء النازل، وما لم يتزل»^(٦) وقال الإمام الصادق^(ع) لميسر بن عبد العزيز:

(١) سورة هود، ١٠٧.

(٢) البحار، ج ٤، ص ١٠٨، رقم ٢٣.

(٣) البحار، ج ٤، ص ١٠٧، رقم ١٩.

(٤) البحار، ج ٤، ص ١٠٧، رقم ٢٠.

(٥) البحار، ج ٤، ص ١٠٨، رقم ٢٦.

(٦) أصول الكافي، ج ٢، ص ٤٥٨، رقم الحديث ٥.

«ادْعُ وَلَا تَقُلْ إِنَّ الْأَمْرَ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، إِنَّ عِنْدَ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ مِثْلُة لَا تَنَالُ إِلَّا بِمَسْأَلَةٍ، وَلَوْ أَنَّ عَبْدًا سَدَّ فَاهُ، وَلَمْ يَسْأَلْ لَمْ يُعْطَ شَيْئًا فَسَلْ تُعْطَ، يَا مَيْسَر... إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ بَابٍ يُقْرَعُ إِلَّا يَوْشِكُ أَنْ يَفْتَحَ لَصَاحِبِهِ»^(١).

بينما إنكار البداء، والاعتقاد بأن ما جرى به قلم التقدير كائن لا محالة - دون استثناء - يلزمه ترك الدعاء والأعمال الصالحة، فما فائدة الدعاء والتوسل والتضرع إلى الله.. ما دام كل شيء مقدرًا على الإنسان ومكتوبًا عليه؟!!

أما الاعتقاد بالبداء فإنه يوجب حالة من التوازن بين الخوف والرجاء والتي هي من لوازم التوحيد والإيمان.

٤ - الإيمان بالبداء يحفز المؤمن إلى فعل الخيرات، وإتيان الأعمال الصالحة، فهناك أعمال تزيد في العمر والرزق والتوفيق، فعن رسول الله (ص) قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيُدْفَعَ بِالصَّدَقَةِ الْبَلَاءُ وَالْحَرْقُ وَالْغَرَقُ وَالهَدْمُ وَالْجُنُونُ وَعَدَّ (ص) سَبْعِينَ بَابًا مِنَ السُّوءِ»^(٢) وورد عن الإمام الصادق (ع) قوله: «الدَّعَاءُ يَرُدُّ الْقَضَاءَ بَعْدَمَا أُبْرِمَ إِبْرَامًا فَأَكْثَرُوا مِنَ الدَّعَاءِ فَإِنَّهُ مِفْتَاحُ كُلِّ رَحْمَةٍ، وَنَجَاحُ كُلِّ حَاجَةٍ، وَلَا يَنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ إِلَّا بِالدَّعَاءِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِبَابٍ يَكْثُرُ قَرَعُهُ إِلَّا يَوْشِكُ أَنْ يَفْتَحَ لَصَاحِبِهِ»^(٣) وورد أيضاً عن النبي (ص) - في رواية مر ذكرها - قوله: «إِنَّ الْمَرْءَ لَيَصِلُ رَحْمَةً وَمَا بَقِيَ مِنْ عَمْرِهِ إِلَّا ثَلَاثُ سَنِينَ فَيَمِدُّهَا اللَّهُ إِلَى ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَإِنْ الْمَرْءُ لَيَقْطَعُ رَحْمَةً وَقَدْ بَقِيَ مِنْ عَمْرِهِ ثَلَاثُ وَثَلَاثُونَ سَنَةً فَيَقْصُرُهَا اللَّهُ إِلَى ثَلَاثِ سَنِينَ أَوْ أَدْنَى»^(٤).

(١) أصول الكافي، ج ٢، ص ٤٥٥، رقم الحديث ٣.

(٢) فروع الكافي، ج ٤، ص ٥، رقم الحديث ٢.

(٣) أصول الكافي، ج ٢، ص ٤٥٨، رقم الحديث ٧.

(٤) البحار، ج ٤، ص ١٢١، رقم الحديث ٦٦.

هذه الروايات وغيرها تدل بوضوح على دور الأعمال الصالحة في
طول العمر، وسعة الرزق، والتوفيق الإلهي للإنسان.

الفصل الثاني

أفكار تشريعية

- ♦ الثقافة الفقهية
- ♦ القرآن الكريم منهج حياة
- ♦ الصلاة عمود الدين
- ♦ الحج مدرسة تربية
- ♦ فلسفة الخمس
- ♦ رمضان شهر التغيير
- ♦ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الثقافة الفقهية

لا يمكن فهم الإسلام واستيعاب مبادئه وقوانينه بدون التعمق في الفقه، وذلك لأن «الفقه» بما يتضمنه من أحكام عبادية ومعاملاتية وغيرها يمثل الشريعة الإسلامية.

وعليه فمن الواجب على كل من يريد استيعاب حقائق الإسلام ومناهجه وتصوراتهِ للحياة، أن يبدأ أولاً بدراسة «الفقه» دراسة واعية ومتأملّة ومتعمقة كي يتمكن من معرفة التصور الإسلامي لجميع شؤون الحياة الخاصة والعامة.

معنى الفقه:

في اللغة هو: الفهم والفتنة، وأيضاً هو العلم والمعرفة.

في الاصطلاح: علم الفقه هو العلم المتعلق بالأحكام الشرعية^(١).

ويقول السيد «محمد باقر الصدر» في تعريفه لعلم الفقه:

(١) القاموس الفقهي، ص ١٥٩.

«هو العلم بالدليل على تحديد الموقف العملي من الشريعة في كل واقعة، والموقف العملي من الشريعة الذي يقيم على الفقه الدليل على تحديده هو السلوك الذي تفرضه على الإنسان تبعيته للشريعة لكي يكون تابعاً مخلصاً لها وقائماً بحقوقها، وتحديد الموقف العملي بالدليل هو ما نعبر عنه بعملية استنباط الحكم الشرعي.

ولأجل هذا يمكن القول بأن علم الفقه هو علم استنباط الأحكام الشرعية أو علم عملية الاستنباط بتعبير آخر»^(١).

ولابد من الإشارة إلى أن كلمة «الفقه» لم تستعمل في السنة والحديث بالمعنى المصطلح، بل كانت تستعمل في من عَرَفَ الدين وتَفَقَّه فيه بجميع أبعاده من التوحيد^(٢) والحكم والسياسة والمجتمع والتربية والأخلاق، وما يتعلق ببناء النفس وإدارة المجتمع، وبالقضاء والحقوق.. الخ.

وما نقصده من الثقافة الفقهية ليس هو العلم بالأحكام فقط، وإن كان هذا شيئاً أساسياً ومهماً، وإنما هو العلم بجميع مسائل الدين.

أهمية الثقافة الفقهية:

تتبع أهمية دراسة واستيعاب الثقافة الفقهية من الحقائق التالية:

١. الواجب الشرعي:

إن إيمان الإنسان بالله عزّ وجلّ، وبالإسلام كدين إلهي، يفرض عليه الالتزام بأحكام الشريعة، باعتباره عبداً لله تعالى، ومؤمناً عن قناعة

(١) بحوث إسلامية، ص ٢٣١.

(٢) كان الفقه يشمل العلوم الإسلامية وفي مقدمها التوحيد الذي كان يسمى بالفقه الأكبر ثم انصرف إلى الدلالة على الأحكام الشرعية الفرعية.

بالدين الإسلامي، ومن ثم فإن الالتزام بأوامر الشارع المقدس هو واجب شرعي وعقلي.

فـ «بعد أن آمن الإنسان بالله والإسلام والشرعة وعرف أنه مسؤول بحكم كونه عبداً لله تعالى عن امتثال أحكام الله تعالى يصبح ملزماً بالتوفيق بين سلوكه في مختلف مجالات الحياة والشرعة الإسلامية ومدعواً بحكم عقله إلى بناء كل تصرفاته الخاصة وعلاقاته مع الأفراد الآخرين على أساسها»^(١).

وقد قام الفقهاء بجهود مضيئة لتوضيح مسائل الدين للناس، ولذلك لدينا تراث ضخم يتمثل في الكتب الفقهية الاستدلالية الموسعة كالجواهر والموسوعة الفقهية والشرائع واللمعة الدمشقية والمكاسب وغيرها، بالإضافة إلى الرسائل العملية للفقهاء.

وعلى المكلف دراسة وفهم ما يجب عليه فهمه وتعلمه، يقول الفقيه السيد «محمد كاظم اليزدي»: «يجب على المكلف العلم بأجزاء العبادات وشرائطها وموانعها ومقدماتها» وفي مسألة أخرى يقول: «كما يجب التقليد في الواجبات والمحرمات يجب في المستحبات والمكروهات والمباحات، بل يجب تعلم حكم كل فعل يصدر منه، سواء كان من العبادات أو المعاملات أو العاديات»^(٢).

ويقول «السيد الخوئي»: «يجب تعلم أجزاء العبادات الواجبة وشرائطها»^(٣).

(١) بحوث إسلامية، ص ٢٣٠.

(٢) العورة الوثقى، ج ١، ص ١٢، مسألة ٢٧ و ٢٩، باب التقليد.

(٣) منهاج الصالحين، ج ١، ص ٩، مسألة ١٨، باب التقليد.

ويقول «السيد محمد الشيرازي»: «يجب تعلم المسائل التي يحتاج إليها غالباً»^(١).

وهذا يعني أن الواجب الشرعي يفرض على كل مكلف تعلم المسائل التي يحتاج إليها في عباداته ومعاملاته وفي أعماله الخاصة والعامة.

وقد ورد عن أهل البيت - سلام الله عليهم - روايات مستفيضة تؤكد كلها على أهمية دراسة الفقه وتعلم مسائله، فقد روي عن الإمام علي^(ع) قوله: «المتعبد على غير فقه كحمار الطاحونة، يدور ولا يبرح»^(٢) وعن الإمام الصادق^(ع) قال: «لو أتيت بشاب من شباب الشيعة لا يتفقه لأدبته»^(٣) وعنه أيضاً^(٤) قال: «ليت السياط على رؤوس أصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام»^(٥) وعنه أيضاً قال: «من أراد التجارة فليتفقه في دينه، ليعلم بذلك ما يحل له مما يحرم عليه، ومن لم يتفقه في دينه ثم اتجر تورط في الشبهات»^(٥).

ومن هنا فإن الواجب الشرعي يستدعي من كل واحد منا تعلم المسائل الفقهية التي هي مورد ابتلائه واحتياجه.

٢. فهم الإسلام:

كي يتمكن الإنسان من فهم الإسلام عليه أن يفهم وبدقة الأحكام الإلهية أولاً، إذ لا يمكن فهم أية إيديولوجية بدون فهم قواعدها وأحكامها، ومن الخطأ الفاحش محاولة البعض فهم الإسلام بدون التعمق في الثقافة

(١) المسائل الإسلامية، ص ٩٤، مسألة ١١، باب التقليد.

(٢) الحياة، ج ١، ص ٥٨، رقم ٢.

(٣) الحياة، ج ١، ص ٥٨، رقم ٣.

(٤) الحياة، ج ١، ص ٥٩، رقم ٤.

(٥) الحياة، ج ٥، ص ٣٧٤، رقم ١٠.

الفقهية، لأن هذا سيعني فهم الإسلام بصورة مقلوبة تماماً.

فلا يمكن -مثلاً- فهم النظام الاقتصادي في الإسلام بدون الاطلاع على فقه الاقتصاد، كما أنه من غير المعقول أن ندرك النظام الاجتماعي في الإسلام من دون قراءة فقه الاجتماع.. وهلم جرا.

إن الإسلام زاخر بالقوانين (الأحكام الشرعية) المرتبطة بمختلف شؤون الحياة، ويكفي دليلاً على ذلك قراءة كتاب (جواهر الكلام في الفقه) فإنه يحتوي على ما يقارب الستين ألف قانون ومسألة شرعية.

والإسلام لأنه دين شامل لم يترك شيئاً إلا ووضحه، ووضع له نظاماً وقانوناً، فهناك الأحكام الزراعية: كأحكام الأرض والزراعة والمساقاة، والأحكام القضائية: كأحكام القاضي والشهود والدعاوى وسائر الحقوق، والأحكام الشخصية: كالنكاح والطلاق والخلع والإرث والوصية، والأحكام الجنائية: كالحدود والقصاص والديات، والأحكام التجارية: كالبيع والشراء والرهن والإجارة، وأحكام السلم والحرب والمعاهدات وسائر ما يرتبط بشؤون الدولة والحياة.

وعندما يفقه الإنسان الأحكام الشرعية يستطيع أن يفهم الإسلام بدقة، فقد روي عن الرسول (ص) قوله: «إن لكل شيء دعامة، ودعامة هذا الدين الفقه»^(١) وعن الإمام الكاظم^(ع) قال: «تفقهوا في دين الله، فإن الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسبب إلى المنازل الرفيعة، والرتب الجليلة، في الدين والدنيا، وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب، ومن لم يتفقه في دينه لم يرض الله له عملاً»^(٢).

(١) ميزان الحكمة، ج٧، ص٥٢٧، رقم ١٥٨٣٤.

(٢) الحياة، ج١، ص٥٩، رقم ٥.

٣ . القيمة الحقوقية:

تمثل الشريعة نظاماً متكاملًا للبشر، في حين أن القانون الوضعي يشتمل على العديد من العيوب والنواقص، ومن غير المنطقي أن تبلغ القوانين الوضعية منتهى الكمال، مادام مشرعها بعيداً عن الكمال، ومن الواضح أن القوانين الوضعية قاصرة لأنها تعبر عن نقص الإنسان وعجزه، أما الشريعة فلأنها من الله عز وجل فإنها كاملة ووافية لجميع شؤون الحياة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

وقد اعترف علماء الغرب بأهمية الفقه الإسلامي، فقد عقدت شعبة الحقوق الشرعية من الجمع الدولي للحقوق المقارنة مؤتمراً للبحث في الفقه الإسلامي في كلية الحقوق من جامعة باريس تحت اسم (أسبوع الفقه الإسلامي) برئاسة أحد العلماء الغربيين وهو أستاذ في التشريع الإسلامي في كلية الحقوق بجامعة باريس، ودعت إليه عدداً كبيراً من أساتذة كليات الحقوق العربية وغير العربية وكليات الأزهر ومن المحامين الفرنسيين والعرب وغيرهم ومن المستشرقين.. وفي ختام المؤتمر وضع المؤتمرون بالإجماع هذا التقرير الذي نترجمه فيما يلي:

بناءً على الفائدة المتحققة من المباحث التي عرضت أثناء أسبوع الفقه الإسلامي وما جرى حولها من المناقشات التي نلخص منها بوضوح:

أولاً: إن مبادئ الفقه الإسلامي لها قيمة حقوقية تشريعية لا يمارى فيها.

(١) سورة المائدة، ٣.

ثانياً: إن اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة الفقهية العظمى ينطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات ومن الأصول الحقوقية التي هي مناط الإعجاب وبها يتمكن الفقه الإسلامي أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها^(١).

وهذا اعتراف صريح بما للفقه الإسلامي من أهمية حقوقية وتشريعية، وإن أية مقارنة بين الفقه الإسلامي من جهة، والفقه الروماني والغربي والشرقي من جهة أخرى، تظهر تقدم وتطور وشمول ومرونة الفقه الإسلامي على الفقه الوضعي.

٤ . تنمية الثقافة العامة:

مما لا جدال فيه أن الفقه الإسلامي يشكل جزءاً مهماً من الثقافة الإسلامية، ولا شك في أن قراءة الفقه الإسلامي وتعلمه هو إضافة مهمة للثقافة العامة عند الإنسان.

ومن التوفيق الإلهي أن يوفق الإنسان إلى التفقه في الدين، فعن الرسول (ص) قال: «إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين وألهمه رشده»^(٢) وقال أيضاً (ص): «أفضل العبادة الفقه»^(٣) وعن الإمام الصادق (ع) قال: «تفقهوا في دين الله ولا تكونوا أعراباً، فإنه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر إليه يوم القيامة ولم يرك له عملاً»^(٤).

(١) الصياغة الجديدة، ص ٥٠٣، نقلاً عن كتاب (المدخل الفقهي العام إلى الحقوق المدنية في البلاد السورية).

(٢) ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٥٢٦، رقم ١٥٨٢٧.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٥٢٧، رقم ١٥٨٣٣.

(٤) البحار، ج ١، ص ٤٧٠، رقم ١٨.

فالإلمام بالفقه - بالإضافة إلى أهميته وضروراته الشرعية- ينمي الثقافة العامة عند الإنسان ، ولذلك ليس من المستغرب أن نجد حتى غير المسلمين ممن يهتمون بدراسة الأديان والمذاهب يعطون أهمية قصوى للاطلاع على الفقه الإسلامي باعتباره المدخل إلى قراءة الإسلام بكل وضوح.

القرآن الكريم منهج حياة

لكل أمة من الأمم دستور تسير وفق هديه، ومنهج تتخذه دليلاً للوصول إلى أهدافها وتطلعاتها الحضارية، وبدون هذا الدستور، وهذا المنهج، لا يمكن لأمة من الأمم - مهما كانت تمتلك من العوامل الأخرى - أن تتقدم نحو الأفضل والأحسن.

ودستور أمة محمد (ص) هو القرآن الكريم، هذا الكتاب المقدس يحتوي على كل ما تحتاجه البشرية في جميع شؤون الحياة، يقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(١) والقرآن الكريم كتاب هداية، يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ..﴾^(٢) والقرآن الشريف كتاب نور وبصيرة، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ

(١) سورة النحل، ٨٩.

(٢) سورة الإسراء، ٩.

رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ والقرآن المجيد كتاب إنذار وتبشير، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (٢).

وقال الإمام علي (ع): «عليكم بالقرآن فاتخذوه إماماً قائداً» (٣) وقال الإمام الباقر (ع): «إن الله لم يدع شيئاً يحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة إلا أنزله في كتابه، ويبيّن لرسوله، وجعل لكل شيء حداً، وجعل عليه دليلاً يدل عليه» (٤) وقال الإمام الصادق (ع): «إن الله أنزل في القرآن تبيان كل شيء حتى والله ما ترك شيئاً يحتاج العباد إليه إلا بيّنه للناس» (٥) فالقرآن الكريم منهج للحياة، ودستور عمل للأمة، إذ أن القرآن إنما أنزل لتطبق مفاهيمه وتعاليمه وتصورات، وليكون كتاب هداية وبصيرة للناس، كل الناس.

المصدر الأول للتشريع:

لا يحق لأحد من البشر - كائناً ما كان - أن يشرع شيئاً من عندياته، إذ أن التشريع هو لله وحده، وعليه فلا يجوز مطلقاً تشريع القوانين لأي أحد من البشر بما فيهم الأنبياء والأئمة (ع)، ف«لا يجوز تشريع القانون إطلاقاً، فإن اللازم أخذ القانون من القرآن، وقد اشتمل القرآن بشروحه التي ذكرها رسول الله (ص) والأئمة الطاهرون (ع) على كل قانون يحتاج إليه البشر إلى يوم القيامة، سواء كان قانوناً أولياً أو ثانوياً، أي القانون الاضطراري، ولذا لا تشريع في الإسلام لأحد، وإنما

(١) سورة إبراهيم، ١.

(٢) سورة الأحقاف، ١٢.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٦٨، رقم ١٦١٢٥.

(٤) الحياة، ج ٢، ص ٨٩، رقم ٤.

(٥) الحياة، ج ٢، ص ٨٩، رقم ٥.

يجب أن يكون مجلس الأمة لتأطير القوانين الإسلامية، في قوالب زمنية، وملاحظة الأهم والمهم وما أشبه، مما هو شأن الفقهاء المجتهدين.

ثم أن كل قانون عدا قوانين الله سبحانه ليس صالحاً، إذ القانون يجب أن يكون ملائماً للإنسان، ولا يتمكن من وضع القوانين الملائمة للإنسان، إلا من عرف الإنسان، والبشر بعد لم يعرف الإنسان حتى يتمكن أن يضع قانوناً ملائماً له»^(١).

وقد كانت الأمة الإسلامية قوية ومتحضرة عندما كانت تتمسك بكتاب الله العزيز، وعندما حل القانون الوضعي محل القانون الإلهي انحسرت عوامل القوة في الأمة والمجتمع، وتفشى فيها الوهن والضعف والانحزام.

ولن نكون أقوياء إلا عندما نعود إلى القرآن، فالقرآن هو المصدر الأول والرئيسي من مصادر التشريع الإسلامي^(٢)، يقول الإمام علي^(ع): «ألا إن فيه علم ما بيئ، والحديث عن الماضي، ودواء داءكم، ونظم ما بينكم»^(٣) وقال أيضاً^(٤): «كتاب ربكم فيكم مبيناً لحلاله وحرامه، وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه، وخاصه وعامه، وعبره وأمثاله، ومرسله ومحدوده، ومحكمه ومتشابهه»^(٥) ففي القرآن الكريم ٥٠٠ آية ترتبط

(١) حول القرآن الحكيم، ص ١١٠.

(٢) يقسم الدليل على أساس استفادة الحكم منه إلى قسمين هما: أ - الدليل الاجتهادي: وهو مصدر الحكم الواقعي، والأدلة الاجتهادية هي: الكتاب والسنة والإجماع والعقل. ب - الدليل الفقاهي: وهو مصدر الحكم الظاهري، والأدلة الفقاهية هي: الاستصحاب والبراءة والاحتياط والتخيير.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٧٣، رقم ١٦١٤٧.

(٤) نهج البلاغة، ج ١، ص ٨٠.

بالأحكام الشرعية وتسمى اصطلاحاً (آيات الأحكام) ، وتشكل هذه الآيات الشريفة قسماً من نصوص التشريع الإسلامي، بينما تمثل الآيات الشريفة الأخرى والتي تصل إلى نسبة ٩٢ بالمائة من القرآن نصوصاً للتشريع الإسلامي في مختلف شؤون الحياة العامة والخاصة.

والقرآن ليس لزمان دون زمان، أو مكان دون مكان، بل هو في كل زمان جديد، وفي كل مكان مفيد، فعن الإمام الرضا عن أبيه عليهما السلام.. إن رجلاً سأل أبا عبد الله^(ع): ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غضاضة؟ فقال: «لأن الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غرض إلى يوم القيامة»^(١) فالقرآن قد تكفل بهداية البشر في جميع شؤونهم وأطوارهم في أجيالهم وأدوارهم، وهو الموصل للسعادة الكبرى في العاجل والآجل.

وقد اتفق المسلمون جميعاً على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم في أن القرآن المجيد حجة على كل مسلم ومسلمة، وفي كل زمان ومكان إلى يوم القيامة.

القرآن.. كتاب حياة:

لقد فهم المسلمون الأوائل القرآن الكريم «كتاباً للحياة» و «برنامجاً للتحرك» و «خريطة للسلوك» .

كان الواحد منهم يقرأ القرآن وكأنه هو المخاطب بآياته، وكان يستنبط من كل آية بصيرة واضحة يستعين بها في مسيرة الحياة الطويلة. وجاءت من بعدهم أجيال.. أساءت الفهم.. وضلت الطريق..

(١) ميزان الحكمة، ج٨، ص٧٠، رقم ١٦١٣٥.

هذه الأجيال.. تصورت القرآن «كتاب موت» .. بدل أن يكون «كتاب حياة» .. فالقرآن لا يعني بالنسبة إلى حياة هؤلاء شيئاً.. إنه مجموعة من القضايا الميتافيزيقية.. والقصص التاريخية.. والطقوس العبادية.. وأي ربط لهذه الأمور بالحياة؟!

إذن.. فمن الطبيعي - بعدئذٍ - أن يبحثوا عن «قيم الحياة» و «مناهج الحياة» و «تعاليم الحياة» في أي مكان.. غير القرآن بالطبع! ^(١).

والحقيقة.. أن القرآن كتاب رسالة.. كتاب حضارة.. كتاب حكمة.. يقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ..﴾ ^(٢).

وقد سمى الله عز وجل كتابه الشريف بأنه تذكرة وشفاء وبيان وبلاغ وبشرى وإنذار ونور ورحمة وهدى.. يقول الله تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ^(٣) وقال تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ^(٤) وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٥).

والقرآن الكريم هو رسالة السماء إلى أهل الأرض، فيه كل ما يحتاج إليه البشر قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ..﴾ ^(٦) وقال الإمام السجاد ^(٧): «.. وجعلته مهيمناً على كل كتاب أنزلته، وفضلته على كل حديث قصصته، وفرقانا فرقت به بين حلالك وحرامك، وقرآناً أعربت

(١) كيف نفهم القرآن؟ ص ١٦٥.

(٢) سور الإسراء، ٣٩.

(٣) سورة الجاثية، ٢٠.

(٤) سورة الأعراف، ٢٠٣.

(٥) سورة يونس، ٥٧.

(٦) سورة النحل، ٨٩.

به عن شرائع أحكامك ، وكتاباً فصلته لعبادك تفصيلاً ، ووحياً أنزلته على نبيك محمد - صلواتك عليه وآله - تزيلاً»^(١) .

وحسب القرآن عظمة ، وكفاه فخراً وشرفاً أنه كلام الله العظيم ، فقد قيل للإمام الصادق^(ع) : ما تقول في القرآن ؟ فقال : «هو كلام الله ، وقول الله ، وكتاب الله ، ووحى الله وتزيله»^(٢) .

ومتى ما أرادت البشرية الوصول إلى شاطئ السعادة في الدنيا والآخرة فما عليها إلا أن تتمسك بكتاب الله العزيز ، وتلتزم بتعاليمه وقيمه ومفاهيمه للحياة ، فالقرآن كتاب للأحياء وليس للأموات.. كتاب للحياة وليس لما بعدها.

الواقع والمفروض:

كيف يتعامل المسلمون اليوم مع القرآن الكريم؟ وكيف كان المسلمون الأوائل يتعاملون معه؟

الواقع.. يشير إلى أن طريقة تعامل المسلمين اليوم مع القرآن تختلف بشكل جذري عما كانت عليه بالأمس.

لقد كان المسلمون الأوائل يفهمون القرآن كتاب رسالة، وهداية، ومنهج، وقانون.. أما اليوم فالواقع مختلف تماماً عن الأمس.

سنحاول - عبر جولة سريعة- القيام بعملية مقارنة بين الواقع المرفوض، والمفروض المطلوب.. في التعامل مع القرآن الكريم.. وبعبارة أوضح.. بين السلف الصالح، والأجيال المعاصرة.

(١) الحياة، ج٢، ص٧٢، رقم ٥.

(٢) الحياة، ج٢، ص٧٢، رقم ٣.

ومن تلاوة القرآن.. نبدأ المقارنة:

١. القراءة السطحية:

إن أجيالنا المعاصرة تقرأ القرآن.. وتتلو آياته.. وتستمع إليه عبر التلفاز والمذياع.. ولكن بدون تدبر، أو تأمل، أو تفكير، أو تعمق!

بينما نجد في القرآن نفسه آيات عديدة تدعو للتدبر والتأمل والتفكير.. يقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(١) ويقول تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٢) ويقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٣) ذلك لأن التدبر هو الطريق الطبيعي لفهم القرآن، والفهم هو نقطة الانطلاق نحو التطبيق العملي لمفاهيم القرآن.

وقد جاء عن الإمام الصادق^(ع) في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾:

«يرتلون آياته، ويتفهمون معانيه، ويعملون بأحكامه، ويرجون وعده، ويخشون عذابه، ويتمثلون قصصه، ويعتبرون أمثاله، ويأتون أوامره، ويجتنبون نواهيه، وما هو والله بحفظ آياته وسرد حروفه، وتلاوة سوره ودرس أعشاره وأخماسه، حفظوا حروفه وأضاعوا حدوده، وإنما هو تدبر آياته»^(٤).

(١) سورة محمد، ٢٤.

(٢) سورة ص، ٢٩.

(٣) سورة النساء، ٨٢.

(٤) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٨٤، رقم ١٦٢١٧.

وقال الإمام علي^(ع): «تدبروا آيات القرآن واعتبروا به، فإنه أبلغ العبر»^(١)
فعلى من يقرأ القرآن أن يتدبر في كل آية يقرأها حتى يفهم أبعادها
المختلفة، وإلا فسينطبق عليه حديث الرسول (ص) حين قال: «ويل لمن
لا كها بين لحيه [وهما عظمتا الفم] ثم لم يتدبرها» وقال الإمام علي^(ع): «ألا لا
خير في قراءة ليس فيها تدبر»^(٢) لأن القراءة بدون تدبر يعني تحويل القرآن
إلى حروف بدون معان، وكلمات بدون مفاهيم، وألفاظ بدون رؤى!

أما المسلمون الأوائل فقد كانوا يتدبرون في كل آية، ويعملون
بكل أمر يأمرهم به القرآن.. لقد فهموا القرآن كتاب رؤى ومفاهيم
وأحكام، فهموا القرآن كتاب عمل، ومنهج حياة.. وهذا هو المفروض!
يقول الإمام السجاد^(ع): «آيات القرآن خزائن، فكلما فتحت خزانة
ينبغي لك أن تنظر ما فيها»^(٣).

فالمطلوب هو الانفتاح على القرآن، وقراءته دائماً، مع التدبر^(٤)
والتأمل والتفكير في آياته.

٢ . الثقافة للثقافة:

عندما تتحول الثقافة إلى هدف بذاتها، فإنها تتحول إلى «ترف

(١) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٨٨، رقم ١٦٢٣٦.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٨٨، رقم ١٦٢٣٤.

(٣) الحياة، ج ٢، ص ١٦٤، رقم ٣.

(٤) لمعرفة كيفية التدبر في القرآن راجع الكتب التالية:

١- الصعود إلى القمة للمؤلف، ص ٣١.

٢- كيف نفهم القرآن لحمد رضا الحسيني، ص ٥٩.

٣- بحوث في القرآن الكريم للسيد محمد تقي المدرسي، ص ٤٢.

ثقافي» وعندئذٍ لن تعود على صاحبها إلا بالمزيد من «التخمة الثقافية» !
مفهوم «الثقافة للثقافة» يعبر عن حالة مرضية، إذ أن الثقافة يجب أن تتحول إلى وسيلة للعمل والعطاء والإنتاج، لا أن تكون هدفاً بذاتها.
إن هناك من يقرأ القرآن دائماً، ويفهمه جيداً، ولكن بدون أن يحول تعاليم القرآن ورؤاه إلى واقع وعمل ! .. هؤلاء ينطبق عليهم حديث الرسول (ص) حيث يقول: «كم من قارئ للقرآن والقرآن يلغنه»^(١).

وقد تجد من يتلذذ بثقافة القرآن وبأدبه وببلاغته، ويحول هذا إلى هدف بذاته، بينما القرآن وسيلة، والعمل هو الهدف، فالقرآن الذي نزل من السماء كان طريقاً وصراطاً وسبيلاً ونوراً.. وبالتالي كان وسيلة، بينما فهم البعض القرآن غاية ونهاية وهدفاً في ذاته!

لقد فهم الجيل الأول من عصر الرسالة القرآن طريقاً للعمل، ومنهجاً للحياة، ورسالة حضارة للإنسانية.

يقول «سيد قطب» :

«إنهم - في الجيل الأول - لم يكونوا يقرؤون القرآن بقصد الثقافة والاطلاع، ولا بقصد التذوق والمتاع، لم يكن أحدهم يتلقى القرآن ليستكثر به من زاد الثقافة لمجرد الثقافة، ولا ليضيف إلى حصيلته من القضايا العلمية والفقهية محصولاً يملأ به جعبته، إنما كان يتلقى القرآن ليتلقى أمر الله في خاصة شأنه وشأن الجماعة التي يعيش فيها، وشأن الحياة التي يحياها هو وجماعته، يتلقى ذلك الأمر ليعمل به فور سماعه، كما يتلقى الجندي في الميدان الأمر اليومي ليعمل به فور تلقيه! ومن ثم لم

(١) الحياة، ج ٢، ص ٨٦، رقم ٣.

يكن أحدهم ليستكثر منه في الجلسة الواحدة، لأنه كان يحس أنه إنما يستكثر من واجبات وتكاليف يجعلها على عاتقه، فكان يكتفي بعشر آيات حتى يحفظها ويعمل بها كما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

هذا الشعور.. شعور التلقي للتنفيذ.. كان يفتح لهم من القرآن آفاقاً من المتاع، وآفاقاً من المعرفة، لم تكن لتفتح عليهم لو أنهم قصدوا إليه بشعور البحث والدراسة والاطلاع، وكان ييسر لهم العمل، ويخفف عنهم ثقل التكاليف، ويخلط القرآن بذواتهم، ويجوله في نفوسهم وفي حياتهم إلى منهج واقعي، وإلى ثقافة متحركة لا تبقى داخل الأذهان، ولا في بطون الصحف، إنما تتحول آثاراً وأحداثاً تحول خط سير الحياة.

إن هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يقبل عليه بهذه الروح، روح المعرفة المنشئة للعمل، إنه لم يجر ليكون كتاب متاع عقلي، ولا كتاب أدب وفن، ولا كتاب قصة وتاريخ - وإن كان هذا كله من محتوياته - إنما جاء ليكون منهاج حياة، منهاجاً إلهياً خالصاً^(١).

وإذا أردنا أن نكون كما كان الجيل الأول.. فلنطبق تعاليم القرآن، وقيم القرآن، ومفاهيم القرآن، وبصائر القرآن، ورؤى القرآن.. على جميع شؤوننا الخاصة والعامة .. يقول الإمام علي^(ع): «الله الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم»^(٢).

٣ . الفهم التجزيئي والمصلحي:

الفهم التجزيئي يعني: فهم القرآن بصورة مجزأة، بفصل بعضه

(١) معالم في الطريق، ص ١٤.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٦٧، رقم ١٦١٢١.

عن البعض الآخر، عن طريق فهم كل آية قرآنية بدون ربطها ببقية الآيات الأخرى، أو الأخذ بجانب من الآية وترك تكملتها! .. وهذه الطريقة تستخدم أحياناً لقضايا مصلحة وشخصية لتبرير ثقافة معينة!

وقد عارض القرآن بشدة الفهم التجزيئي، وأوعد القائمين به أشد العذاب، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١) فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١) هذه الآية الشريفة تنطبق كذلك على أولئك الذين يؤمنون ببعض قيم القرآن، ويتخلون عن القيم الأخرى، والتي لا تتلاءم مع مصالحهم الشخصية، وقد توعّد ربنا عزّ وجلّ هؤلاء الانتهازيين بالخزي في الدنيا وبالعذاب الشديد في الآخرة، قال تعالى: ﴿.. أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

إن هناك من يؤمن بجزء من القرآن، وهو - عادة - ما يتلاءم مع مصالحه وأهوائه وغرائزه الشخصية، ولكنه يكفر بالقرآن في الجانب الذي لا يتلاءم مع مصالحه، أو يكلفه ما لا يريد!

فمثلاً.. تجد من يأخذ بالقرآن في المجال العبادي، ولكنه لا يعمل بالقرآن في المجالات الأخرى.. كالمجال الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي.. اللهم إلا بمقدار ما يتلاءم مع مصالحه وأهوائه وحساباته الشخصية! وقد ورد عن النبي (ص) قوله: «أكثر ما أخاف على أمتي من

(١) سورة الحجر، ٩١ - ٩٣.

(٢) سورة البقرة، ٨٥.

بعدي، رجل يتأول القرآن، يضعه على غير مواضعه»^(١).

إن القرآن كلُّ لا يتجزأ، وفهمه لن يكون إلا بقراءته كاملاً، فـ
«القرآن يفسر بعضه بعضاً» كما جاء في الحديث الشريف.

٤ . الاستفادة المحدودة:

لم تعد الأمة اليوم تستفيد من القرآن بالشكل المطلوب، بل
انحصرت الاستفادة من القرآن في مجالات محدودة وضيقة جداً، فالبعض
اتخذ القرآن وسيلة للرزق، وآخرون حولوه إلى مجرد «صيدلية أدوية»
لمعالجة الأمراض المختلفة، وهناك من يتذكر القرآن عند موت أحد
أقربائه أو عند الاستخارة أو حين السفر وحسب!

وبالطبع.. الاستفادة من القرآن في هذه المجالات شيء مشروع،
ولكن يجب الاستفادة من القرآن في كل المجالات.. كالمجال الاجتماعي
والثقافي والفكري والاقتصادي والعلمي والأدبي.. وجميع شؤون الحياة
الأخرى.

يقول الأستاذ «أحمد أمين» :

«في القرآن آيات جمة تبلغ ٧٥٠ آية تعطينا عصارات العلوم الحديثة
وما توصلت إليه المكتشفات في شتى النواحي وما ستصل إليه في
المستقبل» فقد قال ابن عباس: «إن في القرآن معاني سيكشفها الزمن»^(٢).

وقد اعترف بعض كبار علماء الغرب بأهمية ما يحتويه القرآن من
دساتير ورؤى وبصائر وعلوم وبلاغة.. يقول الكاتب الإنكليزي «وليز» :

(١) الحياة، ج٢، ص١٧٧، رقم ١.

(٢) التكامل في الإسلام، ج٦، ص٤٥٣.

«من نظر إلى القرآن وجد فيه آراء علمية وقانونية واجتماعية، فالقرآن كتاب علمي وديني واجتماعي وتهديبي وأخلاقي وتاريخي وكثير من النظمات التي جاء بها القرآن يعمل بها في هذا العصر وستبقى إلى قيام الساعة» .

وقال «فس ج م رودويل» : «يجب أن تعترف أوروبا بأنها مدينة للقرآن الذي بزغت شمس العلم منه في القرون الوسطى في أوروبا» .

وقال الفيلسوف «دينورت» : «إن العلوم الطبيعية والفلسفية والرياضية والنجوم كلها أخذت من القرآن، وهذه العلوم قد دخلت أوروبا من القرآن بعد الميلاد» .

وقال الدكتور «موريس» : «إن القرآن أفضل كتاب أخرجته يد الصناعة الأزلية لبني البشر» .

وقال الأستاذ «سناليس» : «إن القرآن هو القانون العام، فهو صالح لكل مكان وزمان، فلو تمسك به المسلمون حقاً وعملوا بموجب تعاليمه وأحكامه لأصبحوا سادة الأمم كما كانوا، أو بالأقل لصار حالهم حال الأقوام المتقدمة»^(١).

هذه الشهادات من علماء الغرب تشير إلى وعي الغربيين بما في القرآن من علوم وأفكار حضارية، ورؤى وبصائر للحياة، في الوقت الذي لا يعير فيه بعض المسلمين أي اهتمام يذكر بالقرآن وبما فيه من أفكار وعلوم وقيم وأخلاق وبصائر!

(١) للمزيد من الاطلاع على آراء الغربيين في القرآن واعترافهم بأهميته.. راجع كتاب عقائد الإمامية الاثني عشرية للسيد الزنجاني، ج٢، ص١٩٨.

وقد أشار الإمام علي^(ع) إلى أهمية التمسك بكتاب الله العزيز، وإلى ضرورة الاستفادة من القرآن في جميع المجالات.. يقول^(ع): «وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان في عمى، واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم^(١)، فإن فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق، والغي والضلال»^(٢).

إن على الأجيال المعاصرة وغيرها من الأجيال، أن تتلمذ على القرآن، عبر التدبر في آياته، وتطبيق تعاليمه، والالتزام بأوامره ونواهيه، والاستفادة منه في كل شؤون الحياة.. ولنكن من أصدقاء القرآن المخلصين!

هـ . الاهتمامات الجزئية:

كان الجيل الأول من المسلمين يهتمون بلباب القرآن، فكانوا يتدبرون آياته، ويفهمون معانيه، ويستنتقون أحكامه، ويطبقون تعاليمه، ولهذا تقدموا في جميع ميادين الحياة، واستطاعوا في فترة زمنية قصيرة من بناء الدولة الإسلامية، وغرس القيم الدينية، وتشيد حضارة عملاقة هي (الحضارة الإسلامية).

والآن «لأن أمتنا أهملت فهم «لباب» القرآن، اندفعت في طريق البحث عن القشور.

فأخذوا يصرفون جهودهم على قضايا هامشية، كان الأحرى بهم أن يصرفوها في مجالات أكثر تأثيراً وفائدة.

(١) الأواء: الشدة.

(٢) نهج البلاغة، ج ٢، ص ٣٨٠، خطبة رقم ١٧٥.

إننا نجد أن كثيراً من الدراسات التي كتبت حول القرآن.. لا تتناول إلا القضايا الهامشية.

فمثلاً في «١٢٣» كتاباً أُلّف حول القرآن الكريم.. تجد أن «٣٧» منها تتحدث حول قضايا شكلية.. مثلاً:

عدد آيات القرآن - الجمع والتثنية - المقصور والممدود - طبقات القراء - نقط القرآن - الرومي والمغرب في القرآن .. الخ.

وهذا يعني: أن أكثر من ربع الجهود والطاقات أهدرت في قضايا جانبية!

ومثال آخر للاهتمامات القشرية حين قراءة القرآن، الاهتمام بأشخاص القصص القرآنية، وبقضايا هامشية في حياتهم تُنسى الفرد القضايا الهامة، والعبر التي هي الهدف من ذكر تلك القصص.

وهكذا.. تتصدر القضايا الثانوية رأس القائمة، بينما تنبذ القضايا الرئيسية وراء الظهور»^(١).

ولا زال الكثير من الكتاب والمؤلفين يجترون نفس تلك الأفكار والمنهجية الناقصة في البحث، ويكررون مواضيع قد أُشبعَت من البحث إلى درجة التخمّة!

يقول الدكتور «طه جابر العلواني»:

إن «لدينا علوماً كثيرة تسمى بـ (علوم القرآن) أخذت معظمها الجانب الوصفي للقرآن الكريم.. تحدثت عن عدد حروفه، وآياته، وسوره، وكلماته، وأسباب نزوله، وأماكن النزول، لو استعرضت كتاب

(١) كيف نفهم القرآن، ص ١٢.

(الزركشي) (البرهان في علوم القرآن) بمجلداته الأربعة، أو السيوطي في كتابه (الإتقان) أو الطباطبائي في كتابه حول القرآن أو سواها، فقد كتبت مئات الكتب في هذا.. تجد أنها في الغالب رغم ما اشتملت عليه من فوائد كثيرة وواسعة، لكنها عانيت بوصف النص.

وليبنى منهج القراءة السليمة للوحي، لابد من قراءة القرآن كاملاً، ولا بد من أن تكون لدينا مناهج لقراءته قراءة كاملة، قراءة آيات الأحكام، قراءة آيات السنن الكونية، محاولة اعتباره مصدراً أساسياً للفكر والمعرفة، للبناء الحضاري، للبناء المنهجي، للبناء الثقافي.

القرآن الكريم جاء تفسيراً لكل شيء ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ ما جاء ليبين لنا أحكاماً فقط، ولا ليتحول إلى مصدر للتقنين وحده.

يعتبر التقنين واحداً من محاوره، بل قد يكون أصغر المحاور.

لكن محاور البناء الفكري، العقلي، المنهجي، بناء الشخصية الإسلامية بأكملها، بما في ذلك جانب التشريع منها.. كله اشتمل القرآن عليه^(١).

ولن نستطيع الاستفادة القصوى من القرآن إلا عندما نقرأه قراءة كاملة، ونعتبره المصدر الرئيس والأول للتشريع والفكر والمعرفة وللحضارة، وهذا لا يتحقق إلا بالاهتمام بكل القرآن، والأخذ بكل تعاليم القرآن، وتطبيق كل قيم القرآن، فالقرآن كل لا يتجزأ.

(١) مجلة الكلمة، العدد ٢، ص ١١٨.

الصلاة عمود الدين

للصلاة منزلة عظيمة في الإسلام، فهي أفضل الأعمال الدينية، وأحب الأعمال إلى الله تعالى، وهي من أعظم الطاعات، وأفضل العبادات، وهي عمود الدين، إن قبلت قبل ما سواها، وإن ردت رد ما سواها، وهي آخر وصايا الأنبياء والأئمة^(ع)، وهي معراج المؤمن اليومي إلى عالم الملكوت.

وقد حثَّ القرآن الكريم على المحافظة على الصلاة، وأدائها في مواقيتها، والالتزام بشرائطها وواجباتها وآدابها، يقول الله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(١) ويقول تعالى: ﴿فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾^(٢) ويكفي أن تعلم أنه قد ورد ذكر الصلاة في القرآن الشريف ٩٩ مرة، مما يوحي بأهمية الصلاة ومكانتها المقدسة في الدين.

(١) سورة البقرة، ١٣٨.

(٢) سورة النساء، ١٠٣.

وقد استفاضت الروايات أيضاً في الحث على الصلاة.. وإليك بعضاً منها:

١ - عن النبي (ص) قال: «حافظوا على الصلوات ، فإن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة يأتي بالعبد فأول شيء يسأله عنه الصلاة ، فإن جاء بها تامة وإلا زخَّ في النار»^(١).

٢ - عن النبي (ص) قال: «أول ما ينظر في عمل العبد في يوم القيامة في صلاته، فإن قبلت نظر في غيرها ، وإن لم تقبل لم ينظر في عمله بشيء»^(٢).

٣ - عن الإمام علي^(ع) قال: «أوصيكم بالصلاة وحفظها ، فإنها خير العمل ، وهي عمود دينكم»^(٣).

٤ - عن الإمام علي^(ع) قال: «تعاهدوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقربوا بها ، فإنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً»^(٤).

٥ - عن الإمام الباقر^(ع) قال: «الصلاة عمود الدين، مثلها كمثل عمود الفسطاط إذا ثبت العمود ثبت الأوتاد والأطناب ، وإذا مال العمود وانكسر لم يثبت وتد ولا طنب»^(٥).

ولعلك تعلم.. أن ما ورد من النصوص في الحث على الصلاة، وفي فضلها وفضيلتها ومنزلتها وقدسيتها وعظمتها، أكثر من أن يحصى، وكلها تشير إلى حقيقة واحدة وهي: الصلاة عمود الدين.. !

(١) البحار، ج ٧٩، ص ٢٠٢، رقم ١.

(٢) البحار، ج ٧٩، ص ٢٢٧، رقم ٥٣.

(٣) البحار، ج ٧٩، ص ٢٠٩، رقم ٢٠.

(٤) نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٦٢، خطبة رقم ١٩٩.

(٥) البحار، ج ٧٩، ص ٢١٨، رقم ٣٦.

عقاب تارك الصلاة:

إن وجوب الصلاة من الأحكام الشرعية المعلومة بالضرورة في الدين، وإن تركها عمداً من الذنوب الكبيرة، ومن الأمور التي تخرج الإنسان من دين الإسلام.

يقول الفقهاء: «إن تارك الصلاة مستحلاً كافر إجماعاً، ولو تركها معتقداً لوجوبها لم يكفر، وإن استحق القتل بعد ترك ثلاث صلوات والتعزير فيهن، ولا يقتل في أول مرة ولا إذا ترك الصلاة ولم يعزر، وإنما يجب القتل إذا تركها مرة فعزر، ثم تركها ثانية فعزر، ثم تركها ثالثة فعزر، فإذا تركها رابعة فإنه يقتل وإن تاب»^(١).

وقد وردت روايات كثيرة تدل على أن تارك الصلاة عمداً كافر، فعن أبي جعفر^(ع) قال: قال رسول الله (ص): «ما بين المسلم وبين أن يكفر إلا أن يترك الصلاة الفريضة متعمداً أو يتهاون بها فلا يصليها»^(٢) وعنه أيضاً (ص) قال: «ما بين الكفر والإيمان إلا ترك الصلاة»^(٣) وسئل أبو عبد الله^(ع): ما بال الزاني لا تسميه كافراً، وتارك الصلاة قد تسميه كافراً، وما الحجة في ذلك؟ قال: «لأن الزاني وما أشبهه إنما يفعل ذلك لمكان الشهوة، ولأنها تغلبه، وتارك الصلاة لا يتركها إلا استخفافاً بها»^(٤).

وقد فرق الفقهاء بين من يترك الصلاة منكراً لوجوبها فهو كافر، وبين من يتركها معتقداً بوجوبها، ولكنه يتركها كسلاً واستخفافاً بها فهو فاسق.

(١) البحار، ج ٧٩، ص ٢١٤.

(٢) البحار، ج ٧٩، ص ٢١٦، رقم ٣٢.

(٣) البحار، ج ٧٩، ص ٢١٧، رقم ٣٣.

(٤) البحار، ج ٧٩، ص ٢١٤، رقم ٢٧.

وقد توعدَّ القرآن الكريم تاركي الصلاة بالعذاب الشديد، قال تعالى: ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾^(١).

ولا يقتصر عقاب تارك الصلاة على الآخرة، بل يعاقب في الدنيا وعند الموت وفي القبر (عالم البرزخ) ويوم القيامة.. فقد ورد عن النبي (ص) قوله: «من قهاون بصلاته من الرجال والنساء ابتلاه الله بخمس عشرة خصلة، ست منها في دار الدنيا، وثلاث عند موته، وثلاث في قبره، وثلاث يوم القيامة إذا خرج من قبره.

فأما اللواتي تصييه في دار الدنيا، فالأولى يرفع الله البركة من عمره، ويرفع الله البركة من رزقه، ويمحو الله عز وجلّ سيماء الصالحين من وجهه، وكل عمل يعمل به لا يؤجر عليه، ولا يرتفع دعاؤه إلى السماء، والسادسة ليس له حظ في دعاء الصالحين.

وأما اللواتي تصييه عند موته.. فأولهن: أنه يموت ذليلاً والثانية: يموت جائعاً، والثالثة: يموت عطشاناً، فلو سقي من أنهار الدنيا لم يرو عطشه.

وأما اللواتي تصييه في قبره.. فأولهن: يوكل الله به ملكاً يزعه في قبره، والثانية: يضيق عليه في قبره، والثالثة: تكون الظلمة في قبره.

وأما اللواتي تصييه يوم القيامة إذا خرج من قبره.. فأولهن: أن يوكل الله به ملكاً يسحبه على وجهه والخلائق ينظرون إليه، والثانية: يحاسب حساباً شديداً، والثالثة: لا ينظر الله إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم»^(٢).

(١) سورة المدثر، ٤٠ - ٤١.

(٢) البحار، ج ٨٠، ص ٢١، رقم الحديث ٣٩.

فوائد الصلاة:

للصلاة فوائد عديدة.. من أهمها ما يلي:

١. الفوائد الروحية:

الصلاة صلة بين العبد ومولاه، بين المخلوق والفاني والخالق الباقي، ومن هنا يستمد الإنسان - من خلال الصلاة - الشعور بالقوة، لأنه يستمدّها عندئذٍ من مصدر القوة وهو الله عزّ وجلّ، فالصلاة عبارة عن اتصال مباشر بين الله سبحانه وتعالى، وبين الإنسان المخلوق! يقول الرسول (ص): «إذا قمت في صلاتك فأقبل على الله بوجهك يقبل عليك»^(١).

وعندما يصلي الإنسان بخشوع وخضوع وسكينة ووقار يرتفع من عالم المادة إلى عالم الملكوت، ويتسامى نحو الكمال الروحي (العرفاني)، ويمتلئ قلبه بأنوار قدسية، ويشعر بلذة العبادة والمناجاة والدعاء، يقول الإمام الصادق^(ع): «للمصلي ثلاث خصال: إذا قام في صلاته يتناثر عليه البر من أعنان السماء إلى مفرق رأسه، وتحف به الملائكة من تحت قدميه إلى أعنان السماء، وملك ينادي: أيها المصلي لو تعلم من تناجي ما انفتلت»^(٢).

أما إذا كانت الصلاة مجرد حركة ميكانيكية، وعادة رياضية يومية، أو كانت مجرد نزعة صوفية مترهبة.. فإنه لن تؤثر في صاحبها شيئاً! وقد أشار النبي (ص) إلى هذه الحقيقة بقوله: «يأتي على الناس زمان يجتمعون في مساجدهم يصلون ليس فيهم مؤمن»^(٣) ويقول الإمام علي^(ع): «ربّ متنسك

(١) ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٣٩٠، رقم ١٠٣٤٠.

(٢) البحار، ج ٧٩، ص ٢١٥، رقم ٣٠.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٣٩٤، رقم ١٠٣٦٣.

ولا دين له!»^(١).

٢ . الفوائد النفسية:

توجد أمراض خاصة بالنفس.. كالقلق والتوتر العصبي والخوف والعزلة والاكتئاب.. تؤدي بالنفس إلى الهلاك والدمار إن لم تعالج هذه الأمراض بسرعة، ولا يمكن معالجتها بالمال ولا بالجمال ولا بالقوة.. والدليل على ذلك أن أكثر المصابين بمثل هذه الأمراض هم الأثرياء والأقوياء!

هناك علاج واحد فعال لمعالجة الأمراض النفسية هو الإيمان بالله تعالى، وبالقيم الدينية، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ..﴾^(٢) ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٣) فذكر الله تعالى في الليل والنهار، في السر والعلن، في الرخاء والشدة يجعل القلب مطمئناً، وبعيداً عن الخوف السليبي، والقلق، والانهيار العصبي!

والصلاة التي هي صلة بين الفرد وبين الله لها دور فعال في معالجة الأمراض النفسية، ولذلك يقول تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(٤) ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٥) أي استعينوا على حوائجكم أو على قربه سبحانه والوصول إلى درجات الآخرة بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات وفي المصائب، وبكل صلاة فريضة أو نافلة، وفيه دلالة

(١) ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٣٩٤، رقم ١٠٣٦٥.

(٢) سورة التغابن، ١١.

(٣) سورة الرعد، ٢٨.

(٤) سورة البقرة، ٤٥.

(٥) سورة البقرة، ١٥٣.

على مطلوبة الصلاة في كل وقت، لا سيما عند عروض حاجة، كما روي أن رسول الله (ص): كان إذا حزبه ^(١) أمر فزع إلى الصلاة ^(٢). وورد أيضاً «أن النبي (ص) إذا هاجمه الحزن.. قال لبلال: أرحنا يا بلال» يريد أن يؤذن ليصلي فينصرف عن أحزانه.

وقد أكد العلم الحديث على حقيقة أن الصلاة والقيم الدينية هي أفضل وسيلة للوقاية والعلاج من الأمراض النفسية، فقد «أكد المؤتمر العربي للطب النفسي بالجامعة العربية، أن الصلاة والقيم الدينية أفضل وقاية من الأمراض النفسية.. وحذر المؤتمر من سوء استعمال العقاقير المهدئة، التي قد يتحول إلى درجة الإدمان، وتؤثر على الخلايا العصبية في الجسم فتصيب الإنسان بالتوتر العصبي» ^(٣).

ويقول الدكتور «بريل»: «إن المتدين لا يصاب بأمراض نفسية، وجميع الأمراض الجسمية (فضلاً عن النفسية) كقرحة المعدة، واختلال الجهاز الهضمي، وضربات القلب وغيرها، ناتجة عن القلق النفسي، والاضطرابات الروحية، واليأس من رحمة الله تعالى» ^(٤).

وقد صرح العديد من أبرز رجال العالم في الثقافة والعلم والطب والسياسة.. بأهمية الصلاة وبفوائدها الجمة.. وإليك بعض شهاداتهم في هذا المجال:

يقول «غاندي» -وهو أبرز رجل عرفته الهند في العصر الحديث، ومحرر الهند من نير الاستعمار البريطاني- يقول: «بغير الصلاة كان

(١) حزبه الأمر حزباً: أصابه واشتد عليه أو ضغطه فجأة.

(٢) البحار، ج ٧٩، ص ١٩١.

(٣) ثبت علمياً، ج ١، ص ١٤٢.

(٤) التكامل في الإسلام، ج ٧، ص ٧٦٩.

يتحتم أن أغدو معتوهاً منذ أمد طويل» .

ويقول «كارنيجي» -مؤسس معهد العلاقات الإنسانية بنيويورك، وهو مؤلف شهير، ذائع الصيت في عالم التأليف- يقول: «حين تستنفذ الخطوب كل قوانا، أو تسلبنا الكوارث كل إرادة، غالباً ما نوجه غمرة اليأس إلى الله، فلماذا بالله ننتظر حتى يتولانا اليأس؟ لماذا لا نجدد قوانا كل يوم بالصلاة والحمد والدعاء؟!» .

ويقول الدكتور «الكسيس كاريل» الحائز على جائزة نوبل: «لعل الصلاة هي أعظم طاقة مولدة للنشاط عرفت إلى يومنا هذا، وقد رأيت بوصفي طبيباً كثيراً من المرضى فشلت العقاقير في علاجهم ورفع الطب يديه عجزاً وتسليماً، تدخلت الصلاة فبرأتهم من عللهم، إن الصلاة كمعدن (الراديوم) مصدر للإشعاع ومولد ذاتي للنشاط، وبالصلاة يسعى الناس إلى استزادة نشاطهم» .

ويقول الدكتور «توماس هايسلوب»: «إن أهم مقومات النوم التي عرفت في خلال سنين طويلة من الخبرة والتجربة هي الصلاة، وأنا ألقى هذا القول بوصفي طبيباً، فالصلاة هي أهم وسيلة عرفت إلى الآن لبث الطمأنينة في النفوس، وبث الهدوء في الأعصاب» .

ويقول الدكتور «أدوين فردريك باورز» أستاذ الأمراض العصبية، بالولايات المتحدة الأمريكية: «هناك آلاف الحالات التي لم يجد فيها أشهر الأطباء وأشدّهم فطنة أدنى بارقة أمل والتي تم فيها مع ذلك شفاء المرضى واستعادتهم الصحة والعقل خلال معجزة من معجزات الصلاة»^(١).

هذه هي أقوال أشهر رجالات السياسة والعلم والطب حول فوائد

(١) عبادات الإسلام، ص ٢٣.

الصلاة الكثيرة، وإن كانت الصلاة عندنا مختلفة عما عندهم في الكيفية والمزايا والشروط، إلا أن الجميع يشتركون في أن الصلاة هي دعاء ومناجاة وتضرع وتوجه إلى الله الخالق.

فإذا أصابك أي مرض نفسي، أو أحسست بهم أو غم أو حزن، أو عرض لك عارض من حاجة أو مشكلة أو ابتلاء.. فما عليك إلا أن تتوجه صوب القبلة وتصلي!

٣ . الفوائد الصحية:

الصحة من النعم الكبيرة على الإنسان، فبدونها يفقد فاقدها الكثير من لذات الحياة، وقد يعيش أسيراً لهموم المرض ومشاكله المتنوعة، ولذا يجب على كل واحد منا المحافظة على صحته، كي يستطيع القيام بمسؤولياته في الحياة.

وللصلاة فوائد صحية عديدة، فقد شبهها رسول الله (ص) بالحمّة^(١) تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات فما عسى أن يبقى عليه من الدرن! ^(٢)، فالصلاة تطهير للإنسان من الأوساخ المعنوية والمادية معاً.

ويتحدث الدكتور «عبد الحميد محمد عبد العزيز» أستاذ الأمراض الجلدية والتناسلية بطب الأزهر عن الفوائد الصحية للصلاة فيقول:

(١) الحمّة - بالفتح - كل عين تنبع بالماء الحار يستشفى بها من العلل. والدرن: الوسخ. وقد روي في الحديث أن النبي (ص) قال: «أيسر أحدكم أن يكون على بابه حمّة يغتسل منها كل يوم خمس مرات فلا يبقى من درنه شيء؟ قالوا: نعم، قال: إنها الصلوات الخمس».

(٢) نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٦٢، خطبة رقم ١٩٩.

«فضل الوضوء: إن غسيل اليدين فقط ولمدة دقيقة واحدة يزيل ٣٠ - ٤٠٪ من البكتيريا الهوائية، وغسيل الذراعين والوجه لمدة ١٥ ثانية يزيل ٦٠ - ٨٠٪ من البكتيريا الهوائية في الذراع، و ٦٥ - ٩٥٪ في الوجه، إن إقامة الصلاة هي صورة من عناية الإسلام بنظافتك وصحتك، لأن رسالة الإسلام أوسع، فهي تتطلب أجساماً تجري في عروقتها العافية، ويمتلئ أصحابها قوة ونشاطاً، وأن تتوضأ خمس مرات يومياً، هو نوع من النظافة الدائمة يلتزم المسلم السير عليها.

وعن فوائد الركوع والسجود يقول الدكتور «عبد الحميد محمد عبدالعزيز»: وفي أثناء القيام بالركوع والسجود فإن المصلي يضغط على المعدة والأمعاء فيحدث تنشيط لحركتها وفي هذا تسهيل لعملية الهضم ومنع حدوث الإمساك، ويضاف إلى ذلك أن عملية إتمام الهضم والامتصاص تتم بكفاءة عالية في الجو النفسي الهادئ الطيب الذي يصحب الصلاة»^(١).

وفي الغرب صدر كتاب يعطي للصلاة بعداً علمياً واسمه (أقول لكم: صلوا) ومؤلفه العالم النفساني «جورج ميلدن» وقد أمضى هذا العالم قرابة أربع سنوات - مع ثلة من العلماء - في دراسة الصلاة، ومدى تأثيرها على النفس والجسم.

ومما جاء في الكتاب: إن الصلاة تخلق طاقة خفية في الجسم، بحيث أن الذي يبدأ الصلاة، تنطلق من جسمه إشعاعات خفية، تتفاوت في درجتها، بين شخص وآخر!

وقد أكد هذا العالم الكبير، بعد أن استعان بالكثير من الأجهزة

(١) جريدة الخليج، العدد ٥٤٢٢، وتاريخ ٦/١٠/١٤١٤هـ - الموافق ١٨/٣/١٩٩٤م.

الحديثة العملاقة، أكد أن الذبذبات المنبعثة من جسم المصلي، تسبب له هدوء الأعصاب، وراحة البال خاصة وأن الدم يتدفق بكميات كبيرة خلال الصلاة للدماغ، في أثناء الركوع والسجود، الأمر الذي يجعل خلايا الدماغ أكثر نشاطاً، وأكثر انطلاقة في التفكير السليم!

وهكذا.. يكتشف العلم الحديث يوماً بعد يوم المزيد من الفوائد الصحية والنفسية والروحية للصلاة، وعندما نفهم بدقة فوائد الصلاة، نستطيع أن نستوعب بسهولة فلسفتها العظيمة في الإسلام.

الحج مدرسة تربية

الحج أحد أركان الدين ، وهو دعامة من دعائم الإسلام ، وعنصر قوة للمسلمين ، لما يرمز إليه من عزة واتحاد ووحدة بين كافة المسلمين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم ومدارسهم الفكرية والثقافية والمعرفية.

وقد أجمع المسلمون على وجوب الحج ، وقد نصَّ القرآن بوضوح على ذلك بقوله عزَّ من قائل: ﴿.. وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(١) فالحج واجب على كل من استجمع الشرائط من الرجال والنساء بالكتاب والسنة والإجماع ، بل بالضرورة ، ومنكره في سلك الكافرين ، وتاركه عمداً مستخفاً به بمنزلتهم ، وتركه من غير استخفاف من الكبائر ، ولا يجب في أصل الشرع إلا مرة واحدة في تمام العمر ، وهو المسمى بحجة الإسلام ، أي الحج الذي بني عليه الإسلام ، مثل الصلاة والصوم والخمس والزكاة ،

(١) سورة آل عمران ، ٩٧.

فقد ورد عنهم -عليهم السلام- مستفيضاً: «بُني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية»^(١).

ويتخير تاركه عمداً بين أن يموت يهودياً أو نصرانياً، فعن الإمام الصادق^(ع) قال: «من مات ولم يحج حجة الإسلام ولم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به، أو مرض لا يطيق الحج من أجله، أو سلطان يمنعه، فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً»^(٢).

وقد عُرف الحج عند العرب وغيرهم من قبل الإسلام، فقد كانت العرب وغيرهم من الأمم في الجاهلية يحجون إلى البيت الحرام، ويطوفون حول الكعبة المشرفة، وعندما جاء الإسلام أقرَّ الحج وشرعه، ولكنه لم يدعه على ما كان عليه في الجاهلية، بل حرم الكثير من العادات والتقاليد السيئة، ومنها ما كان يفعله الجاهليون حيث كانوا يطوفون بالبيت الحرام عراة الأجساد، مشبكين بين أصابعهم يصفرون ويصفقون! وقد صرح القرآن الشريف بذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً﴾^(٣) وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ قال ابن عباس: كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفقون!

وحينما شرع الإسلام الحج، وبيّن مناسكه، جعل لكل منسك وعمل منه هدفاً وغاية نبيلة وسامية، بما يتفق والحكمة من التشريع الإسلامي.

(١) البحار، ج ٦٥، ص ٣٢٩، رقم ١.

(٢) البحار، ج ٩٦، ص ٢٠، رقم ٧٢.

(٣) المكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق وهو ضرب اليد على اليد.

(٤) سورة الأنفال، ٣٥.

فضل الحج:

وردت روايات مستفيضة في فضل الحج، وجزيل ثوابه، وجليل جزائه.. وإليك شطراً منها:

١ - عن النبي (ص) قال: «سافروا تصحوا، وجاهدوا تغنموا، وحجوا تستغنوا»^(١).

٢ - عن الإمام الصادق (ع) قال: «لو كان لأحدكم مثل أبي قيس ذهباً ينفقه في سبيل الله ما عدل الحج ولدرهم ينفقه الحاج يعدل ألف درهم في سبيل الله»^(٢).

٣ - عن الإمام الباقر (ع) قال: «الحاج والمعتمر وفد الله إن سألوه أعطاهم، وإن دعوه أجابهم، وإن شفّعوا شفّعهم، وإن سكتوا ابتدأهم، ويعوضون بالدرهم ألف ألف درهم»^(٣).

٤ - عن الإمام الصادق (ع) قال: «الحاج يصدرون على ثلاثة أصناف: صنف يعتق من النار، وصنف يخرج من ذنوبه كهينة يوم ولدته أمه، وصنف يحفظه في أهله وماله، فذاك أدنى ما يرجع به الحاج»^(٤).

٥ - وعنه (ع) أيضاً قال: «من حج حجتين لم يزل في خير حتى يموت»^(٥).

٦ - وعنه (ع) قال: «من حج ثلاث حجج لم يصبه فقر أبداً»^(٦).

(١) البحار، ج ٩٦، ص ١٠، رقم ٣٠.

(٢) البحار، ج ٩٦، ص ٨، رقم ٢٠.

(٣) البحار، ج ٩٦، ص ١٦، رقم ٥٥.

(٤) البحار، ج ٩٦، ص ٢٦، رقم ١١١.

(٥) البحار، ج ٩٦، ص ٦، رقم ١١.

(٦) البحار، ج ٩٦، ص ١٨، رقم ٦٣.

٧ - عن ابن حازم قال: سألت أبا عبد الله^(ع) عمن حج أربع حجج ما له من الثواب؟ قال: «من حج أربع حجج لم تصبه ضغطة القبر أبداً، وإذا مات صور الله الحج الذي حج في صورة حسنة من أحسن ما يكون من الصور بين عينيه تصلي في جوف قبره حتى يبعثه الله من قبره ويكون ثواب تلك الصلوات له واعلم أن الصلاة من تلك الصلوات تعدل ألف ركعة من صلاة الآدميين»^(١).

٨ - عن الحضرمي قال: قلت لأبي عبد الله^(ع) ما لمن حج خمس حجج؟ قال: «من حج خمس حجج لم يعذبه الله أبداً»^(٢).

٩ - عن الإمام الصادق^(ع) قال: «من حج عشر حجج لم يحاسبه الله أبداً»^(٣).

١٠ - وعنه^(ع) قال: «من حج عشرين حجة لم ير جهنم ولم يسمع شهيقها ولا زفيرها»^(٤).

١١ - وعنه^(ع) قال: «من حج خمسين حجة بنى الله له مدينة في جنة عدن فيها مائة ألف قصر في كل قصر حوراء من حور العين، وألف زوجة ويجعل من رفقاء محمد (ص) في الجنة»^(٥).

هذا هو فضل الحج: ثواب عظيم، وأجر جزيل، ورضوان من الله، وغفران للذنوب، وعتق من النار، ودخول الجنة، والتنعم

(١) البحار، ج ٩٦، ص ٢٠، رقم ٧٤.

(٢) البحار، ج ٩٦، ص ٢٠، رقم ٧٦.

(٣) البحار، ج ٩٦، ص ٢٠، رقم ٧٧.

(٤) البحار، ج ٩٦، ص ٢١، رقم ٧٨.

(٥) البحار، ج ٩٦، ص ٢١، رقم ٧٩.

بقصورها، والتلذذ بجورها.. هذا في الآخرة.

وفي الدنيا: استجابة للدعاء، وأمان من الفقر، وضمان الغنى،
وشعور بالاطمئنان النفسي، واستقامة في طريق الخير، وتحقيق للأمال
والطموحات..

كل هذا يتحقق عندما يكون الحج خالصاً لوجه الله تعالى، لا رياء
فيه ولا جدال ولا فسوق ولا شهرة ولا أي مقصد آخر سوى الاستجابة
لنداء الرب جلّ جلاله ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ
سَبِيلًا﴾^(١).

تربية النفس:

للحج أثر فعال في تربية النفس، وذلك لما يتضمنه من التزامات
وأفعال تؤدي بمجموعها إلى تربية الذات تربية سليمة ودقيقة وفعالة،
فالحج تجرد عن المادة وما يتعلق بها، وارتفاع نحو مدارج الكمال
الروحي، والسمو النفسي.

ولا شك أن للحج تأثيراً قوياً جداً في تطهير النفس من ذمائم
الأخلاق كالغرور والتكبر والزهو والعجب، يقول الإمام علي^(ع): «جعلته
سبحانه علاقة لتواضعهم لعظمته، وإذعافهم لعزته»^(٢) فالجميع في الحج سواء،
فلا فرق بين شريف ووضيع، ولا بين غني وفقير، ولا بين سيد ومسود،
فلا وجود للاعتبارات الدنيوية، وإنما الاعتبار الوحيد هو للتقوى ﴿إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران، ٩٧.

(٢) نهج البلاغة، ج ١، ص ٨١، خطبة رقم ١.

(٣) سورة الحجرات، ١٣.

وبمجرد وصول الحاج إلى الميقات، يخرج من الملذات الجسمية ليمتلئ بالملذات المعنوية والروحية، فيُحرم، وعندئذٍ عليه الالتزام بمحظورات الإحرام، واجتناب كل الملذات المحددة، فيحرم جسده من اللباس الراقي ليلبس لباساً متواضعاً وبسيطاً، ويحرم عليه شم الروائح الطيبة كالزعفران والمسك والعطر بجميع أنواعه، وممارسة الشهوات كالجماع والتقبيل واللمس، والتزين بأدوات الزينة كالاكتمال والتدهين، واللَّهُو بالصيد البري أو قطع شجر ونبات الحرم، والتظليل حال السير .. الخ.

وبالملاحظة الدقيقة نكتشف أن لكل منسك وعمل في الحج أثره في تكميل النفس الإنسانية، وفي التحليق بالإنسان نحو مدارج العرفان والسمو الروحي، فالوقوف بعرفات والمزدلفة ومنى، والطواف حول البيت، والسعي بين الصفا والمروة، كلها مواقف قدسية، ومقامات مقدسة، وأعمال عبادية توقيفية، تقرب العبد إلى خالقه عز وجل، فيعود الحاج بعد انتهاء مناسك الحج بغفران ذنوبه كيوم ولدته أمه، وبرضا الله تعالى عنه، وهو غاية الغايات، يقول الإمام علي^(ع): «وقفوا مواقف أنبيائه، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يُحرزون الأرباح في متجر عبادته، ويتبادرون عند موعد مغفرته»^(١).

ولن يفوز بثواب الحج إلا من تجرد عن كل شيء سوى طاعة الله تعالى، والخشوع والخضوع لعظمته حل جلاله، يقول الإمام الصادق^(ع) في حديث رائع وجميل جداً:

«إذا أردت الحج فجرد قلبك لله من قبل عزمك من كل شاغل وحجاب كل حاجب، وفوض أمورك كلها إلى خالقك، وتوكل عليه في جميع ما يظهر من

(١) نهج البلاغة، ج ١، ص ٨١، رقم الخطبة ١.

حركاتك وسكناتك، وسلم لقضائه وحكمه وقدره، وودع الدنيا والراحة والخلق، واخرج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين، ولا تعتمد على زادك وراحتك وأصحابك وقوتك وشبابك ومالك، مخافة أن يصير ذلك عدواً ووبالاً، قال: من ادعى رضا الله واعتمد على شيء سواه صيره عليه عدواً ووبالاً، ليعلم أنه ليس له قوة ولا حيلة ولا لأحد إلا بعصمة الله وتوقيه، واستعد استعداد من لا يرجو الرجوع، وأحسن الصحبة، وراع أوقات فرائض الله وسنن نبيه (ص) وما يجب عليك من الأدب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاء وإيثار الزاد على دوام الأوقات.

ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك..

والبس كسوة الصدق والصفاء والخضوع والخشوع.

وأحرم من كل شيء يمنعك من ذكر الله ويحجبك عن طاعته.

ولبّ بمعنى إجابة صافية خالصة زاكية لله عزّ وجلّ في دعوتك متمسكاً بالعروة الوثقى.

وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت.

وهرول هرباً من هواك تبرياً من جميع حولك وقوتك.

واخرج عن غفلتك وزلاتك بخروجك من منى ولا تتمن ما لا يحل لك ولا تستحقه..

واعترف بالخطايا بعرفات.. وجدد عهدك عند الله بوحدانيته، وتقرب إلى الله وآتقه بمزدلفة.. واصعد بروحك إلى الملاء الأعلى بصعودك إلى الجبل..

واذبح حنجرة الهواء والطمع عند الذبيحة..

وارم الشهوات والخساسة والدناءة والأفعال الذميمة عند رمي الجمرات.

واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك..
وادخل في أمان الله وكنفه وستره وكلاءته من متابعة مرادك بدخولك
الحرم.

وزر البيت متحققاً لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله وسلطانه..
واستلم الحجر رضاء بقسمته وخضوعاً لعزته..
وودع ما سواه بطواف الوداع..
واصف روحك وسرك للقاء الله يوم تلقاه بوقوفك على الصفا..
وكن ذامروّة من الله تقيّاً أو صافك عند المروة..
واستقم على شرط حجتك ووفاء عهدك الذي عاهدت به مع ربك
وأوجبت له إلى يوم القيامة»^(١).

وعندما يلتزم الحاج بهذه التعليمات القيمة، والتوصيات الهامة،
فإنه يعود من الحج وقد حاز على قبول حجه، وفاز بالثواب والأجر
الجزيل، وحصل على رضا خالقه عنه، كما أنه يعود من الحج وقد طهر
نفسه من الرذائل المادية والمعنوية، واكتسب السمات السلوكية
السوية.. وهذه من أهم حِكَم الحج.

(١) البحار، ج ٩٦، ص ١٢٤، رقم ١.

فلسفة الخمس

الإسلام منهج متكامل للحياة، لما يتضمنه من أسس وقواعد لبناء حياة سعيدة للبشرية، ولم يغفل الإسلام جانباً على حساب جانب آخر، بل وضع موازين دقيقة كي تسير الحياة بطريقة منهجية وقوية.

ومن هذه القواعد التي وضعها الله عز وجل في الجانب الاقتصادي هي فريضة الخمس، هذه الفريضة المالية هي إحدى الروافد التي يقوم عليها الاقتصاد الإسلامي.

والخمس عبارة عن ضريبة مالية واضح مصدرها وموردها ومقدارها.

فمصدرها: الغنائم وكل فائدة يستفيد منها الإنسان والغوص والكنز والمعدن وقسم من الأرض وما اختلط من الحلال والحرم.

وموردها: اليتامى والمساكين وأبناء السبيل من ذرية الرسول (ص) والمصالح الإسلامية بنظر الإمام ونائبه.

ومقدارها: من الخمسة واحد، أي ما يعادل ٢٠٪ من رأس المال.

والخمس من الواجبات المالية المؤكدة، وقد نص القرآن على ذلك بوضوح، يقول تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

ويقول الإمام الباقر^(ع): «إن الله الذي لا إله إلا هو لما حرّم علينا الصدقة أنزل لنا الخمس فالصدقة علينا حرام، والخمس لنا فريضة، والكرامة لنا حلال»^(٢).

وقد أجمع فقهاؤنا على وجوب الخمس على كل مكلف رجلاً كان أو امرأة، فيجب الخمس في كل ما يفضل عن مؤونة سنة الإنسان وعياله مهما كانت مهنته ووظيفته، ومن أي نحو حصلت فائدته، سواء أكانت من التجارة أو الزراعة أو الصناعة أو السياحة.. فيجب على كل مكلف أن يخرج الخمس إذا فضل عنده شيء من مؤونة سنته ولو بمقدار دولار واحد أو أقل.

فلسفة الخمس:

أوجب الله سبحانه وتعالى فريضة الخمس على كل مكلف، ولا جدال في أن لكل تشريع فلسفة وحكمة.. ويمكننا استيعاب فلسفة الخمس من خلال النقاط التالية:

(١) سورة الأنفال، ٤١.

(٢) البحار، ج ٩٣، ص ١٩٩، رقم ٦.

١ . امتحان المؤمن:

يعشق الإنسان المال، ويحرص عليه أشد الحرص، يقول تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾^(١) فلا يوجد من لا يحب المال، ومن لا يفكر فيه، ومن لا يعمل من أجله، فالكل يحب المال، ويتعب نفسه من أجله، ويكابد العناء بهدف مضاعفته!

والخمس هو امتحان لإيمان الإنسان، ومدى إخلاصه لربه، فالخمس يعني أن تدفع من ممتلكاتك الزائدة عن مؤونتك السنوية - نقداً كانت أم عيناً - ٢٠٪ من رأس المال، وهنا الامتحان الصعب!

فإن كان الإنسان مؤمناً مخلصاً دفع ما عليه من الحقوق الشرعية إلى الفقيه المرجع أو أحد وكلائه الثقة (في عصر الغيبة) ، وإن كان ضعيف الإيمان تذرع بمئات الذرائع كي يبرر لنفسه عدم الالتزام بأوامر الله عز وجل.

ورد في الحديث عن الثمالي عن أبي جعفر^(ع) قال: قرأت عليه آية الخمس فقال:

«ما كان لله فهو لرسوله وما كان لرسوله فهو لنا، ثم قال: والله لقد يسر الله على المؤمنين أنه رزقهم خمسة دراهم وجعلوا لربهم واحداً وأكلوا أربعة حلالات، ثم قال: هذا من حديثنا صعب مستصعب لا يعمل به ولا يصبر عليه إلا ممتحن قلبه للإيمان»^(٢).

إن الالتزام بالخمس هو دليل قاطع على قوة إيمان المؤمن في إيمانه، وفي تقواه، وفي إخلاصه، وفي نجاحه في الامتحان!

(١) سورة الفجر، ٢٠.

(٢) البحار، ج ٩٣، ص ١٩١، رقم ٧.

٢ . تطهير المال:

أكدت الكثير من الروايات على أن الخمس يطهر المال، ويزيد في الرزق، ويضاعف التوفيق للإنسان، فعن الإمام الصادق^(ع) عن أبيه عن علي^(ع) أنه أتاه رجل فقال: إني كسبت مالاً أغمضت في مطالبه حلالاً وحراماً وقد أردت التوبة ولا أدري الحلال منه من الحرام، وقد اختلط عليّ، فقال علي^(ع): «تصدق بخمس مالك، فإن الله قد رضي من الأشياء بالخمس وسائر المال لك حلال»^(١) وعن الإمام الصادق^(ع) قال: «إني لآخذ من أحدكم الدرهم، وإني لمن أكثر أهل المدينة مالاً ما أريد بذلك إلا أن تطهروا»^(٢) وورد في الحديث أيضاً: «فإن أخرجه -أي الخمس- فقد أدى حق الله عليه، وتعرض للمزيد، وحلّ له باقي ماله وطاب، وكان الله أقدر على إنجاز ما وعد العباد من المزيد، والتطهير من البخل.

فاتقوا الله وأخرجوا حق الله مما في أيديكم يبارك الله لكم في باقيه، ويزكو»^(٣).

إذن.. الخمس يضاعف الرزق، ويزيد في بركة المال، ويطهر المال من الحرام.

ويخطئ من يعتقد أن الخمس هو هدر للمال، فالخمس يضاعف من رصيد الإنسان في آخرته، كما يزيد من رزقه في الدنيا، فقد ورد في الحديث: «إن لله سبحانه ملكاً ينادي كل يوم: اللهم أعط كل منفق خلفاً، وكل ممسك تلفاً».

(١) البحار، ج ٩٣، ص ١٩١، رقم ٨.

(٢) البحار، ج ٩٣، ص ١٨٦، رقم ١٠.

(٣) البحار، ج ٩٣، ص ١٩١، رقم ٩.

وإذا كان الخمس يزيد في الرزق، فإن عدمه يتلف المال..!

وإذا كان الخمس تطهيراً للمال، فإن عدمه محق له..!

٣ . تقوية بيت المال:

لو التزم المسلمون جميعاً بالخمس لأصبح في خزانة «بيت مال المسلمين» أموال طائلة تقدر بآلاف الملايين، وعندئذ يكون بمقدور «المرجعية الدينية» تحقيق كل الآمال والطموحات والتطلعات التي تسعى من أجلها.

إن المال يلعب دوراً مؤثراً في إدارة الحياة، فبالمال تقوم المشاريع العملاقة، وبالمال يحارب الفقر والجهل والتخلف، وبالمال تزدهر البلاد حضارياً.

وقد قامت «المرجعية الدينية» بما تملك من إمكانات مادية بعمل الكثير من المشاريع الضخمة، وأهمها: إدارة الحوزات العلمية وتمويلها، وضمان مؤونة طلبة أهل العلم، وتأسيس المراكز الدينية والثقافية، والعمل على تعميم العلم، والقضاء على الجهل والتخلف، ومساعدة الفقراء والمحتاجين والمعدمين، وبناء المستشفيات والمدارس والجامعات .. الخ.

ولولا الخمس والزكاة والتبرعات العينية والنقدية لما استطاعت «المرجعية الدينية» القيام بهذه الأدوار المهمة والكبيرة.

وستستطيع «المرجعية الدينية» القيام بأدوار أكبر، وبمضاعفة المشاريع، وبزيادة الإنفاق على المحتاجين، عندما يلتزم الجميع بأداء ما عليهم من الحقوق الشرعية، وإيصالها إلى الأيدي الأمانة، من خلال الوكلاء الثقة أو المراجع مباشرة.

رمضان شهر التغيير

الصوم ركن هام من أركان الدين ، وفرع من فروعهِ ، ولذلك فمنذ أن فرضه الله سبحانه وتعالى في السنة الثانية من الهجرة على هذه الأمة الخاتمة ، والمسلمون مستمرّون في أداء هذه الفريضة وإلى يوم القيامة .
وقد نصَّ القرآن الحكيم بوضوح على وجوب الصوم في شهر رمضان على كل مكلف باستثناء المريض والمسافر ومن لا يطيق الصيام ، يقول الله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾﴾ .

وقد أجمع المسلمون على فريضة الصيام في شهر رمضان دون غيره من الشهور ، ولكن من اعترضه مرض أو سفر أو عذر شرعي آخر ،

(١) سورة البقرة ، ١٨٣ - ١٨٤ .

فعليه القضاء عندما يتمكن من ذلك، فالمرضى إذا شفي من مرضه، والمسافر إذا استقر في بلده - أو أي بلد ينوي فيه الإقامة - وجب عليهما قضاء الأيام التي أفطروا فيها قبل حلول شهر رمضان القادم.

والصوم كشعيرة دينية لم يكن من خصوصيات هذه الأمة، بل هو شعيرة ومنسك عرفته شرائع وأمم الرسل السابقين، ولكن باختلاف في التفاصيل، واتفاق في أصل الفريضة.

ولقد «كان الصوم ركناً في جميع الأديان السماوية، وأشبه الأديان، حتى في الشرائع الوثنية، فقد كان قدماء المصريين، والإغريق، والرومان، وسكان ما بين النهرين في العراق، يصومون أياماً مختلفة في العام.

وقد روي أن نوحاً^(ع) صام عندما جنحت به سفينته إلى البر، غباً أن عصف به الطوفان، مائة وخمسين يوماً.

ومعروف: أن موسى بن عمران^(ع) كان يصوم ثلاثين يوماً كل عام، وكان للعبريين صوم خاص يؤدونه، غير أن اليهود، جعلوا يصومون يوماً واحداً في العام، هو يوم عاشوراء، ابتهاجاً بنجاة بني إسرائيل من الغرق في البحر الأحمر.

وأما النصارى فأشهر صومهم وأقدمه، هو الصوم الكبير، الذي يقال: إن عيسى بن مريم^(ع) كان يصومه، وقد ابتدع رجال الكنيسة ضروباً أخرى من الصوم، يباشرونها الآن.

وتصوم أصحاب الديانات والملل والنحل الحية اليوم، مدداً مختلفة، لها مواعيدها وطقوسها الخاصة^(١).

وباستقراء التاريخ نجد أن قدماء المصريين، وخاصة الكهنة ورجال

(١) حديث رمضان، ص ٩٩.

الدين كانوا يصومون، وكانت مدة الصيام من أسبوع لستة أسابيع.
وكان الصينيون القدماء يصومون أيضاً، وقد أخذ اليونانيون
القدماء عادة الصوم عن قدماء المصريين، لكننا نرى أن الرومانيين
يلجأون إلى الصوم طلباً للنصر على أعدائهم، ونلاحظ أيضاً أن اليهود
يصومون، ويهتمون أكثر بالصوم عندما يتعرضون لخطر من الأخطار، أو
وباء من الأوبئة الفتاكة.

والنصارى أيضاً لهم طريقتهم الخاصة بالصوم..
والأغرب من ذلك أن بعض الحيوانات تصوم حفاظاً على نفسها
وجنسها، واستجابة فطرية لظروفها وتكوينها، بل إن بعض الأطباء - في
حالات معينة - يأمرون مرضاهم بالصيام جزئياً أو كلياً، لفترات محددة،
وقد يكون الصوم عن أنواع بعينها.

فلا عجب أن رأينا العالم الشهير، الحائز على جائزة نوبل
«الكسيس كاريل» يقول في كتابه «الإنسان ذلك المجهول»: «إن كثرة الطعام،
وانتظامه، ووفrته، تعطّل وظيفة أدت دوراً عظيماً في بقاء الأجناس
البشرية، وهي وظيفة التكيف على قلة الطعام، ولذلك كان الناس
يلتزمون الصوم في بعض الأوقات».

وفي دائرة المعارف البريطانية نقرأ الآتي:

«إن أكثر الأديان، دانيها وعاليها، قد فرضت الصيام وأوجبته،
فهو يلازم النفوس حتى في غير أوقات الشعائر الدينية، يقوم به بعض
الأفراد، استجابة للطبيعة البشرية في بعض مظاهرها»^(١).

وهكذا نرى أن الصوم ليس لأمة دون أخرى، ولا لزمان دون

(١) الصوم والصحة، ص ٩.

آخر، ولا مكان دون مكان، وإنما هو سنة البشرية، وجزء من نظام الكون الدقيق، تفرضه الحاجة الإنسانية الملحة للصوم، وقبل ذلك التشريع الإلهي لهذه الفريضة العبادية.

مميزات شهر رمضان:

يتميز شهر رمضان بمميزات عديدة عن بقية شهور السنة.. أهمها ما يلي:

١. رمضان سيد الشهور:

يوجد في الإطار الإسلامي مجموعة من المناسبات الدينية المهمة، والتي لها وقع خاص على نفسية الفرد المؤمن، وذلك لما تحويه تلك المناسبات من برامج سلوكية لتربية الإنسان وصياغة شخصيته طبقاً للتصور التربوي الإسلامي، كي يصبح المسلم ملتزماً بعقيدته، ومستقيماً في سلوكه، وكي يتحول أيضاً إلى عضو فعال ومنتج في مجتمعه.

ومن أهم هذه المناسبات شهر رمضان، وذلك لما يرمز إليه من طاعة للمولى عز وجل، وغذاء للروح والنفس والعقل، وارتفاع إلى عالم اللامادة، ولذا، فشهر رمضان هو أفضل الشهور، وهو سيدها على الإطلاق، كما روي عن الرسول الأعظم (ص) حيث قال (ص) عندما حضر شهر رمضان وذلك لثلاث بقين من شعبان. قال لبلال: «نادِ في الناس فجمع الناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن هذا الشهر قد حضركم وهو سيد الشهور، فيه ليلة خير من ألف شهر، تغلق فيه أبواب النيران وتفتح فيه أبواب الجنان..»^(١) وروي أنه (ص) خطب الناس في آخر يوم من شعبان فقال: «أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك،

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص١٧٨، رقم ٧٤٥١.

شهر فيه ليلة العمل فيها خير من ألف شهر.. هو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار»^(١).

فشهر رمضان - كما في الرواية - هو سيد الشهور، وهو أفضلها، وهو شهر عظيم، شهر مبارك، ويكفي أن تعلم أنه شهر الله الأكبر، يقول الإمام السجاد^(ع) في دعائه لوداع شهر رمضان: «السلام عليك يا شهر الله الأكبر ويا عيد أوليائه، السلام عليك يا أكرم مصحوب من الأوقات ويا خير شهر في الأيام والساعات، السلام عليك من شهر قرّبت فيه الآمال ونُشرت فيه الأعمال..»^(٢).

٢ - رمضان شهر العبادة:

شهر رمضان موسم للعبادة، حيث أنه أفضل الشهور، ولياليه أفضل الليالي، وأيامه أفضل الأيام، وساعاته أفضل الساعات، والحسنات فيه مضاعفة، وأبواب الجنان فيه مفتحة، والأعمال فيه مقبولة، والدعاء فيه مستجاب.

يقول الإمام علي^(ع): إن رسول الله (ص) خطبنا ذات يوم فقال: «أيها الناس.. إنه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، هو شهر دعيت فيه إلى ضيافة الله وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب، قال أمير المؤمنين^(ع) فقلت: يا رسول الله.. ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال: يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص١٧٨، رقم ٧٤٥٢.

(٢) الصحيفة السجادية، ص٢٥٩.

الورع عن محارم الله عز وجل^(١) وعن الصادق^(ع) عن آبائه قال: قال رسول الله (ص): «الصائم في عبادة الله وإن كان نائماً على فراشه، ما لم يغترب مسلماً»^(٢) وعن الصادق^(ع) أيضاً قال: «نوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح، وعمله متقبل، ودعاؤه مستجاب»^(٣).

فعندما يصوم الإنسان تصفو نفسه، ويزداد تقرباً من الله عز وجل، مما يساعده على أداء العبادات بتجرد وإخلاص ولذة معنوية لا يجدها إلا في هذا الشهر المبارك.

إننا مدعوون في هذا الشهر الكريم إلى مضاعفة العبادات، والإكثار من المستحبات، وتلاوة القرآن الحكيم، وإحياء الليل بالدعاء والتهجد والصلاة، وفي النهار الامتناع عن كل ما يؤثر على الصوم من المفطرات المادية والمعنوية.

٣ - رمضان شهر المغفرة:

لا يستطيع أي واحد منا أن يجزم بأنه لم يرتكب ذنباً في حياته، فهذا الجزم لا يليق إلا بالمعصومين - سلام الله عليهم أجمعين - ، أما غيرهم فمعرضون في كل لحظة لارتكاب الذنوب والأخطاء.

ولا سبيل للخلاص من العقوبة المترتبة على اقتراف تلك الذنوب والمعاصي إلا بالاستغفار والتوبة إلى الله توبة نصوحة.

وأفضل وقت للاستغفار من الذنوب هو شهر رمضان، حيث تتضاعف فيه المغفرة، وتقبل فيه التوبة، وتمحى فيه السيئات، وترفع فيه

(١) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٧٧، رقم ٧٤٤٩.

(٢) البحار، ج ٩٣، ص ٢٤٧، رقم ٢.

(٣) البحار، ج ٩٣، ص ٢٥٣، رقم ٢١.

الدرجات.

يقول الرسول (ص): «إن أبواب السماء تفتح في أول ليلة من شهر رمضان، ولا تغلق إلى آخر ليلة منه»^(١) وقال (ص): «إذا استهل رمضان غلقت أبواب النار، وفتحت أبواب الجنان، وصدت الشياطين»^(٢). وعنه (ص): «إن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم»^(٣). وقال (ص) متسائلاً: «.. فمن لم يغفر له في رمضان ففي أي شهر يغفر له؟!»^(٤) وقال (ص) لجابر بن عبد الله: يا جابر هذا شهر رمضان من صام نهاره وقام ورده من ليله، وعف بطنه وفرجه، وكف لسانه خرج من ذنوبه كخروجه من الشهر، فقال جابر: يا رسول الله ما أحسن هذا الحديث! فقال رسول الله (ص): يا جابر وما أشد هذه الشروط؟!»^(٥).

ومن هنا.. فإن على كل واحد منا -نحن المسلمين- أن يجتهد في هذا الشهر الكريم للاستفادة منه بأقصى درجات الفائدة، فأبواب الجنان فيه مفتحة، وأبواب النيران مغلقة، والتوبة مقبولة، والدعاء مستجاب، والبركة والرحمة والخير من سمات هذا الشهر المبارك.

وأي تفويت أو تقصير في هذا الشهر، فإنما هو تفويت للبركة والرحمة والمغفرة والتوبة، وينطبق على صاحبه الحديث المروي عن الرسول (ص) حيث يقول: «إن الشقي حق الشقي من خرج عنه هذا الشهر ولم يغفر ذنوبه»^(٦).

(١) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٧٦، رقم ٧٤٤٣.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٧٩، رقم ٧٤٥٣.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٨٠، رقم ٧٤٥٧.

(٤) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٨٠، رقم ٧٤٥٩.

(٥) ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٤٧١، رقم ١٠٦٥٤.

(٦) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٨٠، رقم ٧٤٥٨.

٤ - رمضان شهر المستقبل:

في شهر رمضان نزل القرآن الكريم وبالتحديد في ليلة القدر، وفيه أيضاً نزلت الكتب السماوية الأخرى، فالتوراة نزلت في السادس من رمضان، والإنجيل نزل في الثاني عشر من رمضان، والزبور نزل في الثامن عشر من رمضان، مما يعطي شهر رمضان قدسية خاصة، وخاصية متميزة عن باقي الشهور.

وفي العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر، وهي ليلة عظيمة، حيث تقسم فيها الأرزاق، وتحدد فيها الآجال، وما سيصيب الإنسان إلى السنة الجديدة من خير أو شر، ورزق كثير أو قليل، وبعبارة موجزة: يتحدد في هذه الليلة مستقبل الإنسان إلى مدة عام كامل، ومن هنا فشهر رمضان يستحق أن نطلق عليه بجدارة «شهر المستقبل».

عن حمران أنه سأل أبا جعفر^(ع) عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾ قال: نعم هي ليلة القدر وهي في كل سنة في شهر رمضان في العشر الأواخر، فلم يزل القرآن إلا في ليلة القدر، قال الله عز وجل: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ قال: يقدر في ليلة القدر كل شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل من خير وشر، وطاعة ومعصية، ومولود وأجل ورزق، فما قدر في تلك السنة وقضي فهو المحتوم والله عز وجل المشيئة. قال: قلت: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أي شيء عنى بذلك؟

فقال: العمل الصالح فيها من الصلاة والزكاة وأنواع الخير، خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة قدر، ولولا ما يضاعف الله تبارك وتعالى للمؤمنين ما بلغوا ولكن الله يضاعف لهم الحسنات^(١). وعن الإمام الصادق^(ع)

(١) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٥٥، رقم ١٦٠٨٠.

قال: «كان رسول الله (ص) إذا دخل العشر الأواخر شدَّ الميزر واجتنب النساء وأحى الليل وتفرغ للعبادة»^(١). وعن المسمعي أنه سمع أبا عبد الله^(ع) يوصي ولده إذا دخل شهر رمضان: «فأجهدوا أنفسكم فإن فيه تقسم الأرزاق، وتكتب الآجال، وفيه يكتب وفد الله الذين يفدون إليه، وفيه ليلة العمل فيها خير من العمل في ألف شهر»^(٢).

والمقصود بهذه الليلة هي ليلة القدر، وهي ليلة لا يضاهيها في الفضل سواها من الليالي، وعلامتها أن يطيب ريحها، وإن كانت في برد دفئت، وإن كانت في حر بردت، وتطلع الشمس في صبيحتها.

وقد اختلف في تحديد ليلة القدر، ف قيل هي ليلة التاسع عشر من رمضان، وقيل هي ليلة إحدى وعشرين، وقيل هي ليلة ثلاث وعشرين وهي الأظهر والأقوى، ولعل الحكمة من إخفائها هو الاجتهاد في العبادة في أكثر من ليلة للحصول على الثواب الجزيل في العشر الأواخر لهذا الشهر العظيم.

فوائد الصوم:

للصوم فوائد كثيرة.. ويمكن تحديد أهمها في النقاط التالية:

١. بناء النفس:

بناء النفس هي الخطوة الأولى نحو بناء الذات، وبناء النفس عملية شاقة وطويلة، وتتطلب المزيد من الإرادة والعزيمة والإصرار حتى يتحقق هذا الهدف.

(١) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٥٦، رقم ١٦٠٨١.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٧٧، رقم ٧٤٤٦.

والصوم أفضل وسيلة لتربية النفس ، وترويضها على الفضائل
وقلع الرذائل منها ، وغرس التقوى والإخلاص والإيمان في أعماقها.

ولا يمكن أن يكون الصوم فعالاً إلا عندما يخلص الصائم نيته لله
تعالى ، ويمتنع عن جميع المفطرات المادية والسلوكية ، يقول الإمام
الصادق (ع) في حديث رائع وجميل ما نصه : « إذا أصبحت صائماً فليصم
سمعك وبصرك من الحرام ، وجارحتك وجميع أعضائك من القبيح ، ودع عنك
الهذي وأذى الخادم ، وليكن عليك وقار الصيام ، والزم ما استطعت من الصمت
والسكوت إلا عن ذكر الله ، ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك ، وإياك والمباشرة
والقبل والقهقهة بالضحك ، فإن الله مقت ذلك » .

وعنه أيضاً (ع) قال : « إن الصيام ليس من الطعام والشراب وحده ، إنما
للصوم شرط يحتاج أن يحفظ حتى يتم الصوم ، وهو صمت الداخل أما تسمع ما
قالت مريم بنت عمران : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً ﴾ ^(١)
يعني صمتاً .

إذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم من الكذب ، وغضوا أبصاركم ، ولا تنازعوا
ولا تحاسدوا ولا تغتابوا ولا تماروا ولا تكذبوا ولا تباشروا ولا تخالفوا ولا
تغاضبوا ولا تسابوا ولا تشاتموا ولا تفاتروا ولا تجادلوا ولا تتأذوا ولا تظلموا ولا
تسافهوا ولا تضاجروا ولا تغفلوا عن ذكر الله وعن الصلاة .

والزموا الصمت والسكون والحلم والصبر والصدق ، ومجانبة أهل الشر ،
واجتنبوا قول الزور والكذب والفري والخصومة وظن السوء والغيبة والنميمة .

وكونوا مشرفين على الآخرة ، منتظرين لأيامكم ، منتظرين لما وعدكم الله ،
متزودين للقاء الله ، وعليكم السكينة والوقار والخشوع والخضوع وذل العبد

(١) سورة مريم ، ٢٦ .

الخفيف من مولا^ه، وخيرين خائفين راجين مرعوبين مرهوبين راغبين راهبين قد طهرت القلب من العيوب، وتقدست سرائركم من الخبث، ونظفت الجسم من القاذورات، وتبرأت إلى الله من عداه، وواليت الله في صومك بالصمت من جميع الجهات، مما قد فهاك الله عنه في السر والعلانية، وخشيت الله حق خشيته في سرك وعلانيتك، ووهبت نفسك لله في أيام صومك وفرغت قلبك له، ونصبت نفسك له فيما أمرك ودعاك إليه.

فإذا فعلت ذلك كله فأنت صائم لله بحقيقة صومه، صانع له لما أمرك وكلما نقصت منها شيئاً فيما بينت لك، فقد نقص من صومك بمقدار ذلك.

وإن أبي^(ع) قال: سمع رسول الله (ص) امرأة تسابُّ جارية لها وهي صائمة، فدعا رسول الله (ص) بطعام فقال لها: كلي! فقالت: أنا صائمة يا رسول الله! فقال: كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريته؟ إن الصوم ليس من الطعام والشراب وإنما جعل الله ذلك حجاباً عن سواهما من الفواحش من الفعل والقول يفطر الصائم، ما أقل الصوم وأكثر الجوع!^(١) فالصيام ليس الامتناع عن الأكل والشرب وحسب، وإنما أيضاً الامتناع عن الإتيان بالردائل والفواحش من قول أو فعل أو تقرير، ما ظهر منها وما بطن.

وعندما يلتزم الصائم بذلك، يتحول الصوم إلى وسيلة فعالة لبناء النفس، وتزكيتها، وتطهيرها من شوائب المادية البحتة، فالصوم بما فيه من معنوية ذاتية يذيب المادية، فيرتفع الإنسان من عبودية المادة إلى عبودية الله، ومن أسر الأهواء والشهوات إلى إرادة العقل واختياره، ومن الغرق في الغرائز إلى التحليق في سماء العرفان الإلهي!

ولأجل هذا، فالصوم خير قانع للأهواء والغرائز، وأفضل وسيلة

(١) البحار، ج ٩٣، ص ٢٩٢، رقم ١٦.

لتكامل النفس الإنسانية، والارتفاع بها إلى عالم المثل والقيم والأخلاق.

٢ . بناء الإرادة:

عندما تقوى إرادة الإنسان وعزيمته، يتحرر من عبودية الأهواء والشهوات والغرائز، فلا يخضع لشهوة جامحة، ولا يركع لغريزة طافحة، ولا يتنازل عن مبادئه وقيمه في سبيل مصالحه وأهوائه.

وشهر رمضان بمثابة مدرسة لتربية «الإرادة الإنسانية» فطوال ثلاثين يوماً يمتنع الإنسان -وبإرادته واختياره- عن الأكل والشرب، وعن القبائح والرذائل، وعن اللغو واللّهو.. وهذه المدة الزمنية كافية لتربية الإرادة، وتقويتها، وشحذها بالقوة والصلابة.

لقد ورد عن أبي الحسن^(ع) في قول الله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ قال: «الصبر الصوم، إذا نزلت بالرجل الشدة أو النازلة فليصم، قال^(ع): الله يقول: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ والصبر الصوم»^(١) لأن الصوم يقوي الإرادة، والصبر هو تعبير عن إرادة التحمل في مواطن الشدة، والصوم بما فيه من حرمان عن الملذات والشهوات، هو نوع من الصبر.

وعن الإمام علي^(ع) أنه قال: «صوم الجسد الإمساك عن الأغذية بإرادة واختيار خوفاً من العقاب ورغبة في الثواب والأجر، صوم النفس إمساك الحواس الخمس عن سائر المآثم وخلو القلب من جميع أسباب الشر»^(١). ومن الواضح أن صوم الجسد وصوم النفس بحاجة إلى إرادة قوية، وإلا فما الذي يمنع الإنسان عن الأغذية الشهية، وعن الكلام غير المباح؟!

(١) البحار، ج ٩٣، ص ٢٥٤، رقم ٣٠.

ولا يمكن للإنسان أن يكون قوياً، وناجحاً، وعظيماً، إلا عندما يتسلح بإرادة قوية، ونفسية شجاعة، وعقل حكيم.

والصيام من أقوى الأساليب، وأحسن الوسائل، وأفضل الطرق لتقوية الإرادة، وصناعة العزيمة.

فإذا أردت أن تقوي إرادتك، فعليك بالصيام ليس في رمضان فقط، وإنما أيضاً في بعض الأيام المستحبة من السنة.

٣. بناء العقل:

العقل طاقة جبارة وخلاقة أودعه الله سبحانه وتعالى في الإنسان كي يميز به الحسن من القبيح، والخير من الشر، والحق من الباطل، فهو وسيلة التفكير والإدراك عند بني البشر.

وبناء العقل وتربيته وتنميته من الركائز الرئيسة في بناء الشخصية السوية، وينمو العقل بالعلم والمعرفة، ويزداد نضجاً بالتجربة والخبرة والممارسة الحياتية الواعية.

والصوم من أفضل الوسائل في بناء العقل، ذلك «أن الصوم يوجب صفاء العقل والفكر بواسطة ضعف القوى الشهوية بسبب الجوع، ولذلك قال^(١): «لا يدخل الحكمة جوفاً ملئ طعاماً» وصفاء العقل والفكر يوجبان حصول المعارف الربانية التي هي أشرف أحوال النفس الإنسانية^(٢) فالصوم ينمي «الصفاء العقلي» الذي هو مقدمة لاستيعاب حقول المعرفة والعلم، وهي بدورها تشكل الغذاء الأساسي للعقل.

(١) ميزان الحكمة، ج٥، ص٤٧١، رقم ١٠٦٥١.

(٢) البحار، ج٩٣، ص٢٥٠.

وقد روي في حديث المعراج.. قال (ص) : يا ربّ وما ميراث الصوم؟ قال: «الصوم يورث الحكمة، والحكمة تورث المعرفة، والمعرفة تورث اليقين، فإذا استيقن العبد لا يبالي كيف أصبح، بعسر أم يسر»^(١).

وبالإضافة إلى أن الصوم يورث العلم والمعرفة والحكمة، فإنه يورث «يقظة عقلية» للكثير من الغافلين عن ذكر الله، وعن الالتزام بأوامره، والاجتناب عن نواهيه، فيكون شهر رمضان بذلك بداية جديدة في حياة الكثيرين.

فكم من تارك للصلاة يجعل هذا الشهر فاتحة إقامة للصلاة!

وكم من شارب للخمر يمتنع من بدء هذا الشهر عن معاقبتها!

وكم من مقامر يتوب إلى الله تعالى في هذا الشهر توبة نصوحاً!

وكم من عامل بصنوف المحرمات يتوب عما اقترفه ليكون مؤمناً صالحاً!

وكم من تارك للخمس ومانع للزكاة ومستطيع لم يحج مسوفاً.. و..

و.. يتوب في هذا الشهر، ليؤدي ما عليه من حقوق ويعزم على الحج..!

ويدل هذا على أن لشهر رمضان تأثيراً قوياً بالاتجاه الإيجابي في حياة المذنبين، حيث يستيقظ العقل الغافل من سباته، ويلين القلب القاسي، وتخضع النفس العاصية، وعندئذ يرجع الإنسان إلى وعيه العقلي، هذا الوعي الذي يجعله يقترب من الله عز وجل ويلتزم بأوامره كاملة.

(١) ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٤٧٥، رقم ١٠٦٧٣.

٤ - بناء الجسم:

أثبت العلم الحديث الكثير من الفوائد الصحية للصيام، ومع التقدم العلمي الهائل الذي يشهده علم الطب، يكتشف الأطباء يوماً بعد آخر فوائد جديدة للصوم، وقد أشار الرسول (ص) قبل قرون من الزمن إلى فوائد الصيام الصحية في مقولته البليغة: «صوموا تصحوا»^(١) ويقول الإمام علي^(ع): «الصيام أحد الصحتين»^(٢).

وجاء العلم الحديث ليؤكد ذلك، فالصوم - كما ثبت علمياً - يريح جميع الأجهزة والأنسجة والخلايا والغدد والأعصاب والأجزاء والأوردة والشرابين من الإنهاك والارتباك الحادئين بسبب الاستمرار في العمل المتواصل ليل ونهار وليس معنى ذلك أنها تقف عن العمل، بل معناه أنها تبطئ في العمل لتأخذ راحتها وتنفس عن متاعبها وبذلك يكون الصوم وقاية عن الضعف والاحتقان والتضخم والاكنتاز والتخمة والامتلاء.

فيطول العمر، وينشط الجسم، ويستريح الإنسان من الترهل والكسل، ويتعد عن الأمراض والأوجاع.

كما أن الصوم يسبب نشاط الفكر، ويقظة الذهن، وحدة الفطنة، وإرهاق الذكاء.

أما اضطراب الهضم، وأمراض القلب، والكبد، والطحال، والكلية، والبول السكري، وضغط الدم، فإن الصوم يقضي على جميعها، وكما أنه يذيب الأورام الصغار، ويطهر الجسم من الرواسب.

(١) البحار، ج ٩٣، ص ٢٥٥، رقم ٣٣.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٤٦٨، رقم ١٠٦٢٨.

ومن المفيد هنا الإشارة إلى أقوال بعض الأطباء العالميين في هذا المجال لتبيان فوائد الصيام الصحية:

يقول الدكتور «ماك فادون» وهو من الأطباء العالميين الذين اهتموا بدراسة الصوم وأثره.. يقول هذا الطبيب العالمي:

«إن كل إنسان يحتاج إلى الصوم وإن لم يكن مريضاً، لأن سموم الأغذية والأدوية تجتمع في الجسم فتجعله كالمرضى، وتثقله، فيقل نشاطه، فإذا صام الإنسان، خف وزنه، وتحللت هذه السموم من جسمه بعد أن كانت مجتمعة، وما أن تذهب عنه حتى يصفو صفاء تاماً.

ومع ذلك يستطيع الصائم -إذا أراد- أن يسترد وزنه، ويجدد جسمه في مدة لا تزيد على العشرين يوماً بعد الإفطار، لكنه يكون قد تخلص من أعباء السموم، ويبدأ يشعر بنشاط وقوة لا عهد له بهما من قبل» .

والجدير بالذكر، أن هذا الطبيب عالج بالصوم كثيراً من الأمراض المختلفة، وذكر أسماء المرضى وأمراضهم وتاريخ علاجهم، إلا أنه قرر أن انتفاع المرضى بالصوم يتفاوت حسب أمراضهم، فأكثر الأمراض استفادة من الصيام، أمراض المعدة، فالصوم لها مثل العصا السحرية، يسارع في شفاؤها، والتخفيف من أعراضها المتعبة، وتليها بعض أمراض الدم والجلد والروماتزم وغيرها.

ولقد قامت بالفعل في العالم الأوربي مصحات عديدة يتخذ الصوم فيها كعلاج رئيسي لكثير من الأمراض وخاصة اضطرابات الهضم والبدانة وبعض أمراض القلب والكبد والبول السكري وارتفاع ضغط الدم، ونستطيع أن نذكر أسماء بعض هذه المصحات:

١ - مصحة الدكتور «هنريج لاهمان» .

٢ - مصحة الدكتور «برشر بذ» .

٣ - مصحة الدكتور «مولر» .

ولاشك أن بعض الأمراض يزيدها خطورة أنواع معينة من الطعام مثل زيادة الأملاح أو الدهون أو المواد السكرية، تلك العلاقة بين الصحة العامة والطعام علاقة أكيدة لا خلاف عليها، ولهذا نرى الأطباء يكتبون وصفات بالطعام الذي يناسب المريض، ويحرمونه من بعض الأطعمة التي قد تزيد حالته سوءاً.

ويستطيع كل صائم أن يجعل من هذا الشهر الكريم فترة للعلاج والوقاية من كثير من الأمراض^(١).

ويقول الطبيب العربي الأشهر الأستاذ الدكتور «عبد العزيز إسماعيل»:

«إن الصوم يستعمل طبيياً في حالات كثيرة، ويستعمل وقائياً في حالات أكثر.. إن كثيراً من الأوامر الدينية لم تظهر حكمتها، وستظهر مع تقدم العلوم، فقد ظهر أن الصوم يفيد في حالات كثيرة، وهو العلاج الوحيد في أحيان أخرى، فلعلاج يستعمل في اضطرابات الأمعاء المزمنة، والمصحوبة بتخمر، ويستعمل عند زيادة الوزن الناشئة عن كثرة الغذاء، وكذلك في ارتفاع الضغط، أما بالنسبة للبول السكري فلما كان قبل ظهوره، يكون مصحوباً في الغالب بزيادة في الوزن، فالصوم يكون بذلك علاجاً نافعاً، ولا يزال الصوم - مع بعض ملاحظات في الغذاء - أهم علاج لهذه الحالة»^(٢).

(١) الصوم والصحة، ص ١٤.

(٢) الصوم والصحة، ص ١٦.

ويقول الدكتور «محمد الظواهري» بصدد هذا الموضوع أيضاً:

«لقد كان معظم العلاجات قديماً، وحتى حديثاً، تتبع النظام الصحي في الغذاء، والابتعاد عن الطعام والشراب لفترات محدودة منظمة، لراحة الجهاز الهضمي، وضمان قدرته عندما يستأنف عمله، وهذه هي سنة الله ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.. وعملية الصوم هي عملية تنظيم لفترات تناول الطعام، ويشمل التنظيم، إعداد الجهاز الهضمي لتقبل الغذاء في فترتين محدودتين من فترات اليوم، وفي هذا تنظيم له، ولو اتبعنا النظام الدقيق، وحددنا مواعدي الإفطار والسحور، ولم نكثر فيهما فوق طاقة الجسم والجهاز الهضمي، فستتم الفائدة، ونحصل على المقصود من حكمة الصوم، فلا شك أن اتباع النظام في كل شيء هو المثل الأعلى»^(١).

ويذكر الدكتور «يوري نيكولايف»^(٢) مدير وحدة الصوم بمعهد الطب النفسي بموسكو، أنه خلال تعامله على مدى ثلاثين عاماً مع أكثر من عشرة آلاف حالة صوم أو امتناع عن الطعام لفترات محددة، قد لاحظ أن أجهزة المناعة، أو الدفاع الكائن في الجسم، كانت تنشط وتتحرك أثناء الصوم وتقضي على كثير من الأمراض.

ومما هو جدير بالذكر أنه من قديم الزمان قال أبوقراط أبو الطب: «إن كل إنسان يمتلك في داخله طبيباً، وعلينا أن نساعد هذا الطبيب في عمله، فإذا أكلت وأنت مريض فإنك غالباً ما تغذي مرضك» وهو

(١) الصوم والصحة، ص ١٧.

(٢) تزداد أهمية هذا البحث من كونه صادراً من باحث شيوعي ملحد، لا يعترف بالدين وفرائضه، مما يدل على عظمة الإيمان بالله واتباع تعاليمه، وما فرضه علينا من صوم وغيره من فرائض.

يقصد بذلك أن الامتناع عن تناول الطعام يساعد على الشفاء^(١)،
وصدق الله إذ يقول: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

وثبت علمياً أن أربعة أخماس أمراضنا تنشأ عن تخمر الأمعاء،
فالمعدة دائماً بيت الداء، وأنا إذا امتنعنا عن الطعام بعض الوقت
فسوف نزيل هذه العناصر المضرة.

ويقول أحد الأطباء العالمين الدكتور «جان فروموزان»: «إن الصوم
هو عملية غسيل للأحشاء، فنحن نلاحظ في بداية الصوم أن لساننا قد
أصبح مقسماً، ويتفصد العرق من جسمنا، وكثيراً ما يفرز مادته
المخاطية... وكل هذا دليل على أن الجسم قد بدأ يقوم بعملية غسيل
كاملة، ثم بعد ثلاثة أو أربعة أيام يصبح «نفسنا» لا رائحة له،
وتنخفض نسبة الحمض البولي، ثم تشعر بحفة ونشاط وراحة عجيبة».

وقد تبين أنه في فترة الصوم تستمد الأعضاء غذاءها من احتياطي
الغذاء في الجسم، فالكبد غنية بالكليكوجين، والدم غني بالبروتين،
ومخزون الدهون في الجسم يعادل ٣٠٪ من وزنه عند الرجل و ٢٠٪ من
وزنه عند المرأة وهذه كلها تغطي حاجتنا إلى الطاقة لمدة شهر على
الأقل، أي أننا حين نصوم نأكل من جسمنا نفسه، ولكن بطريقة
خاصة.

وقد أثبتت التجارب العلمية أيضاً أنه يمكن السيطرة على نمو
الأمراض السرطانية إذا ما صاحب العلاج صوم وريجيم قاس يخفض من
حجم الطعام إلى النصف، ثبت ذلك من خلال تجارب أجريت مؤخراً

(١) يلاحظ أن كثيراً من الحيوانات تمتنع عن الطعام إذا مرضت.. إنها تفعل ذلك دون أن
تستشير طبيباً أو تستمع إلى نصيحة، بل إلهاماً من خالقها الذي تكفل بها.

على الفئران في مركز «برونكس الطبي» بنيويورك، تحت إشراف متخصص
الأورام العالمي الدكتور «لودويك كروسي» وجدير بالذكر أن فكرة علاقة
الطعام بعلاج السرطان قديمة إلى الثلاثينات^(١).

هذه هي بعض آفاق «الصحة الصيامية» وقاية وعلاجاً، وهكذا
يؤكد العلم الحديث على ما قاله الرسول العظيم (ص) قبل أربعة عشر
قرناً من الزمن في كلمته المشهورة: «صوموا تصحوا» .

(١) ثبت علمياً، ج١، ص٢٠.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الواجبات شرعاً وعقلاً، وهو أساس من أسس دين الإسلام، وهو من أفضل العبادات، وأنبل الطاعات، وهو باب من أبواب الجهاد، والدعوة إلى الحق، والدعاية إلى الهدى، ومقاومة الضلال والباطل، والذي ما تركه قوم إلا وضربهم الله بالذل، وألبسهم لباس البؤس، وجعلهم فريسة لكل غاشم، وطعمة كل ظالم^(١).

وقد نصَّ القرآن الكريم في كثير من آياته الشريفة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك من أجل تعميق جذور الحق والخير، والقضاء على المنكر بشتى أشكاله وألوانه.

ويطالب القرآن الأمة المسلمة بأن تكون أمة الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

(١) أصل الشيعة وأصولها، ص ٩١.

(٢) سورة آل عمران، ١٠٤.

وقد جعل القرآن الحكيم فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إحدى صفات الأمة التي نعتها ربها بأنها خير أمة، يقول تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ..﴾^(١).

وجعل هذه الفضيلة صفة الأمة المؤمنة المتكافلة والمتعاونة على الخير، يقول تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

وجعل هذه الفضيلة أيضاً صفة من صفات المؤمنين، يقول تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

كما أشار القرآن إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة من صفات الصالحين، حيث يقول عز من قائل: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٤).

وقد ورد عن الرسول الأعظم (ص) وأهل بيته^(ع) روايات مستفيضة في الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد روي عن الرسول محمد (ص) أنه قال: «إن الله ليبيغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له. فقيل: وما المؤمن الضعيف الذي لا دين له؟ قال: الذي لا ينهي

(١) سورة آل عمران، ١١٠.

(٢) سورة التوبة، ٧١.

(٣) سورة التوبة، ١١٢.

(٤) سورة آل عمران، ١١٤.

عن المنكر»^(١). وعنه (ص) قال: «لا ينبغي لنفس مؤمنة ترى من يعصي الله فلا تنكر عليه»^(٢). وقال الإمام علي^(ع): «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق، ولكن يضاعفان الثواب ويعظمان الأجر، وأفضل منهما كلمة عدل عند إمام جائر»^(٣). وعنه^(٤) قال: «ما أعمال البر كلها، والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا كنفتة في بحر لحي..»^(٥). وعن أحدهما^(٦) أنه قال: «لا دين لمن لا يدين الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»^(٧). وكل هذه الأحاديث الشريفة تدل على وجوب الأمر بالمعروف والجهاد بالحق، ومعارضة بل ومحاربة كل أشكال المنكر.

وقد أفتى الفقهاء: بأن الأمر بالمعروف في الواجبات واجب، وفي المستحبات مستحب، والنهي عن المنكر في المحرمات واجب، وفي المكروهات مستحب.

تعريف المعروف:

كلمة «المعروف» مأخوذة من مادة «عرف» وفي المادة معنى الظهور والارتفاع، وانتشار الرائحة الطيبة، وما كان كذلك فهو معروف مأنوس غير مجهول والاعتراف هو الإقرار، وأصله إظهار معرفة الذنب، والمعروف هو ما عرفته العقول السليمة، وأنست إليه الطباع المستقيمة، وهو أيضاً اسم لكل فعل يُعرف بالشرع أو العقل حسنه، والعُرفُ

(١) ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٢٥٧، رقم الحديث ١٢٣٩٨.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٢٥٧، رقم الحديث ١٢٣٩٩.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٢٦٢، رقم الحديث ١٢٤١٩.

(٤) ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٢٥٥، رقم الحديث ١٢٣٩٠.

(٥) ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٢٥٥، رقم الحديث ١٢٣٨٥.

المستحسن الذي هو ضد المنكر^(١).

وقد عرّف المحقق «الخلي» المعروف بأنه: كل فعلٍ حَسَنٍ، اختص بوصف زائد على حسنه، إذا عرف فاعله ذلك، أو دل عليه.

وعليه.. فإن كل أمر أو فعل حَسَنٍ هو معروف.. فالصدق والأمانة والوفاء وحسن الخلق والشجاعة والكرم والحياء والصدقة ومساعدة المحتاج وإرشاد الضال.. معروف. والصلاة والصيام والحج والخمس والزكاة والاعتكاف والجهاد.. معروف. وحسن الجوار والقيام بآداب الضيافة والهدية وصلة الأرحام والإحسان إلى الوالدين.. معروف. والمساهمة في بناء المساجد والحسينيات، ودعم الأنشطة الاجتماعية المفيدة، والعمل على تنمية المواهب والطاقات.. معروف... وهكذا كل فعل ينص الشرع والعقل على حسنه فهو من المعروف.

تعريف المنكر:

كلمة «المنكر» مشتقة من مادة «نكر» وهي مادة تدل على الجهل، والصعوبة، والاشتداد، والاستيحاش، والقبح، والنفور، وكراهية النفوس، يقول: أنكره، أي جهله إذ وجده على غير ما عهده، ويقال: أنكر فلان كذا، أي كرهه فلم يقره.

والمنكر هو الباطل، لأن العقول السليمة تنكره وترفضه، ولذلك قال علماء الأخلاق: إن المنكر هو ما تستقبحه العقول السليمة، ويحكم الدين بقبحه، وهو ضد المعروف، ويقول الأصفهاني: المنكر كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه

(١) موسوعة أخلاق القرآن، ج ٣، ص ٢٠٧.

العقول ، فتحكم بقبحه الشريعة^(١).

وقال المحقق «الخلي» في الشرائع: المنكر كل فعل قبيح، عرف فاعله قبحه ، أو دلَّ عليه.

والمنكر ما حرمه الإسلام كالزنى واللواط والخمر والكذب والغيبة والنميمة والظلم والرشوة وشهادة الزور وأكل أموال اليتامى واللعب بالقمار والخيانة والغش والاحتكار وما إلى ذلك... أو كرهه كالذهاب إلى مجالس البطالين والبطنة والأكل على الشبع والنوم على البطن والتخلي في الشوارع والأزقة وأمام المنازل والبيوت وتحت الأشجار المثمرة والأكل في حال التخلي واصطحاب القرآن وحمله وهو مجنب وكذلك الجماع بعد أن يحتلم في المنام.. وغير ذلك مما هو مذكور بالتفصيل في الكتب الفقهية الموسعة.

شروط الأمر والنهي:

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عدة شروط هي:

١. العلم بالمعروف والمنكر:

أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علماً بهما حتى لا يأمر بغير معروف ولا ينهى عن غير منكر ، ولأن الجاهل بحاجة إلى من يرشده، إذ أن فاقد الشيء لا يعطيه.. فقد روي عن الإمام الصادق^(ع) أنه قال: «إِنَّمَا يَأْمُرُ بِالْعُرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ مَنْ كَانَتْ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: عَالِمٌ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ تَارِكٌ لِمَا يَنْهَى عَنْهُ ، عَادِلٌ فِيمَا يَأْمُرُ عَادِلٌ فِيمَا يَنْهَى ، رَفِيقٌ فِيمَا يَأْمُرُ رَفِيقٌ فِيمَا يَنْهَى»^(٢).

(١) موسوعة أخلاق القرآن، ج٣، ص٢٢٠.

(٢) ميزان الحكمة، ج٦، ص٢٧١، رقم الحديث ١٢٤٥٧.

٢. احتمال التأثير:

فلو علم الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر بعدم تأثير أمره أو نهيه لم يجب عليه الأمر أو النهي، وإنما يجب على من يحتمل في نفسه التأثير على الغير، وهذا الشرط تدعمه الفطرة والبديهة العقلية.

وقد سئل أبو عبدالله^(ع) عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أوجب على الأمة جميعاً؟ قال: لا، فقيل: لِمَ؟ قال: «إنما هو على القوي المطاع العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضعفة الذين لا يهتدون سبيلاً»^(١).

٣. الإصرار على ترك الواجب وفعل المنكر:

أن يكون الفاعل للمنكر، والتارك للمعروف غير عازم على الترك والتوبة، فلو كان رجل ارتكب محظوراً، أو ترك مأموراً ثم ندم وعزم على الإقلاع، لم يبق مجال للأمر والنهي.

٤. انتفاء الضرر:

إذا أدى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى ضرر على الأمر الناهي أو على غيره من المسلمين، سقط التكليف، لقاعدة «لا ضرر ولا ضرار»، ولكن إذا كان الإسلام في خطر وجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الجميع دون استثناء وإن سبب ذلك ضرراً على الأمر الناهي.

وقال الشيخ «محمد جواد مغنية» في كتابه «فقه الإمام جعفر الصادق^(ع)»: «إن هذا الشرط - أي انتفاء الضرر - يختص في مخالفة فروع الدين فقط، أما مع الخوف على الدين وأصوله فيجب الجهاد، وبذل

(١) ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٢٧١، رقم الحديث ١٢٤٥٩.

النفس والمال، لأن الوجوب هنا متعلق بنفس الضرر، أو بالفعل الذي يتولد منه الضرر، لا بالفعل الذي لا يستدعي شيئاً من الحرج والضرر» .

مراتب الأمر والنهي:

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مراتب ثلاث:

١ . الإنكار بالقلب:

وهو يجب وجوباً مطلقاً على كل حال سواء اجتمعت الشرائط أم لا، وسواء أمر أو نهى بغيره، من المراتب أم لا، لأن الإنكار القلبي بهذا المعنى - وهو أن يوجد فيه إرادة المعروف وكراهة المنكر - من مقتضى الإيمان، ولا تلحقه مفسدة.

وللإنكار القلبي مصاديق كثيرة.. كأن يقطب الإنسان وجهه في وجه فاعل المنكر، وكاجتناب تارك الواجب الشرعي.

وقد ورد في الأثر روايات كثيرة في وجوب إنكار المنكر بالقلب وتحريم الرضا به، ووجوب الرضا بالمعروف وحبه له، فعن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»^(١). وعن أمير المؤمنين^(ع) قال: «إنما يجمع الناس الرضا والسخط، فمن رضي أمراً فقد دخل فيه، ومن سخطه فقد خرج منه»^(٢). وعنه^(ع) أيضاً قال: «الراضي بفعل قوم كالدخل فيه معهم، وعلى كل داخل في باطل إثم: إثم العمل به، وإثم

(١) ميزان الحكمة، ج٦، ص٢٧٥، رقم الحديث ١٢٤٧٩.

(٢) دراسات في ولاية الفقيه، ج٢، ص٢٣٥.

الرضا به»^(١).

٢ . الإنكار باللسان:

ويعني إظهار الكراهة لفاعل المنكر وتارك الواجب بالوعظ والإرشاد، وفي البدء يجب الاكتفاء بالكلام اللين والهادئ وبالموعظة الحسنة وبالنصيحة الرقيقة، وإذا لم ينفع ذلك عليه استخدام الكلام الخشن والقول القوي والموعظة الرادعة، وفي جميع الحالات عليه مراعاة الأسهل في القول فالأسهل، يقول الرسول محمد (ص): «من رأى منكراً فغيره بيده فقد برئ، ومن لم يستطع أن يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برئ، ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برئ، وذلك أضعف الإيمان»^(٢).

٣ . الإنكار باليد:

إذا لم يرتدع فاعل المنكر وتارك المعروف من الإنكار عليه باللسان جاز التحول إلى المرتبة الثالثة وهي الإنكار باليد كأن يضرب مرتكب الحرام، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن لا يمارس الأشد طالما كان الأخف نافعاً ومؤثراً، أما إذا لم يؤثر الضرب القليل فلا مانع من التحول إلى الضرب الشديد، بشرط أن يكون مؤثراً، ويجب فيه الاقتصاد على الأسهل فالأسهل كما في اللسان.. فعن علي^(ع) قال: إن رسول الله (ص) عهد إلي وقال: «يا علي مر بالمعروف وأنه عن المنكر بيدك فإن لم تستطع فقلبك، وإلا فلا تلومن إلا نفسك»^(٣). وعن الإمام الباقر^(ع) قال: «فأنكروا بقلوبكم، والفظوا بألسنتكم، وصكوا بها جباههم، ولا تخافوا في

(١) دراسات في ولاية الفقيه، ج٢، ص٢٣٥.

(٢) ميزان الحكمة، ج٦، ص٢٧٥، رقم الحديث ١٢٤٨٠.

(٣) ميزان الحكمة، ج٦، ص٢٧٧، رقم الحديث ١٢٤٨٧.

الله لومة لائم، فإن اتعظوا فيلى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم، ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، هنالك فجاهدوهم بأبدانكم، وأبغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطاناً، ولا باغين مالاً، ولا مريدين بالظلم ظفرًا حتى يفيئوا إلى أمر الله ويمضوا على طاعته»^(١).

فلسفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

تتجلى فلسفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأمور الآتية:

١. المسؤولية الجماعية:

إن أي قانون لا يمكن تطبيقه على أرض الواقع إلا إذا كانت هناك آليات لتنفيذه، وبدون ذلك يصبح القانون حبراً على ورق!

والشريعة في الإسلام هي عبارة عن القوانين الإلهية التي يجب تطبيقها في كل زمان ومكان، ومن أجل تنفيذ تلك القوانين شرع الله عز وجل - فيما شرعه - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليكون بمثابة آلية فعالة تضمن تطبيق القوانين الإلهية.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشير إلى مفهوم الرقابة الاجتماعية العامة التي تحفظ للفرد والمجتمع سلامته واستقراره وسعادته.

وبما أن الجميع - في التصور الإسلامي - يتحمل مسؤولية الحفاظ على إشاعة المعروف ومنع المنكر فإن ذلك يمثل صمام الأمان ضد أية محاولات للعبث بسلامة المجتمع أو إعاقة تنفيذ الشريعة فيه.

يقول الله تعالى - مشيراً إلى تحمل المؤمنين والمؤمنات إلى هذه

(١) تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ١٨٠، رقم الحديث ٢١.

المسؤولية- في كتابه العزيز: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

وروي عن النبي (ص) قوله: «لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا نزلت عنهم البركات وسلط بعضهم على بعض، وليس لهم ناصر في الأرض ولا معين»^(٢).

إن أي مجتمع يتحمل أفراداه مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سيعم فيه الخير، ويزدهر في أرباعه الأمن والاستقرار والطمأنينة والسعادة والعكس بالعكس تماماً.

وقد أشار إلى هذه الحقيقة المرجع الديني المرحوم الشيخ «محمد الحسين آل كاشف الغطاء» حيث يقول: «لما جعل الشارع الأحكام ووضع الحدود والقيود للبشر والأوامر والنواهي بمنزلة القوة التشريعية احتاج ذلك إلى قوة تنفيذية، فجعل التنفيذ على المسلمين جميعاً حيث أوجب على كل مسلم (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ليكون كل واحد قوة تنفيذية لتلك الأحكام، فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول، والجميع مسيطر على الجميع، فإذا لم تنجح هذه القوة ولم يحصل الغرض منها بحمل الناس على الخير، وكفهم عن الشر، فهناك ولاية ولي الأمر والراعي العام والمسؤول المطلق وهو الإمام أو السلطان المنصوب لإقامة الحدود على الجرمين، وحفظ ثغور المسلمين.

وفي وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل به من

(١) سورة التوبة، ٧١.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٢٦٥، رقم الحديث ١٢٤٣٦.

الفوائد والثمرات وعظيم الآثار ما يضيق عنه نطاق البيان في هذا المقام، ولكن هل تجد مثل هذه السياسة في دين من الأديان؟ وهل تجد أعظم وأدق من هذه الفلسفة؟! حيث أن على كل واحد واجبات ثلاثة: أن يتعلم ويعمل، وأن يعلم، وأن يبعث غيره على العلم والعمل»^(١).

٢ . تجذير القيم الدينية:

يعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلة ضرورية لتثبيت وتجذير وتعميق القيم الدينية في البنية الاجتماعية، وذلك لما يتركه الأمر والنهي من آثار إيجابية في التزام الأفراد والمجتمعات بالقيم الدينية، وسيادة الشريعة في حياة الناس وحركة المجتمع، وقد أشار الإمام علي^(ع) إلى هذه الحقيقة بقوله: «قوام الشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود»^(٢).

وقد أكد الإمام الحسين^(ع) إلى أن القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى التزام الناس بالفرائض والواجبات، واجتناب المحرمات والردائل، حيث يقول^(٣) في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه لعلهم بأنها إذا أديت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هيئها وصعبها، وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع رد المظالم، ومخالفة الظالم، وقسمة الفياء والغنائم، وأخذ الصدقات من مواضعها، ووضعها في حقها»^(٣).

ويقول الإمام الباقر^(ع): «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل

(١) أصل الشيعة وأصولها، ص ٩٢.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٢٥٥، رقم الحديث ١٢٣٨٨.

(٣) البحار، ج ٩٧، ص ٧٩، رقم الحديث ٣٧.

الأنبياء، ومنهاج الصلحاء، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمين المذاهب، وتحل المكاسب، وترد المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف من الأعداء، ويستقيم الأمر»^(١).

وهكذا نستنتج من هذه الأحاديث أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى الالتزام بالفرائض، وتطبيق الشريعة، وتعميق القيم الدينية، وتوفير الأمن والاستقرار، وتحقيق العدالة والحرية والتنمية والتعمير والتقدم الاجتماعي العام.

٣ . تعميم الفضائل:

يساهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نشر الفضائل، وبسط الخير، وتعميق الأخلاقيات الإنسانية، وغرس المفاهيم الدينية، وتقويم السلوك الفردي والجمعي.

و(الأمر بالمعروف) والتحلي به، والحرص عليه، والالتزام به قولاً وفعلاً، يعد من مكارم الأخلاق، وفضائل الخصال، ومحاسن الأعمال.

يقول الإمام علي^(ع): «الأمر بالمعروف أفضل أعمال الخلق»^(٢) وعنه^(٣) أيضاً قال: «فرض الله تعالى الأمر بالمعروف مصلحة للعوام»^(٣) لأن (الأمر بالمعروف) يعني نشر العدل والإحسان والخير، ورفض الظلم والشر والفساد وكل أشكال المنكر والفحشاء.

والتزام الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى تعميم الخير والفضيلة، والقضاء على الشر والرذيلة، إذ لا يمكن لأحد في ظل

(١) ميزان الحكمة، ج٦، ص٢٦١، رقم الحديث ١٢٤١٣.

(٢) ميزان الحكمة، ج٦، ص٢٥٦، رقم الحديث ١٢٣٩٣.

(٣) ميزان الحكمة، ج٦، ص٢٥٦، رقم الحديث ١٢٣٩٤.

الرقابة الاجتماعية الذاتية أن يتجراً علناً على مخالفة المجتمع الملتزم،
يضاف إلى ذلك.. أن الأمر بالمعروف والالتزام به يخلق حالة من (التوافق
الاجتماعي) المؤثر في صياغة المجتمع، كما هو مقرر في علم المنطق.

٤. منع الرذائل:

يوجد في كل مجتمع فئة شريرة، تحب الشر، وتدعو إليه، وتعمل
من أجل نشره، كي يعم الجميع، ومن ثم تستطيع هذه الفئة أن تحوز
على القوة والنفوذ الاجتماعي.

والإسلام الذي يدعو إلى الخير، ونشر المعروف، يحث أتباعه على
محاربة المنكر، والقضاء على الشر، ومنع الرذيلة، والوقوف بوجه
الفساد والمفسدين، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ
ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١).

و (النهي عن المنكر) يعني استخدام كل الوسائل المشروعة في
محاربة كل قبيح، وكل باطل، وكل فساد، يقول الإمام علي^(ع): «فرض الله
تعالى النهي عن المنكر ردعاً للسفهاء»^(٢).

وقد اعتبر أمير المؤمنين^(ع) القتال أهون عليه من السكوت عن
المعاصي والمنكرات، فقد روي عنه^(ع) في جواب رجل قال له في وقعة
صفين: ترجع إلى عراقك ونرجع إلى شامنا... :

«لقد عرفت أن ما عرضت هذا نصيحة وشفقة.. إن الله تبارك وتعالى لم يرض
من أوليائه أن يعصى في الأرض وهم سكوت مدعنون، لا يأمرون بالمعروف ولا

(١) سورة النحل، ٩٠.

(٢) ميزان الحكمة، ج٦، ص٢٥٨، رقم الحديث ١٢٤٠٣.

ينهون عن المنكر ، فوجدت القتال أهون عليّ من معالجة الأغلال في جهنم»^(١).
فالنهي عن المنكر «الحرام» واجب ، وبجميع الوسائل والأساليب
المشروعة شرعاً وعقلاً.

وإذا كان القرآن الكريم قد اعتبر فضيلة الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر صفة من صفات المؤمنين والصالحين والمتقين ، فإنه جعل رذيلة
الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف صفة من صفات المنافقين ، يقول الله
تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢).

وكذلك جعل القرآن الحكيم عدم التناهي عن المنكر صفة من
صفات الملعونين المطرودين من رحمة الله ، يقول الله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٣).

وقد أشار الرسول الأعظم (ص) إلى تبدل المفاهيم ، حيث يعتبر
المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً! حيث يقول (ص): «كيف بكم إذا فسد
نساؤكم ، وفسق شبانكم ، ولم تأمروا بالمعروف ، ولم تنهوا عن المنكر؟ فقل له:
ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم ، وشرٌّ من ذلك ، كيف بكم إذا أمرتم
بالمنكر ونهيتهم عن المعروف؟ قيل: يا رسول الله ويكون ذلك؟ قال: نعم ، وشرٌّ من
ذلك ، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً؟!»^(٤).

(١) ميزان الحكمة ، ج ٦ ، ص ٢٥٥ ، رقم الحديث ١٢٣٩١.

(٢) سورة التوبة ، ٦٧.

(٣) سورة المائدة ، ٧٨ - ٧٩.

(٤) البحار ، ج ٩٧ ، ص ٧٤ ، رقم الحديث ١٤.

وفي أخبار كثيرة تحذير شديد من مخاطر عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. فعن عائشة قالت: دخل عليَّ النبي (ص) فعرفت في وجهه أن قد حضره شيء فتوضأ، وما كلم أحداً، فلصقت بالحجرة أستمع ما يقول، فقعد على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

«يا أيها الناس، إن الله يقول لكم: مروا بالمعروف، وانفروا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم، وتسالوني فلا أعطيكم، وتستصروني فلا أنصركم»^(١).

وقال (ص): «إذا تركت أمتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليؤذن بوقاع من الله جلَّ اسمه»^(٢).

وعنه (ص) قال: «والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على أيدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم يلعنكم كما لعنهم»^(٣).

وعن محمد بن عرفة قال: سمعت أبا الحسن^(ع) يقول: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم»^(٤).

ونتيجةً لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نلاحظ انتشار الفقر والبؤس والأمراض والظلم والمصائب والمآسي في كل مكان من بقاع المعمورة.

ولا سبيل أمامنا من أجل سيادة الشريعة الإلهية، ونشر الخير،

(١) ميزان الحكمة، ج٦، ص٢٦٤، رقم الحديث ١٢٤٢٧.

(٢) ميزان الحكمة، ج٦، ص٢٦٥، رقم الحديث ١٢٤٣٣.

(٣) ميزان الحكمة، ج٦، ص٢٦٦، رقم الحديث ١٢٤٣٩.

(٤) ميزان الحكمة، ج٦، ص٢٦٤، رقم الحديث ١٢٤٢٨.

وتنمية الأخلاقيات الإنسانية، وإقامة العدل، وتحقيق السعادة، والشعور
بالقوة والعزة والكرامة إلا بالقيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر.

الفصل الثالث

أفكار ميتافيزيقية

- ♦ الإيمان بالغيب
- ♦ عالم البرزخ
- ♦ مشاهد يوم القيامة
- ♦ هذه هي الجنة
- ♦ نعرف ما نار جهنم

الإيمان بالغيب

عندما يتجرد القلب من الأهواء والذنوب والمعاصي، وحينما يصفو من الشوائب والأدران والأغلال، ومن كل ما يحول بينه وبين رؤية الحق والحقيقة، عندئذٍ يستطيع الإنسان بقلبه النوراني، وفطرته النقية أن يدرك الحق المطلق! وأن يدرك ما وراء الطبيعة بنور الإيمان واليقين!

أما الذين يريدون معرفة ورؤية ما وراء المادة، وما وراء الطبيعة بأدوات مادية بحتة فإنهم يتجاهلون البديهية العقلية القائلة: إن المحدود لا يمكنه إدراك المطلق!

يقول المرحوم العلامة الشيخ «محمد جواد مغنية»:

«إن الإيمان بالغيب ينبع من القلب، ولا يمكن إقامة الدليل عليه من الحس سلباً ولا إيجاباً، أما العقل فإنه لا يأبى الغيب مادام ممكناً في ذاته، وإن امتنع عرفاً وعادة، فمن كفر فعليه كفره، ولا يضر الحق شيئاً. وقد اعتبر كتاب الله الإيمان بالغيب شرطاً أساسياً في الدين، وقوة

في اليقين والثقة بالله تتحكم في عواطف الإنسان ومشاعره، وفي كثير من أقواله وأفعاله»^(١).

وفي سورة البقرة يقرر القرآن الكريم صفات المتقين، ويشير إلى أن الإيمان بالغيب هي الصفة الأولى للمتقين، يقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾^(٢).

إن السمة الأولى للمتقين هي الوحدة الشعورية الإيجابية الفعالة.. الوحدة التي تجمع في نفوسهم بين الإيمان بالغيب، والقيام بالفرائض، والإيمان بالرسول كافة، واليقين بعد ذلك بالآخرة.. هذا التكامل الذي تمتاز به العقيدة الإسلامية، وتمتاز به النفس المؤمنة بهذه العقيدة، والجدير بأن تكون عليه العقيدة الأخيرة التي جاءت ليلتقي عليها الناس جميعاً، ولتهيمن على البشرية جميعاً، وليعيش الناس في ظلها بمشاعرهم وبمنهج حياتهم حياة متكاملة، شاملة للشعور والعمل، والإيمان والنظام.

فإذا نحن أخذنا في تفصيل هذه السمة الأولى للمتقين إلى مفرداتها التي تتألف منها، انكشفت لنا هذه المفردات عن قيم أساسية في حياة البشرية جميعاً.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ فلا تقوم حواجز الحس دون الاتصال بين أرواحهم والقوة الكبرى التي صدرت عنها، وصدر عنها هذا الوجود، ولا تقوم حواجز الحس بين أرواحهم وسائر ما وراء الحس من حقائق

(١) في ظلال نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٣.

(٢) سورة البقرة ٢ - ٤.

وقوى وطاقات وخلائق وموجودات.

والإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان، فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه، إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المجدد الذي تدركه الحواس - أو الأجهزة التي هي امتداد للحواس - وهي نقلة بعيدة الأثر في تصور الإنسان لحقيقة الوجود كله ولحقيقة وجوده الذاتي، ولحقيقة القوى المنطلقة في كيان هذا الوجود، وفي إحساسه بالكون وما وراء الكون من قدرة وتدبير، كما أنها بعيدة الأثر في حياته على الأرض، فليس من يعيش في الحيز الصغير الذي تدركه حواسه كمن يعيش في الكون الكبير الذي تدركه بديته وبصيرته، ويتلقى أصداؤه وإجاءاته في أطوائه وأعماقه، ويشعر أن مداه أوسع في الزمان والمكان من كل ما يدركه وعيه في عمره القصير المحدود، وأن وراء الكون ظاهره وخافيه، حقيقة أكبر من الكون، هي التي صدر عنها واستمد من وجودها وجوده، حقيقة الذات الإلهية التي لا تدركها الأبصار ولا تحيط بها العقول^(١).

معنى الغيب:

في اللغة: كل ما غاب عنك، أو هو كل ما غاب عن العيون وإن كان محصلاً في القلوب، وغاب عني الأمر غيباً وغيوباً ومغاباً ومغيباً، وسمعت صوتاً من وراء الغيب أي من موضع لا أراه، والغيب خلاف الشهادة والحضور^(٢).

(١) في ظلال القرآن، ج ١، ص ٣٩.

(٢) انظر كتاب (لسان العرب) ج ١، ص ٦٥٤، حرف الباء.

وفي الاصطلاح: توجد مجموعة كبيرة من التعاريف.. منها تعريف «الراغب الأصفهاني» حيث عرّف الغيب بقوله: «إنه ما غاب عن الحاسة وعلم الإنسان» أي وعن علم الإنسان.

وعرّفه «الرازي»: «بأنه ما غاب عن الحواس» وقال: رأي جمهور المفسرين.

وعرّفه «عبد الكريم عثمان» بقوله: «الغيب هو ما غاب عن الحس وأدركه الإنسان بتحليله الفكري أو بالخبر اليقيني عن الله ورسوله، أو يبقى سرّاً مكتوماً يعجز الإنسان عن إدراكه، ولا يعلمه إلا اللطيف الخبير»^(١).

أما العلامة السيد «محمد حسين الطباطبائي» فقد عرف الغيب بقوله: «الغيب خلاف الشهادة، وينطبق على ما لا يقع عليه الحس، وهو الله سبحانه وآياته الكبرى الغائبة عن حواسنا، ومنها الوحي، وهو الذي أشير إليه بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فالمراد بالإيمان بالغيب في مقابل الإيمان بالوحي والإيقان بالآخرة، هو الإيمان بالله تعالى ليتم بذلك الإيمان بالأصول الثلاثة للدين، والقرآن يؤكد القول على عدم القصر على الحس فقط، ويحرص على اتباع سليم العقل وخالص القلب»^(٢).

وقد وردت مادة الغيب في القرآن الحكيم في ستة وخمسين موضعاً، أما في السنة فقد وردت كلمة «الغيب» في أحاديث كثيرة جداً.

وقد اصطلح الفلاسفة على الطبيعة بعالم الشهادة وعالم الملكوت

(١) الإيمان بالغيب، ص ٩.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٤٥.

بعالم الغيب.

تعريف الميتافيزيقا:

مصطلح يطلق على كل فكرة أو مبدأ أو حكم لا يعتمد على الحس والتجربة.. وكلمة (ما بعد الطبيعة) يطلق عليه الآن كلمة (الميتافيزيقا)، وعلم ما بعد الطبيعة عند ابن سينا هو العلم الإلهي.

أما مصطلح (المادية) فمذهب من يقول: إن المادة هي الموجود الوحيد، ويفسر كل شيء بالأسباب المادية، وتقابل المادية (المثالية) التي تفسر كل شيء بأسباب روحية^(١).

الموحدون والملحدون:

يعتقد الموحدون بأن مسيراً ومدبراً وحكماً لا نستطيع إدراكه بحواسنا هو الذي يسير هذا الكون وما فيه من كائنات ومخلوقات وموجودات، وهو ما يصطلح عليه (الاعتقاد بما وراء الطبيعة) أو (العقيدة بالله تعالى).

أما الملحدون فلا يعتقدون بغير ما تدركه الحواس، ولا يرون مدبراً ومُوجداً لهذا الكون العظيم وما فيه من أشياء وأجزاء ونظام دقيق غير الصدفة والطبيعة والمادة البحتة! ولذلك فإنهم يعتبرون الإيمان بما وراء الطبيعة ما هو إلا من صنع الجهل والخوف والفقر والمرض وربما الشعوذة والخرافة!!

وكلمة منكري الغيب أو الملحدين أو الطبيعيين أو الدهريين أو الماديين كلها ألفاظ متعددة لمسمى واحد، وهذه الأسماء تعبر عن أفكارهم

(١) مذاهب فلسفية، ص ٢٢٥ و ٢٢٨.

وسبب رفضهم الإيمان، وإذا كان المشهور أن كثرة الأسماء تدل على عظمة المسمى كما هو الحال بالنسبة لأسماء الله تعالى، فهذا الأمر على العكس إذ كثرة الأسماء تعبير عن جرائم متعددة لهذه الفئة فهي منكرا الغيب لضيق أفقها وكونه محصوراً في إطار المرئي، وهم ملحدون لأنهم تجنبوا الحق وابتعدوا عن الصواب، وهم طبيعون لقولهم بالطبيعة وأنها فاعلة، وهم دهيون كما قال تعالى على لسانهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾^(١) وهم ماديون لأنهم أهتمتهم أنفسهم في شهواتها من أكل وشرب وجنس ومال، وقولهم بالحركة الديالكتيكية^(٢)، والحتمية المادية التاريخية، وقول ماركس: «لا إله.. والحياة مادة!!».

وهذه الفئة رغم قلة عددها إلا أنها وجدت عبر مرّ العصور بصورة الدخيل على طبيعة الإنسان - وهم في جميع عصورهم قولهم واحد وفكرتهم واحدة مهما اختلفت الأسماء وتعددت العبارات - إذ القاعدة أن الإيمان هو نصيب القسم الأكبر من الناس، وقد كان الإلحاد في بعض أدواره ردة فعل لتعصب ديني وتزمت متطرف، أو أنه ظهر في فترات القلق النفسي والترف الحضاري والغرور العلمي.

ويصر الملحدون على إنكار كل شيء غير محسوس، وكل شيء غيبي، وذلك لتمسكهم بأن ما لا تدركه الحواس فليس بموجود!!

يقول الأستاذ «بسام سلامة»:

«منذ متى كان للإنسان أن ينكر شيئاً مجرد عدم رؤيته له؟! وهذه

(١) سورة الجاثية، ٢٤.

(٢) الديالكتيك: كلمة يونانية ولعل اشتقاقها الأصلي من «ديالوج» بمعنى محادثة.. مجادلة.. مجاذبة أطراف الحديث.

أرواحنا السارية في أجسامنا لا نسمعها ولا نراها ولا نلمسها ولا نشمها ولا نذوقها، ومع ذلك فهي موجودة فينا حقاً، نؤمن بها ونحرص عليها كل الحرص، بل بها نحس، وبها نتألم، وبها نسر، وفيها بقاؤنا. ونحن وإن لم نحس بأرواحنا إحساساً ظاهراً فقد آمنّا بها استدلالاً من آثارها فينا، بل علمنا بها أمر بدهي لا يحتاج إلى دليل، وهناك أشياء كثيرة ندركها بآثارها: قطعتان من حديد إحداهما مشحونة بقوة مغناطيسية، والأخرى غير مشحونة، لا نستطيع أن نفرق بينهما إلا إذا عرضناهما لبرادة الحديد، فإذا انجذبت البرادة نحو القطعة، فإننا بالاستدلال العقلي ندرك أنها مشحونة، والأخرى غير مشحونة. والطيور المهاجرة تعرف طريقها بدون حواس.

وأنا -وأنت كذلك- لا أرى غملة تمشي على بعد ثلاثة أميال مع أنها موجودة، ولا أرى الجراثيم والحيوانات في كأس ماء صاف مع أن الحيوانات تملؤه بالملايين، ولا أشم رائحة السكر مع أن النملة والذباب يشمه.

وتعجز عيوننا عن رؤية الملائكة والجن كما تعجز عن رؤية الأشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء ورؤية الموجات الصوتية ورؤية التيار الكهربائي.

إن عدم الإدراك لا يعني عدم الوجود، إذ أن الحواس محدودة وعاجزة عن إدراك كل شيء، بل هي تدرك شيئاً لا يذكر مما هو في الوجود حقاً.

وإذا بقي الملحدون متمسكين بما تدركه الحواس فقط فعليهم أن يحوا من قاموس العلم الطبيعي أشياء كثيرة لا يرونها، وإنما يفترضون وجودها بحكم الضرورة إليها مثل الأثير والأشعة الكونية والجاذبية العامة والنسبية وأشعة إكس وجاما وفوق البنفسجية وتحت الحمراء

والأمواج الصوتية للراديو والتلفزيون.

إن حواسنا محدودة ولو كانت أكثر مما هي الآن أو لو منحنا حواس أخرى لاكتشفنا من حولنا أشياء كثيرة هي الآن مغيبة عنا لأننا لا نحس بها إذ لا توجد لدينا الحاسة الخاصة التي تمكننا من اكتشافها، أليس في هذه الأجهزة التي تدل على درجات الحرارة والضغط الجوي ومقادير الكثافة - إلى غير ذلك من الأجهزة المختلفة - ما يشير إلى نقص كبير في حواسنا؟ وقد كان من الممكن عقلاً أن نؤتي الحواس التي ندرك بها ما تتحسسه هذه الأجهزة وتدل عليه.. كيف بنا لو أوتينا قوة الإحساس به دون أن نراه كما يحس به المغناطيس؟

ومن طرائف أجوبة الفطرة على مثل هذا الاتجاه نكتة يقال إنها وقعت في مدرسة ابتدائية حيث وقف المعلم يقول للطلاب: أترونني؟ قالوا: نعم. قال: فإذاً أنا موجود، أترون اللوح؟ قالوا: نعم. قال: فاللوح إذن موجود، أترون الطاولة؟ قالوا: نعم. قال: فالطاولة إذن موجودة. قال: أترون الله؟ قالوا: لا. قال: فالله إذن غير موجود!! فوقف أحد الطلاب الأذكياء وقال: أترون عقل الأستاذ؟ قالوا: لا. قال: فعقل الأستاذ إذن غير موجود!!^(١).

ورغم أن الفطرة والعقل تدعو الإنسان إلى الإيمان بالله عز وجل - وهو أساس الغيبيات فمن أنكره فقد أنكر كل الغيبيات الأخرى من البرزخ والحشر، والبعث والحساب، والجنة والنار، والجن والملائكة.. الخ - فإن الماديين يصرون على غرورهم وتعسفهم وتكبرهم، وينكرون كل شيء غير محسوس، وما ذلك إلا من أجل الهروب من المسؤوليات

(١) انظر كتاب (الإيمان بالغيب) ص ١٩٣.

الدينية، والتحلي بالأخلاقيات والضوابط الإنسانية.. إنهم يبحثون عن إشباع غرائزهم، وملء جيوبهم، وتحقيق نزواتهم ولو كان على حساب الملايين من الفقراء والضعفاء كما هو واقع الحال، حيث تُغلب المصالح على المبادئ والقيم والأخلاق.

فالإيمان بالغيب لا يرتضيه المادي لأنه لا يريد قيوداً ولا حدوداً لتصرفاته الشهوانية، وإنما يحب أن يتصرف بدون ضوابط، وأن يشبع غرائزه بدون حدود، وأن يفعل ما يريد بدون التزامات أو أخلاقيات!

والمحددون بفكرهم المادي يخالفون الفطرة الإنسانية، إذ أن فطرة الإنسان تدعوه إلى الإيمان بالغيب، وعقله كذلك يدعوه إلى الإيمان بما وراء الطبيعة، ونفسه التي لا يراها، ولكنه يؤمن بها، تدعوه هي الأخرى إلى الاعتقاد بالميتافيزيقا.

«إن الإنسان جسد وروح وهذا ينبنى عليه إثبات الغيب، فالروح أولاً أمر غيبي، لأن أحداً منا لم يرها ولا يعرف كنهها، وكم من الأبحاث الفلسفية التي كتبت حول الروح لبيان حقيقتها ولكن دون جدوى، فإذا كانت الروح ملازمة للإنسان، والروح أمر غيبي، فالغيب أمر واقع، لأن الإنسان موجود، وفي وجود الإنسان وجود الروح.

ثم إن هذا التكوين للإنسان يقتضي أن تكون للإنسان أعمال جسدية وأعمال روحانية وهذه نقطة ثانية في إثبات الغيب، فالإنسان يأكل ويشرب ويمارس شهواته الجسدية وله أعمال روحانية كالحب والبغض والعزة والكرامة والضعف والاستسلام.. وقبل ذلك كله العبادة، وإذا أقررنا هذا فالعبادة لا تكون إلا بالإيمان بالغيب»^(١).

(١) الإيمان بالغيب، ص ٩٥.

ولأن الأصل في الإنسان الإيمان بالغيب لأنه مفطور على ذلك، لذا، نرى ومنذ القدم إيمان الشعوب والأقوام والأمم والمجتمعات بالغيب.. فقدماء المصريين كانوا يؤمنون بالغيب، حيث كانوا يعتقدون بالبعث جسداً وروحاً، ولهذا كانوا يحافظون على الجسد بعد الموت، فبنوا الأهرامات، وكانوا يعتقدون بعودة الروح للجسد، ولهذا كانوا يضعون تمثالاً بحجم الإنسان وشكله على القبر لتعرف الروح على جسدها.

أما البابليون فقد ظلت دولتهم دولة دينية يقيد فيها الملك بأمر الكهنة، وتفرض ضرائب الدولة باسم الإله، ولا يخرج على الملك لأن الخروج هو خروج عن الدين، ويلبس الملك لباس الكهنة في حفل تنويجه.

أما اليونان فقد غلب على فلاسفتهم الإيمان بالله تعالى.

أما الهنود ففيها ديانات كثيرة يغلب عليها الطابع الروحي، فهي هي (اليوجا) تقول بأن الروح شيء إلهي اتصل بالجسد.

أما العرب قبل الإسلام فكان منهم قليل من الموحدين أو الحنفاء، والغالبية العظمى على الشرك^(١).

ولعل من المفيد هنا أن نسجل بعض أقوال الفلاسفة والعلماء والمفكرين القدامى والمتأخرين، لنثبت للمتأثرين بالحضارة المادية وبالموجة الإلحادية.. أن الإيمان بالغيب ليس مقصوراً على عوام الناس - كما يحاول الماديون تصويره- وإنما هو عقيدة العوام والخواص من بني البشر.

ولنبداً بتحرير أقوال الفلاسفة والعلماء والمفكرين من أجل

(١) للمزيد من الاطلاع اقرأ كتاب (الإيمان بالغيب) ص ٤٥.

ترسيخ الحق والحقيقة:

١ - يقول الفيلسوف اليوناني «فيثاغورس»: «إن الباري سبحانه وتعالى واحد لا يدرك من جهة العقل ومن جهة النفس وإنما يدرك بآثاره وصنائه وأفعاله».

٢ - يقول هرقل الحكيم: «إن أول الأوائل النور الحق لا يدرك من جهة عقولنا لأنها أبدعت من ذلك النور الأول الحق وهو الله حقاً».

٣ - ومن المؤمنين «سقراط الحكيم» فقد كان يؤمن بالله، وكان زاهداً داعياً إلى التوحيد، ونهى الرؤساء الذين كانوا في زمانه عن الشرك وعبادة الأوثان، فثوروا عليه العامة، وأجأوا الملك إلى قتله، فحبسه الملك ثم سقاه السم - كما ينقل ذلك الشهرستاني في كتابه «الملل والنحل» وكذلك كان أفلاطون الفيلسوف المشهور يؤمن بالله تعالى.

٤ - ومن الفلاسفة المؤمنين بالله.. الفيلسوف «سانتيانا»: فقد كان يسمي الإيمان بالغيب بالإيمان الحيواني - على حد تعبيره - لأنه غريزة.

٥ - أما «ديكارت» الفيلسوف.. فقد اعترف بوجود الخالق بعد أن شك في كل شيء، إلا أنه لم ينكر شعوره، فقال: أنا موجود ذلك لأنه أحس وأشعر، ثم تدرج بمقاييس غير مادية إلى معرفة الخالق جلّ جلاله، فقال: إني أحمل فكرة الكمال، فكان الأحرى أن أكمل نفسي من النواقص إن كنت أنا خالقاً نفسي، وأن أجعل عيني تبصر إلى مسافات شاسعة، وأذني تسمع من أماكن بعيدة، وهكذا بقية الأعضاء، وإن كانت هذه الحواس محدودة القابلية وليس لي أن أعدل فيها وأن أكملها كيفما أريد، إذن خالقها غيري، كما أنه ليس خالقي إنساناً آخر

يشبهني، لأنه ناقص مثلي، فلا بد أن هناك كاملاً وهو الله تعالى قد خلق كل ما نشاهده تحت قوانين ثابتة ونظم دقيقة يحار فيها الألباب.

٦ - وذهب «عمانوئيل كانت» الألماني: إلى وجود الله تعالى، مستدلاً على ذلك بالضمير والرغبة الباطنة والدليل الأخلاقي، ورفض أن يكون العقل هو الدليل، لأن العقل محدود لا يدرك إلا المسائل الجزئية، والحقائق الجزئية، أما الحقيقة الكلية فهي فوق مستوى قدراته.

٧ - ويقول «تولستوي» الفيلسوف الروسي: «ما الحياة، وما الموت؟ إنني لا أعيش إذا فقدت العقيدة في وجود الله ولو لا أنني كنت أتعلق بأمل غامض في وجود الله لقتلت نفسي من زمان بعيد».

٨ - ويقول «دافيد هيوم» البريطاني: «إن إثبات وجود الله لم يكن رغبة من رغبات العقل، ولكنه رغبة كبرى من رغبات الضمير والشعور».

٩ - أما «ريد» فيقول: «إن وجود الله حقيقة من حقائق الإدراك السليم».

١٠ - ويقول: «لوك»: «إن لنا من المعرفة اليقينية بوجود الله ما يزيد على كل معرفة لم تكشفها لنا الحواس.. لا بل يسعني أن أقول إن يقيننا بوجود إله أقوى من اليقين بوجود أي شيء خارج عنه».

١١ - وقد هاجم الدكتور «ألكسيس كاريل» الحضارة المادية لأنها لم تأخذ في حسابها طبيعة الإنسان، وأسند إليها السبب في شقاء البشرية، وأنه لا بد من اعتبار الإنسان جسداً وروحاً.

١٢ - ومن الأدباء المؤمنين «برنارد شو».. إذ أنه يؤمن بقوة غير مادية يسميها القوة الحيوية.

١٣ - أما الأديب «فرانز ويرفل» فيقول: «إن الله أعظم جداً من أن يحتوي كلام الإنسان برهاناً على وجوده».

١٤ - ويقول «وليام براون» أستاذ علم النفس بجامعة أكسفورد وصاحب التجارب المشهورة في العلاج النفسي: «إن الله محيط بكل شيء».

هذه هي آراء بعض المؤمنين بالغيب، وهي قليل من كثير لا يحصى، وإنما اخترتها كنماذج، ضارباً بها المثل على الإيمان بما وراء الطبيعة، وقد تعمدت الإتيان بأقوال الفلاسفة والعلماء الأوربيين لأن الإلحاد أكثر ما يكمن في الذين يدعون الفلسفة، وكذلك الذين يدعون الحضارة والتقدم، في حين رأينا بعض أساطين الفلسفة وأكابر العلماء يعتقدون بعقيدة الغيب، كما هو واضح من خلال أقوالهم.

ويبقى الإيمان بالغيب من لوازم فطرة الإنسان، وطبيعة تركيبته المزدوجة «الروحية والجسمية» في حين أن الإلحاد شذوذ عن الأصل، ومرض خطير يهدد صاحبه بالفناء في الدنيا قبل الآخرة.

معطيات الإيمان بالغيب:

للإيمان بالغيب آثار ومعطيات مهمة على الإنسان كفرد، وعلى المجتمع كمجموع، ويمكننا تحديد أهم هذه الآثار والفوائد والمعطيات في النقاط التالية:

١. الوازع الديني:

توجد مجموعة من العوامل المؤثرة في صياغة شخصية الإنسان.. كالعامل المادي والتربوي والعلمي والفكري والجغرافي والتاريخي.. وأهم

العوامل على الإطلاق هو العامل العقدي.

إن أساس حياة الروح هو الإيمان بالغيب، حيث يتعلق قلب الإنسان بالخالق البصير القوي القادر على كل شيء.

والإنسان - أي إنسان - كما يأمره عقله باتباع الخير والحق، وعمل المعروف والبر، والالتزام بالأخلاقيات والمثل العليا، تدعوه نفسه الأمانة بالسوء إلى ارتكاب الرذائل، وعمل الفواحش، واتباع كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة من أجل تحقيق الغايات والأهداف.

ولن تستطيع القوانين ولا المحاكم ولا وسائل القوة - بالرغم من أهميتها وضرورتها في حفظ النظام العام - أن تمنع «نفساً شريرة» من تجاوز مثل تلك الأطر، لأن القانون يمكن التحايل عليه وربما بنفس القانون، والقاضي لا يحكم إلا بالظاهر، ولا يعلم الغيب، والقوة ليس لها سبيل على القلوب!

ولكن ثمة شيء واحد يجعل الإنسان يحترم الشرع والقانون والأخلاق والقيم وهو الخوف من الله عز وجل، فالمؤمن بالغيب يخشى الله، ويخافه، وهذا الخوف هو أقوى رادع للإنسان من ارتكاب المحظورات والممنوعات والمحرمات.

وفي القرآن الكريم آيات عديدة تؤكد على أن الخوف من الله هو الذي يؤدي إلى العمل الصالح، والالتزام بالقيم والأخلاق والقانون، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾^(١) ويقول تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ

(١) سورة يس، ١١.

مُنِيبٌ ﴿١﴾ ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (٢) ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ (٣).

ويدرك كل العقلاء آثار الإيمان بالغيب في خلق الوازع الديني عند الإنسان.. فما الذي يمنع الإنسان ويردعه عن السرقة والخيانة والظلم والكذب والغش والنميمة والغيبة وأكل أموال اليتامى وشهادة الزور والبهتان وبث الشائعات والافتراءات والدعاوى الباطلة؟!

ما الذي يمنع الإنسان عن ارتكاب كل تلك المحرمات وغيرها من المحظورات غير الخوف من الله، ومن عقابه، ومن حسابه الشديد؟!

أما من انغمس في المادية، وأنكر كل شيء غير محسوس، فتراه ينافق ويكذب ويخون ويسرق ويظلم ويرتكب كل الموبقات المحرمات والقبائح!!

وتبقى الحقيقة واضحة جلية.. فلا شيء كالاعتقاد بالغيب يجعل الإنسان مؤمناً تقياً ورعاً ملتزماً بكل الأخلاقيات والقيم والمثل الدينية والإنسانية.

٢. العمل من أجل الآخرة:

الاعتقاد بالغيب يجعل للمؤمن تصوراً مختلفاً عن تصور المادي الذي لا يرى إلا هذه الحياة وما فيها، ومن ثم فإنه يعمل كل ما يستطيع،

(١) سورة ق، ٣٣.

(٢) سورة فاطر، ١٨.

(٣) سورة الأنبياء، ٤٩.

وبكل الوسائل ، من أجل تحقيق غاياته ، والحفاظ على مصالحه.

أما الإنسان المؤمن الرسالي فإنه يعتقد أن هذه الحياة ليست سوى مرحلة من مراحل حياة الإنسان ، وأنه بالموت لا تنتهي مسيرته ، بل ينتقل إلى حياة أخرى ، وهي ما تسمى في الاصطلاح الإسلامي بـ (الدار الآخرة).

وعندما يموت الإنسان فإن حياته لم تنته إلا من هذه الدنيا فقط ، إذ هو - في الواقع - إنما يرحل إلى عالم آخر ، وحياة أخرى ، وهي (الدار الآخرة) حيث البقاء والخلود الأبدي.

والإيمان بالآخرة ، وبالبعث والنشور ، وبالحساب والجزاء والعقاب .. يجعل الإنسان يعمل بجد وإخلاص من أجل الفوز برضوان الله تعالى ، وبالجنة وما فيها من سعادة وراحة ولذة أبدية.

وعليه ، فالمؤمن يدفعه إيمانه بالغيب إلى الالتزام بالشرع والقيم والأخلاق في حين أن المادي لا يرى أية قيود أو حدود لتصرفاته مادام يعتقد أن هذه الدنيا هي الفرصة الأولى والأخيرة لتحقيق مآربه ، وإشباع نزواته وشهواته ، والوصول إلى غاياته وإن كانت بوسائل غير مشروعة!

والمؤمن باعتقاده الميتافيزيقي يرتفع من عالم المادة إلى عالم اللامادة ، ومن محدودية المادة إلى رحاب الملكوت ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة.

يقول المرحوم السيد «جمال الدين الأفغاني» حكيم الشرق:

«الاعتقاد بأن الإنسان إنما ورد في هذه الحياة الدنيا لاستحصال كمال يهيئه للعروج إلى عالم أرفع وأوسع من هذا العالم الدنيوي ، والانتقال من دار ضيقة الساحات ، كثيرة المكروهات ، جدية أن تسمى

بيت الأحران.. إلى دار فسيحة الساحات، خالية من المؤلمات، لا تنقضي سعادتها، ولا تنتهي مدتها.

وهذه العقيدة أحجى حاد للفكر في حركاته، وأنجح داع للعقل في استعمال قوته، وأقوى فاعل في تهذيب النفوس، وتطهيرها من دنس الرذائل، وإن شئت فارم بنظر العقل إلى قوم لا يعتقدون بالبعث، كيف لا يتسابقون إلى شرائف الأمور، وفضائل الصفات.. إن من مقتضيات الجزم بأن الإنسان ما ورد هذا العالم إلا ليتزود منه كمالاً يعرج به إلى عالم أرفع، ويرتحل به إلى دار أوسع، وجنات أمتع.. إن أشربت هذه العقيدة قلبه ينبعث بحكمته، وينساق بحاديها للإضاءة بالعلوم الحقة، والمعارف الصافية، وينصرف همه إلى الخير، وتهذيب نفسه وتطهيرها من دنس الرذائل، ويناله التقصير في تقويم ملكاته النفسية، وينزع لكسب المال من الوجوه المشروعة، متنكباً عن طريق الخيانة، ووسائل الكذب والحيلة، معرضاً عن أبواب الرشوة، مترفعاً عن الملق الكلي، والخداع الثعلبي، ثم ينفق ما كسب في الوجه الذي يليق، وعلى الوجه الذي ينبغي، ولا يأتي فيه باطلاً، ولا يغفل حقاً عاماً أو خاصاً^(١).

والمؤمن بإيمانه بالله عز وجل، إنما يعتقد عن قناعة ووعي بأن كل حركة أو فعل أو كلمة أو موقف أو أي شيء آخر يقوم به في هذه الدنيا سيحاسب عنه يوم القيامة، عندما يرد الإنسان إلى عالم الغيب والشهادة، يقول الله تعالى: ﴿وَسِيرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢) ويقول تعالى: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسِيرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ

(١) مذاهب فلسفية، ص ١٢٤.

(٢) سورة التوبة، ٩٤.

وَالشَّهَادَةَ فَيَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ ويقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢﴾.

٣ . الصحة النفسية:

لا يمكن للإنسان أن يشعر بالسعادة والراحة والطمأنينة إلا إذا كانت نفسه سوية، ولا يمكن أن تكون نفسه كذلك، إلا إذا كانت مؤمنة بالله تعالى، يقول عز من قائل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿٣﴾.

ورأس الإيمان بالغيب هو الاعتقاد بالله عز وجل، ولا اطمئنان إلا به ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٤﴾.

والمؤمن - لإيمانه بالله تعالى - يستمد القوة والعزة والطمأنينة منه عز وجل، فالمؤمن لا يكون جبناً، ولا قلقاً، ولا ذليلاً، ولا ضعيفاً، ولا خائراً، ولا خائفاً إلا من الله تعالى ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ ﴿٥﴾.

ولا شيء كالإيمان يحقق للإنسان السعادة والصحة النفسية، فلا المال، ولا الجاه، ولا السلطة، ولا العلم.. يستطيع لوحده توفير الصحة النفسية.

(١) سورة التوبة، ١٠٥.

(٢) سورة الجمعة، ٨.

(٣) سورة الأنعام، ٨٢.

(٤) سورة الرعد، ٢٨.

(٥) سورة الأحزاب، ٣٩.

والواقع الملموس يشهد بذلك.. فأكثر البلدان تقدماً مدنياً تعاني وبشدة من انتشار الأمراض النفسية، ولم يستطع العلم المادي، ولا الطب النفسي أن يُشفي المرضى نفسياً من أمراضهم! ولن يجد المريض نفسياً حلاً مادام لا يؤمن بالله تعالى، ولن يجد أمامه إلا التعاسة والشقاء وربما الانتحار!!

وتشير الأرقام إلى ارتفاع نسبة الانتحار وخاصة في الدول الغربية -الأكثر تقدماً!- فقد كتبت مجلة «سيدتي» تقول: «تحاول جهات عديدة في أمريكا حل لغز انتحار المراهقين والمراهقات، وقد زادت نسبة الوفيات بين سن الخامسة عشر والرابعة والعشرين والسبب هو الانتحار الذي ازدادت نسبته ١٣٦%!».

ويقول المؤلف الأمريكي الشهير «دايل كارنيجي» في كتابه «دع القلق وابدأ الحياة»: «وإليك هذه الحقيقة العجيبة التي قد لا تصدقها نفسك: فالأمريكيون الذين يموتون من جراء الانتحار يفوق عددهم على عدد الذين يموتون بالأمراض اختلافاً! لماذا؟ من المؤكد أن الجواب على ذلك هو القلق الذي يفقدتهم وعيهم ويقلب حياتهم إلى جحيم لا يطاق».

لقد أصبح القلق المرض رقم واحد، كما أكد ذلك الدكتور «جيمس لينش» وهو من أبرز أطباء الأمراض النفسية في أمريكا، ويضيف قائلاً: «المرض رقم واحد خلال النصف الأخير من القرن العشرين، وأستطيع أن أقول إنه سيبقى المرض رقم واحد خلال القرن القادم أيضاً!».

إن الإيمان من أنجح الأدوية لعلاج القلق وكل الأمراض النفسية، وقد اعترف بهذه الحقيقة كبار علماء النفس في الغرب، يقول «وليم جيمس»: «إن أعظم دواء شافٍ للقلق، ولاشك، هو الإيمان» إن أحدث

علم يبشر بتعاليم الدين هو الطب النفساني، لماذا؟ لأن الإيمان القوي بالدين وبالصلاة والتبتل، كل هذه كفيّلة بأن تطرد القلق وتقهره، وتعيد النفس إلى هدوئها وطمأنينتها، وتزيل التوترات العصبية، وفي هذا المجال يقول أحدهم: «إن المؤمن بالله لا يلاقي في حياته مرضاً نفسياً» ويقول الطبيب النفساني «كاريل يونج» في كتابه «الرجل الحديث يبحث عن الروح»: «جاءني كثير من المرضى وجلهم من مختلف أنحاء العالم ومن شعوبها المتحضرة والمتخلفة، وعالجت كثيراً من هؤلاء فلم أر مشكلة واحدة من تلك المشكلات التي تعترض طريق الرجال المنتصفي العمر، أي حوالي الخامسة والثلاثين، لا تعود في أصلها إلى افتقارهم للإيمان، وخروجهم عن المبادئ الدينية، ويمكن القول بأن كل واحد من هؤلاء إنما وقع في براثن المرض، وبالفعل لم يشف أحد من أمراضه تلك إلا بعد أن عاد الإيمان إلى قلبه، واعتمد على تعاليم الدين من أمر ونهي في سبيل مصارعة الحياة»^(١).

ويقول المؤلف الشهير «الكسيس كاريل»: «قد يحدث نشاط روحي معين تعديلاً تشريحياً ووظيفياً في الأنسجة والأعضاء، وتلاحظ هذه الظواهر العضوية في ظروف مختلفة، من بينها حالة العبادة، فالصلاة، كما يجب أن تفهم، ليست مجرد ترديد آلي للطقوس، ولكنها ارتفاع لا يدركه العقل، إنها استغراق الشعور في تأمل مبدأ يخترق عالمنا ويسمو عليه، ومثل هذه الحالة السيكلولوجية ليست عقلية.. إن الفلاسفة والعلماء لا يفهمونها، كما أنها صعبة المنال عليهم، ولكنه يبدو أن الشخص المتجرد من حب متاع الدنيا يشعر بالله بمثل السهولة التي يشعر بها بحرارة الشمس أو بعطف أحد أصدقائه عليه..

(١) للمزيد من الاطلاع راجع كتاب (الشخصية الناجحة) للمؤلف، الطبعة الثانية، ص ٩٥.

إن الصلاة التي تعقبها تأثيرات عضوية ذات طبيعة خاصة.. فهي أولاً لا تهتم بالذات، إذ يقدم الإنسان نفسه فيها لله، فيقف أمامه كما تقف اللوحة الفنية أمام الرسام والتمثال أمام النحات، وهو يطلب منه جلّ جلاله أن يسبغ عليه رحمته، ثم يكشف له سبحانه وتعالى عن مطالبه ومطالب إخوانه في المرض، وفي العادة يشفى المريض الذي لا يصلي من أجل نفسه، ولكن من أجل شخص آخر، ويستلزم مثل هذا النوع من الصلاة إنكار الذات إنكاراً تاماً، وهذا نوع سام من الزهد والتكشف^(١).

وعن دور الإيمان بالله تعالى والالتزام بتعاليمه في تكامل النفس البشرية وسموها.. يقول الأستاذ «أحمد أمين»:

«التكامل النفسي إنما هو نتيجة تعاليم روحية تؤدي إلى كمال النفس الإنسانية، وهي ليست من العلم المادي أي من السانتيتر والغرام والثانية في شيء.. إنما هو دساتير روحية تكاملية قررها الله تعالى على لسان أنبيائه - عليهم الصلاة والسلام -.

ذلك، لأن العلم المادي إنما هو نتيجة التجربة والاختبار والمشاهدة والمقارنة والاستقراء والاستنتاج والتجريد والتعميم إلى ما هنالك من فعاليات ذهنية لا تتصل بالنفس من حيث السمو والضعف أو التكامل والتسافل في شيء.. فإن عملية حل معادلة تفاضلية أو مسألة فيزيائية أو كيميائية، كل ذلك يجري من قبل النفوس بأجمعها دون تفريق بين المتعالية منها أو المتسافلة، المتألهة منها أو الملحدة، المتصفة منها بأخلاق ملكوتية أو المتردية بإغواءات شيطانية، فلا تؤثر تجربة كيميائية أو عملية حسابية أو معادلة تفاضلية أو دستور كسوف الشمس أو دساتير لينيتز في التحليل الرياضي في سمو النفس أو تسافلها، إنما يتأتى سمو النفس

(١) الإنسان ذلك المجهول، ص ١٧٠.

بالقيام بأعمال صالحة من مساعدة الغير وخدمة الأيوين والأرحام والقيام بجوائج الناس بصورة سرية ولوجه الله تعالى ونكران الذات في سبيل الخير والتضحية لإنقاذ الآخرين والمثول بين يدي رب العالمين بخشوع وخضوع وصلوات مقبولة والتهجد في جوف الليل ببكاء وخشوع، وبتزكية النفس من أدرانها وأوساخها على ما قرره الشرع»^(١).

ولن يعمل الإنسان وفق الشرع إلا عندما يؤمن بالغيب، ويعتقد بالله عز وجل، أما من لا يعتقد بغير المحسوس فلن يلتزم بأية ضوابط أو حدود، إذ هو يتصرف من وحي شهواته وغرائزه ومصالحه.

ولن تتحقق الصحة النفسية للإنسان إلا عندما يؤمن بالله تعالى عن عقيدة وقناعة ووعي، وعندما يكون إيمان الإنسان كذلك، فلا خوف عليه لا في الدنيا، ولا في الآخرة. كما قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢).

ويقول تعالى: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾^(٣).

٤. الاستقرار الاجتماعي:

لا تقتصر معطيات الإيمان بالغيب على حياة الفرد، بل تمتد آثاره إلى الحياة الاجتماعية، فالجتمتع المؤمن بالغيب والملتزم بمطالباته يشعر بالأمن والطمأنينة والكرامة والعدالة والحرية.. انطلاقاً من مبدأ التزام المجموع بأخلاقيات وقيم وتعاليم الدين الحنيف كما هو مفترض.

(١) التكامل في الإسلام، ج٥، ص٣٢١.

(٢) سورة المائدة، ٦٩.

(٣) سورة الجن، ١٣.

وشذوذ بعض أفراد المجتمع لن يؤثر كثيراً على الحالة العامة للمجتمع المتدين، إذ لا يمكن أن يخلو أي مجتمع من المجتمعات المتدينة من وجود شواذ لا يلتزمون بالشرع ولا بالأخلاقيات ولا بأية ضوابط اجتماعية أو حدود قيمية.

ولكن المجتمع المؤمن يبقى قوياً ومتماسكاً وصلباً أمام كل التحديات والعقبات، بخلاف المجتمع المادي الذي ينهار أمام أبسط التحديات، وأوضح مثال على ذلك المجتمع الشيوعي، والذي انهار أمام التحديات برغم آلياته العسكرية الضخمة، ونفوذه السياسي الواسع، وشبكاته المخبرانية المتشعبة!

وستلاقي الرأسمالية نفس المصير الذي انتهت إليه الماركسية، وذلك نتيجة لانعدام القيم الأخلاقية، وعدم الالتزام بالتعاليم والوصايا الروحية، والتخلي عن المثل والقيم العليا في المجتمع الرأسمالي.

وهاهو الرئيس الأمريكي السابق «كندي» يحذر الشباب من آثار الانغماس في الشهوات والماديات.. ويقول: «إن الشباب الأمريكي مائع منحل مترف غارق في الشهوات، وإنه من بين سبعة شباب يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين بسبب انهماكهم في الشهوات، وأنذر بأن هذا الشباب خطر على مستقبل أمريكا، وأهاب بالعلماء والمصلحين الاجتماعيين أن يبحثوا هذا الخطر ويقرروا العلاج»^(١).

أما وزير خارجية أمريكا السابق «فoster دالاس» فيحذر كذلك من الخطر الذي سيحل بالمجتمع نتيجة طغيان المادة، إذ يقول: «إن هناك شيئاً

(١) التكامل في الإسلام، ج ٥، ص ٣٢٤.

ما يسير بشكل خاطئ في أمتنا وإلا لما أصبحنا في هذا الحرج وفي هذه الحالة النفسية.

لا يجدر بنا أن نأخذ موقفاً دفاعياً وأن يملكنا الذعر.. إن ذلك أمر جديد في تاريخنا، إن الأمر لا يتعلق بالماديات فلدينا أعظم إنتاج عالمي في الأشياء المادية، إن ما ينقصنا هو إيمان صحيح قوي فبدونه يكون كل ما لدينا قليلاً، وهذا النقص لا يعوضه السياسيون مهما بلغت قدرتهم أو الدبلوماسيون مهما كانت فطنتهم أو العلماء مهما كثرت اختراعاتهم أو القنابل مهما بلغت قوتها.. فمتى يشعر الناس بالحاجة إلى الاعتماد على الأشياء المادية فإن النتائج السيئة تصبح أمراً حتمياً^(١).

وتتحدث المجلات والجرائد في كل يوم عن انتشار الجرائم بمختلف أشكالها في كل مكان من المجتمع الغربي، مثل القتل والاعتصاب والخطف والسطو المسلح والسرقة المنظمة.. وكشاهد على ما نقول.. إليك نص ما نشرته جريدة الشرق الأوسط عن سرقة المتاجر في الولايات المتحدة الأمريكية - والتي هي الآن أقوى دولة في العالم - تقول الجريدة: «تنتشر ظاهرة السرقة من المتاجر في جميع أنحاء الولايات المتحدة، وتذكر سلسلة من المتاجر الكبرى أنه في خلال عام ١٩٩١م تم القبض على ١٥٢ ألف عميل من عملائها بسبب السرقة!!»، وقد أشارت مجلة «سوسيتي» إلى أن السرقات من متاجر الأطعمة عام ١٩٩٠م بلغت قيمتها ٣٠٠ مليون دولار !!

وليس هناك من يعرف بالضبط مجموع ما ينتج عن هذا النوع من السرقة من خسائر في أنحاء أمريكا، ولكن أحسن التقديرات تقول إنه

(١) الإيمان بالغيب، ص ٧٣.

يزيد على ١٠٠ مليون دولار، تضاف إليها نفقات حماية المتاجر والحراس والبوليس السري والمحامين، وهذه التكاليف الإجمالية تضاف بطبيعة الحال إلى حساب المستهلك.

ولقد أصبحت السرقة من المتاجر واسعة الانتشار باهضة التكاليف في أمريكا ودول أخرى كثيرة^(١).

ويقول الدكتور «الكسيس كاريل» عن أمراض مجتمعه: «إن شخصاً من كل (٢٢) شخصاً من سكان نيويورك يجب إدخاله أحد مستشفيات الأمراض العقلية بين حين وحين.. ففي عام ١٩٣٢م كان عدد المجانين المودعين بالمستشفيات الحكومية ٣٤٠,٠٠٠ مجنون، كما كان عدد ضعاف العقول والمصروعين والمحجوزين في المصحات الخاصة ٨١,٥٨٠، وكان عدد مطلقي السراح بشرط كلمة الشرف من ضعاف العقول ١٠,٩٣٠، ولا تشمل هذه الإحصاءات الحالات العقلية التي تعالج في المستشفيات الخاصة.. ويوجد في البلاد ٥٠٠,٠٠٠ شخص من ضعاف العقول.. وعدد الأطفال الذين لا يسمح لهم ذكاؤهم بالاستمرار في الدراسة ٤٠٠,٠٠٠ طفل.. ويقدر أن عدة مئات من الآلاف لم تشملهم الإحصاءات الرسمية مصابون باضطرابات نفسية»^(٢).

وهذا غيظ من فيض عن واقع المجتمعات الغربية والتي غرقت في الماديات إلى حد التخمة المميتة!

ولابد أن نؤكد هنا على أن للغرب وجهين: الوجه المشرق وهو عبارة عن التقدم العلمي والتكنولوجي والتقني، والذي يجب أن نستفيد

(١) جريدة الشرق الأوسط، العدد ٥١٥٣، وتاريخ ١/٦/١٩٩٣م.
(٢) لمزيد من المعرفة في هذا المجال انظر كتاب (الإنسان ذلك المجهول).

منه، لأن العلم لا يمكن أن يحدد بحدود.

والوجه الآخر للغرب: هو الوجه المظلم.. ألا وهو (التجرد من كل الأخلاق والمثل والقيم الدينية) وهو نقطة الضعف في المدنية الغربية، وهو سيكون سر السقوط أيضاً!

وإذا كان المجتمع - أي مجتمع - يريد أن يحافظ على قوته ونظامه وديمومته فلا بد له من الإيمان بالغيب، ومن الالتزام بلوازمه ومتطلباته وشروطه.

ولن يستطيع المجتمع أن يشعر بالأمن والاستقرار والطمأنينة إلا عندما يؤمن بالغيب، ويتحرك وفق ذلك المنظور الإلهي.

وقد أكد على هذه الحقيقة الفيلسوف المشهور السيد «جمال الدين الأفغاني» بقوله: «إن هذا الاعتقاد أشد ركن لقوام الهيئة الاجتماعية التي لا عماد لها إلا معرفة كل ذي حق حقه وحقوق الآخرين عليه، والقيام على صراط العدل المستقيم، وهذا الاعتقاد أنجح الذرائع لتوثيق الروابط بين الأمم، إذ لا عقد لها إلا مراعاة الصدق، والخضوع لسلطان العدل في الوقوف عند حدود المعاملات، هذا الاعتقاد نفحة من روح الرحمة الأزلية، تهب على القلوب ببرد الهدوء والمسالمة، فإن المسالمة ثمرة العدل والمحبة، وهما زهر الأخلاق والسجايا الحسنة، كل ذلك وغير ذلك من الفضائل هو من ثمار العقيدة باليوم الآخر»^(١).

ومن كل ما سبق يتضح لنا.. أن إيمان المجتمع وتدينه هو الذي يحافظ على الاستقرار الاجتماعي، وينمي حالة الأمن الاجتماعي،

(١) مذاهب فلسفية، ص ١٢٥.

ويقوي أعمدة السعادة والتقدم والرخاء لكل أبناء المجتمع ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ
الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ كَذَّبُوا
فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ^(١) ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ
إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ
مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ ^(٢).

(١) سورة الأعراف، ٩٦.

(٢) سورة المائدة، ٦٦.

عالم البرزخ

الموت عبارة عن عملية انتقال من هذه الحياة الدنيا إلى عالم آخر، فالموت لا يعني النهاية للإنسان، بل يعني نهايته من الحياة الدنيا، وبداية الآخرة.

والإنسان - أي إنسان - يمر من بدئه إلى ختمه بعوالم ستة وهي: عالم ما قبل الإنسانية: وذلك قبل تكون نطفة الإنسان، وهي مرحلة العدم، وعالم الإنسانية.. وتبدأ بانعقاد النطفة إلى أن يأتي وليداً إلى هذه الدنيا، ثم عالم الدنيا، ثم ينتقل بعد الموت إلى عالم البرزخ، ثم عالم المعاد (القيامة)، وآخر العوالم.. الجنة أو النار.

وعليه، فإن أول عالم يذهب إليه الإنسان بعد الموت هو عالم البرزخ، وهو عالم القبر حيث يكون إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار!

فقد روي عن الإمام الصادق^(ع) أنه قال: «إن للقبر كلاماً في كل يوم يقول: أنا بيت الغربية، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود، أنا القبر، أنا روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار»^(١).

(١) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٩، رقم الحديث ١٥٩٤٩.

والقبر هو أول منزل من منازل الآخرة، فقد روي عن الرسول محمد (ص) أنه قال: «إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده ليس أقل منه»^(١). وعنه (ص) أنه قال: «لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول: أنا بيت الغربة، وأنا بيت الوحدة، وأنا بيت التراب، وأنا بيت الدود، فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحباً وأهلاً.. وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر: لا مرحباً ولا أهلاً..»^(٢). وعن الإمام الكاظم (ع) أنه قال عند قبر: «إن شيئاً هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله، وإن شيئاً هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره»^(٣).

معنى البرزخ:

البرزخ: ما بين كل شيئين، وفي الصحاح: الحاجز بين الشيئين. والبرزخ: ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ. وفي حديث المبعث عن أبي سعيد: في برزخ ما بين الدنيا والآخرة، قال: البرزخ ما بين كل شيئين من حاجز، وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُعْثُونَ﴾ قال: البرزخ من يوم يموت إلى يوم يبعث.

والبرازخ جمع برزخ، وقوله تعالى: ﴿يَبْنِيهِمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ يعني حاجزاً من قدرة الله سبحانه وتعالى، وقيل: أي حاجز خفي، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ أي حاجزاً. قال: والبرزخ والحاجز والمهلة متقاربات في المعنى^(٤).

(١) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٨، رقم الحديث ١٥٩٤٥.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٨، رقم الحديث ١٥٩٤٨.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٩، رقم الحديث ١٥٩٥٦.

(٤) لسان العرب، ج ٣، ص ٨.

ويسمى عالم البرزخ بالعالم المثالي ، لأنه يشبه عالم الدنيا من حيث الصورة والشكل ، لكنه يختلف عنه من حيث المادة والخواص والخصوصيات ، وهو عالم يبدأ بساعة الموت ، وينتهي بساعة البعث من القبور^(١).

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٢) البرزخ هو أمر بين أمرين ، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة.. وهو قول الصادق^(ع): «والله ما أخاف عليكم إلا البرزخ»^(٣).

وروي عن الإمام الصادق^(ع) أنه قال: «البرزخ القبر، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة»^(٤). وعنه^(٥) أيضاً قال: «والله أتخوف عليكم في البرزخ، قلت: وما البرزخ؟ فقال: القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة»^(٥).

يقول «العلامة المجلسي» (رحمة الله عليه): «إن الأخبار التي وردت حول القبر المراد منها هو عالم البرزخ لا القبر الجسماني، والرواية الواردة بأن الله يوسع على المؤمن في قبره هي من منظور العالم الروحاني (عالم البرزخ) وكذلك ظلمة وضياء القبر هي بالمعنى الروحاني لا الجسماني».

ولذلك فإن الذي يعذب أو ينعم في عالم البرزخ هي الروح، لأن الروح تبقى ولا تموت، أما الجسم فإنه يفسد ويتفتت حتى يأتي يوم القيامة فيحيي الله عز وجل جميع الخلائق.

(١) عقائد ومفاهيم، ص ٢٧.

(٢) سورة المؤمنون، ١٠٠.

(٣) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٤٠٤، رقم الحديث ١٦٨١.

(٤) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٤٠٥، رقم الحديث ١٦٨٣.

(٥) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٤٠٥، رقم الحديث ١٦٨٤.

نلفت نظر:

الحديث عن عالم البرزخ، وعن حساب القبر وما فيه، وعن القيامة وما فيها، وعن الجنة والنار.. هو حديث عن الغيب، ولا يمكن أن نعرف ذلك إلا من طريق الوحي الإلهي المتمثل في القرآن الكريم، وما ثبت صحته عن طريق النبي (ص) وأهل بيته^(ع).

ولذلك نلفت نظر القارئ الكريم إلى أننا في هذا الفصل سنحاول أن نتعرف على القضايا الغيبية (البرزخ، القيامة، الجنة والنار) من خلال ما ورد في القرآن الحكيم، وما روي عن أئمة الهدى^(ع) إذ لا طريق لمعرفة تلك القضايا الميتافيزيقية إلا من طريق النقل، ولذلك فإن هذا الفصل موجه لمن يؤمن بالغيب، إذ من مستلزمات الإيمان بالله تعالى، الإيمان بالبرزخ والقيامة والحساب والجنة والنار.

وأما الذين لا يؤمنون بالغيب فلا كلام لنا معهم في مثل هذه الأمور الغيبية حتى يؤمنوا..!

بقاء الروح بعد الموت:

الروح لا تموت بموت الإنسان، بل تبقى حية، وهي التي تنعم أو تعذب في عالم البرزخ.

وقد نصَّ القرآن الحكيم بوضوح على حقيقة بقاء الروح بعد الموت.. يقول «العلامة الطباطبائي» في تفسيره:

إن الإنسان بشخصه ليس بالبدن، ولا يموت بموت البدن، ولا يفنى بفناؤه، وانحلال تركيبه وتبدد أجزائه، وأنه يبقى بعد فناء البدن في عيش هنيء دائم، ونعيم مقيم، أو في شقاء دائم، وعذاب أليم، وأن

سعادته في هذه العيشة، وشقائه فيها مرتبطة بسنخ ملكاته وأعماله، لا بالجهات الجسمانية والأحكام الاجتماعية.

فهذه معان تعطىها الآيات الشريفة، وواضح أنها أحكام تغاير الأحكام الجسمانية، وتتنافى والخواص المادية الدنيوية من جميع جهاتها، فالنفس الإنسانية غير البدن.

ومما يدل عليه من الآيات قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١) والتوفي والاستيفاء هو أخذ الحق بتمامه وكماله، وما تشتمل عليه الآية من الأخذ والإمساك والإرسال ظاهر في المغايرة بين النفس والبدن.

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَنِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ (١٠) قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾^(٢) ذكر سبحانه شبهة من شبهات الكفار المنكرين للمعاد، وهو أننا بعد الموت وانحلال تركيب أبداننا تتفرق أعضائنا، وتبدد أجزائنا، وتتبدل صورنا، فنضل في الأرض، ويفقدنا حواس المدركين، فكيف يمكن أن نقع ثانياً في خلق جديد، وهذا استبعاد محض، وقد لقن تعالى على رسوله: الجواب عنه، بقوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ وحاصل الجواب أن هناك ملكاً موكلًا بكم هو يتوفاكم ويأخذكم، ولا يدعكم تضلوا وأنتم في قبضته وحفاظته، وما تضل في الأرض إنما هو أبدانكم لا نفوسكم التي هي

(١) سورة الزمر، ٤٢.

(٢) سورة السجدة، ١٠ - ١١.

المدلول عليها بلفظ، كم، فإنه يتوفاكم.

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾^(١) ذكره في خلق الإنسان، ثم قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٢) فأفاد أن الروح من سنخ أمره، ثم عرف الأمر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ^(٣) فأفاد أن الروح من الملكوت، وأنها كلمة «كن» ثم عرف الأمر بتوصيفه بوصف آخر بقوله: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾^(٤) والتعبير بقوله: ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ يعطي أن الأمر هو كلمة «كن»، موجود دفعي الوجود غير تدريجية، فهو يوجد من غير اشتراط وجوده وتقييده بزمان أو مكان، ومن هنا يتبين أن الأمر - ومنه الروح - شيء غير جسماني ولا مادي، فإن الموجودات المادية الجسمانية من أحكامها العامة أنها تدريجية الوجود، مقيدة بالزمان والمكان، فالروح التي للإنسان ليست بمادية جسمانية، وإن كان لها تعلق بها^(٥).

وقد ورد عن أئمة الحق والهدى أخبار مستفيضة حول بقاء الروح بعد الموت.. وإليك بعضاً منها:

١ - عن الفضل بن شاذان إن أمير المؤمنين^(٦) اضطجع في نجف الكوفة على الحصى، فقال قنبر: يا مولاي ألا أفرش لك ثوبي تحتك؟ فقال: «لا.. إن هي إلا تربة مؤمن، أو مزاحمتة في مجلسه» فقال الأصبغ بن

(١) سورة السجدة، ٩.

(٢) سورة الإسراء، ٨٥.

(٣) سورة يس، ٨٢ - ٨٣.

(٤) سورة القمر، ٥٠.

(٥) الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٣٥٠.

نباته: أما تربة مؤمن فقد علمنا أنها كانت أو ستكون، فما معنى مزاحمته في مجلسه؟ فقال: «يا بن نباته إن في هذا الظهر أرواح كل مؤمن ومؤمنة في قوالب من نور على منابر من نور»^(١).

٢ - في حديث الزنديق الذي سأل الصادق^(ع) عن مسائل أن قال: أخبرني عن السراج إذا انطفأ أين يذهب نوره، قال: يذهب فلا يعود، قال: فما أنكرت أن يكون الإنسان مثل ذلك إذا مات وفارق الروح البدن لم يرجع إليه أبداً كما لا يرجع ضوء السراج إليه إذا انطفأ؟ قال: لم تصب القياس، إن النار في الأجسام كامنة والأجسام قائمة بأعيانها كالحجر والحديد، فإذا ضرب أحدهما بالآخر سطعت من بينها نار تقتبس منها سراج له الضوء، فالنار ثابتة في أجسامها والضوء ذاهب، والروح جسم رقيق قد ألبس قالباً كثيفاً ليس بمثالة السراج الذي ذكرت، إن الذي خلق في الرحم جنيناً من ماء صاف، وركب فيه ضروراً مختلفة من عروق وعصب وأسنان وشعر وعظام وغير ذلك هو يحييه بعد موته ويعيده بعد فناءه، قال: فأين الروح؟ قال: في بطن الأرض حيث مصرع البدن إلى وقت البعث، قال: فمن صلب أين روحه؟ قال: في كف الملك الذي قبضها حتى يودعها الأرض، قال: أفيتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باق؟ قال: بل هو باق إلى وقت ينفخ في الصور، فعند ذلك تبطل الأشياء وتنفى، فلا حس ولا محسوس، ثم أعيدت الأشياء كما بدأها مدبرها، وذلك أربعمئة سنة تسبت فيها الخلق، وذلك بين النفختين»^(٢).

٣ - وعن الإمام الصادق^(ع) قال: «.. فإذا قبضه الله عز وجل صير تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا، فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم

(١) البحار، ج ٦، ص ٢٣٧، رقم الحديث ٥٥.

(٢) البحار، ج ٦، ص ٢١٦، رقم الحديث ٨.

عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا»^(١).

٤ - عن أبي ولاد الحنات، عن أبي عبد الله^(ع) قال: قلت له: جعلت فداك يرون أن أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش، فقال: لا، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، لكن في أبدان كأبدانهم»^(٢).

٥ - عن حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله^(ع) قال: ذكر الأرواح: أرواح المؤمنين، فقال: «يلتقون». قلت: يلتقون؟! قال: «نعم ويتساءلون ويتعارفون حتى إذا رايته قلت: فلان»^(٣).

يقول المحقق المجلسي (رضوان الله عليه):

«اعلم أن الذي ظهر من الآيات الكثيرة والأخبار المستفيضة والبراهين القاطعة هو أن النفس باقية بعد الموت، إما معذبة إن كان ممن محض الكفر، أو منعمة إن كان ممن محض الإيمان، أو يلهى عنه إن كان من المستضعفين، ويرد إليه الحياة في القبر إما كاملاً أو إلى بعض بدنه كما في بعض الأخبار، ويسأل بعضهم عن بعض العقائد وبعض الأعمال، ويثاب ويعاقب بحسب ذلك، وتضغط أجساد بعضهم، وإنما السؤال والضغط في الأجساد الأصلية، وقد يرتفعان عن بعض المؤمنين كمن لقن، أو مات في ليلة الجمعة أو يومها أو غير ذلك مما ورد في الأخبار، ثم تتعلق الروح بالأجساد المثالية اللطيفة الشبيهة بأجسام الجن والملائكة، والمضاهية في الصورة للأبدان الأصلية فينعيم ويعذب فيها، ولا يبعد أن يصل إليه الآلام ببعض ما يقع على الأبدان الأصلية

(١) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٤٠٥، رقم الحديث ١٦٨٧.

(٢) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٤٠٥، رقم الحديث ١٦٨٦.

(٣) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٤٠٦، رقم الحديث ١٦٨٨.

لسبق تعلقه بها، وبذلك يستقيم جميع ما ورد في ثواب القبر وعذابه واتساع القبر وضيقه، وحركة الروح وطيرانه في الهواء وزيارته لأهله، ورؤية الأئمة^(ع) بأشكالهم، ومشاهدة أعدائهم معذيين، فالمراد بالقبر في أكثر الأخبار ما يكون الروح فيه في عالم البرزخ^(١).

وقال الشيخ البهائي (قدس الله روحه):

«قد يتوهم أن القول بتعلق الأرواح بعد مفارقة أبدانها العنصرية بأشباح آخر كما دلت عليه الأحاديث قول بالتناسخ، وهذا توهم سخيف لأن التناسخ الذي أطبق المسلمون على بطلانه هو تعلق الأرواح بعد خراب أجسادها بأجسام آخر في هذا العالم، إما عنصرية كما يزعم بعضهم ويقسمه إلى النسخ والمسح والفسخ والرسخ، أو فلكية ابتداءً أو بعد تردها في الأبدان العنصرية على اختلاف آرائهم الواهية المفصلة في محلها، وأما القول بتعلقها في عالم آخر بأبدان مثالية مدة البرزخ إلى أن تقوم قيامتها الكبرى فتعود إلى أبدانها الأولية بإذن مبدعها إما بجمع أجزائها المتشتتة أو بإيجادها من كتم العدم كما أنشأها أول مرة فليس من التناسخ في شيء، وإن سميت تناسخاً فلا مشاحة في التسمية إذا اختلف المسمى، وليس إنكارنا على التناسخية وحكمنا بتكفيرهم بمجرد قولهم بانتقال الروح من بدن إلى آخر، فإن المعاد الجسماني كذلك عند كثير من أهل الإسلام، بل بقولهم بقدم النفوس وتردها في أجسام هذا العالم وإنكارهم المعاد الجسماني في النشأة الأخروية^(٢).

والخلاصة: إن الروح ليست من المادة في شيء، وهي خارجة على

(١) البحار، ج ٦، ص ٢٧٠.

(٢) البحار، ج ٦، ص ٢٧٧.

الزمان والمكان، بخلاف المادة حيث أنها مقيدة بمحدود الزمان والمكان. والموت ليس سوى خروج الروح من البدن، وعدم عودتها إليه، ومن ثم فالجسد يفنى إلى أن يحييه الله مرة أخرى في يوم البعث، أما الروح فلا تموت، بل تبقى حية، وهي إما منعمة في عالم البرزخ أو معذبة أو ملهي عنها إلى أن يبعث الله الأرض ومن عليها.

حساب القبر:

بعدما يدفن الميت في قبره، وينصرف المشيعون عنه، يأتيه ملكان فيسألانه: عن ربه.. وعن نبيه.. وعن دينه، فإن كان مؤمناً أجاب بلسان طلق، وإن كان كافراً انعقد لسانه عن الجواب!

قال الصدوق (رحمه الله) في رسالة العقائد: «اعتقادنا في المسألة في القبر أنها حق لا بد منها، فمن أجاب بالصواب فإذا بروح وريحان في قبره، وبجنة نعيم في الآخرة، ومن لم يأت بالصواب فله نزل من حميم في قبره، وتصلية جحيم في الآخرة»^(١).

وقال الشيخ المفيد (رحمه الله): «جاءت الآثار الصحيحة عن النبي (ص) أن الملائكة تنزل على المقبورين فتسألهم عن أديانهم، وألفاظ الأخبار بذلك متقاربة، فمنها: أن ملكين لله تعالى يقال لهما ناكر ونكير ينزلان على الميت فيسألانه عن ربه ونبيه ودينه وإمامه فإن أجاب بالحق سلموه إلى ملائكة النعيم، وإن أرتج لرجاً عليه سلموه إلى ملائكة العذاب.

وفي بعض الأخبار أن اسمي الملكين اللذين ينزلان على الكافر ناكر

(١) البحار، ج ٦، ص ٢٧٩.

ونكير^(١)، واسمي الملكين اللذين ينزلان على المؤمن مبشر وبشير، قيل: إنما سمي ملكا الكافر ناكراً ونكيراً.. لأنه ينكر الحق، وينكر ما يأتيانه به ويكرهه، وسمي ملكا المؤمن مبشراً وبشيراً.. لأنهما يبشرانه من الله تعالى بالرضا والثواب المقيم، وإن هذين الاسمين ليسا بلقب لهما، وإنهما عبارة عن فعلهما.

وليس ينزل الملكان إلا على حي ولا يسألان إلا من يفهم المسألة ويعرف معناها، وهذا يدل على أن الله تعالى يحيي العبد بعد موته للمساءلة، ويديم حياته لنعيم إن كان يستحقه، أو لعذاب إن كان يستحقه^(٢).

وعن المسألة والحساب في القبر وردت روايات كثيرة -وبالإضافة لما ورد ذكره- فقد روي عن النبي (ص) أنه قال: «في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ قال: في القبر إذا سئل الموتى»^(٣).

وعن سليمان بن مقبل، عن موسى بن جعفر، عن أبيه^(٤) قال: «إذا مات المؤمن شيعة سبعون ألف ملك إلى قبره، فإذا أدخل في قبره أتاه منكر ونكير فيقعدانه ويقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله، ومحمد نبيي، والإسلام ديني، فيفسحان له في قبره مدّ بصره، ويأتيانه بالطعام من الجنة، ويدخلان عليه الروح والريحان، وذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ يعني في قبره، ﴿وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾ يعني في الآخرة، ثم قال^(٥): إذا مات الكافر شيعة سبعون ألفاً من الزبانية إلى قبره، وإنه ليناشد

(١) ورد في بعض الأخبار أن اسمهما «منكر ونكير».

(٢) تصحيح الاعتقاد، ص ١٧٧.

(٣) البحار، ج ٦، ص ٢٢٨، رقم الحديث ٢٩.

حامله بصوت يسمعه كل شيء إلا الثقلان ويقول: لو أن لي كرة فأكون من المؤمنين، ويقول: ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت ، فتجيبه الزبانية: كلا إنها كلمة أنت قائلها ، ويناديهم ملك: لو ردّ لعاد لما نهى عنه ، فإذا أدخل قبره وفارقه الناس أتاه منكر ونكير في أهول صورة فيقيمانه ثم يقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيتلجلج لسانه ولا يقدر على الجواب ، فيضربانه ضربة من عذاب الله يذعر لها كل شيء ، ثم يقولان له: من ربك؟ وما دينك ، ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري ، فيقولان له: لا دريت ولا هديت ولا أفلحت ، ثم يفتحان له باباً إلى النار ويتزلان إليه من الحميم من جهنم ، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزِّلَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ يعني في القبر ، ﴿وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ﴾ يعني في الآخرة^(١).

وعن الصادق^(٢) قال: «يسأل الميت في قبره عن خمس: عن صلاته، وزكاته، وحجه، وصيامه، وولايته إيانا أهل البيت ، فتقول الولاية عن جانب القبر للأربع: ما دخل فيكن من نقص فعليّ تمامه»^(٣).

وهل كل ميت يحاسب في عالم البرزخ أم لا؟ الجواب: لا...! وإنما الحساب والمساءلة مختص بمن هم على الإيمان الخض أو الكفر الخض ، أما الذين هم بين بين فيلهي عنهم ، ولا يحاسبون قبل يوم القيامة.

وقد جاء في أخبار مستفيضة ما يثبت ذلك ، فعن الصادق^(٤) قال: «لا يسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً»^(٥). وعن أبي جعفر^(٦) قال: «لا يسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر

(١) البحار، ج ٦، ص ٢٢٢، رقم الحديث ٢٢.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ١٢، رقم الحديث ١٥٩٦٥.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ١٢، رقم الحديث ١٥٩٦٧.

محضاً، فقلت له: فسائر الناس؟ فقال: يُلهى عنهم^(١). وعن أبي عبد الله^(٢) قال: «إنما يسأل في قبره من محض الإيمان والكفر محضاً، أما ما سوى ذلك فيلهى عنه»^(٣). وعنه^(٤) أيضاً قال: «لا يسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً، والآخرون يلهون عنهم»^(٥).

وبهذا يتضح لنا من روايات أهل البيت^(٦) أنه لا يسأل ولا يحاسب ولا يعذب ولا ينعم في القبر كل ميت، وإنما يختص ذلك بمن محض الكفر محضاً، أو محض الإيمان محضاً، أما في يوم القيامة فيحاسب الجميع من دون استثناء.

نعيم البرزخ وعذابه:

إن عذاب البرزخ وثوابه مما اتفقت عليه الأمة سلفاً وخلفاً، وقال به أكثر أهل الملل ولم ينكره من المسلمين إلا شريحة قليلة لا عبرة بهم، وقد انعقد الإجماع على خلافهم سابقاً ولاحقاً، والأحاديث الواردة فيه من طرق العامة والخاصة متواترة المضمون، وكذا بقاء النفوس بعد خراب الأبدان مذهب أكثر العقلاء من المليين والفلاسفة، ولم ينكره إلا فرقة قليلة كالقائلين بأن النفس هي المزاج وأمثاله ممن لا يعبأ بهم ولا بكلامهم.

قال نصير الملة والدين في التجريد: عذاب القبر واقع لإمكانه وتواتر السمع بوقوعه.

وقال العلامة الحلي في شرحه: نقل عن ضرار أنه أنكر عذاب القبر، والإجماع على خلافه.

(١) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ١٢، رقم الحديث ١٥٩٦٦.

(٢) البحار، ج ٦، ص ٢٦٠، رقم الحديث ٩٨.

(٣) البحار، ج ٦، ص ٢٦٠، رقم الحديث ٩٧.

وقال الشيخ المفيد: قد ورد عن أئمة الهدى^(ع) أنهم قالوا: ليس بعذب في القبر كل ميت، وإنما يعذب من جملتهم من محض الكفر محضاً، ولا ينعم كل ماضٍ لسبيله، وإنما ينعم منهم من محض الإيمان محضاً، فأما ما سوى هذين الصنفين فإنه يلهى عنهم، وكذلك روي أنه لا يسأل في قبره إلا هذان الصنفان خاصة، فعلى ما جاء به الأثر من ذلك يكون الحكم ما ذكرناه، فإما عذاب الكافر في قبره، ونعيم المؤمنين فيه فإن الخبر أيضاً قد ورد بأن الله تعالى يجعل روح المؤمن في قالب مثل قلبه في الدنيا في جنة من جناته ينعمه فيها إلى يوم الساعة، فإذا نفخ في الصور أنشأ جسده الذي بلي في التراب وتمزق ثم أعاده إليه وحشره إلى الموقف، وأمر به إلى جنة الخلد، فلا يزال منعماً ببقاء الله عز وجل، غير أن جسده الذي يعاد فيه لا يكون على تركيبه في الدنيا، بل تعدل طباعه، وتحسن صورته، فلا يهرم مع تعديل الطباع، ولا يمسه نصب في الجنة ولا لغوب.

والكافر يجعل في قالب كقالبه في الدنيا في محل عذاب يعاقب به، ونار يعذب بها حتى الساعة، ثم أنشئ جسده الذي فارقه في القبر ويعاد إليه، ثم يعذب به في الآخرة عذاب الأبد، ويركب أيضاً جسده تركيباً لا يفنى معه، وقد قال الله عز وجل اسمه: ﴿التَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ وقال في قصة الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فدل على أن العذاب والثواب يكونان قبل يوم القيامة وبعدها^(١).

(١) البحار، ج ٦، ص ٢٧١.

وفي القرآن الحكيم إشارة رائعة وبليغة إلى جنة البرزخ، وإلى نار البرزخ أيضاً.

فبالنسبة إلى جنة البرزخ، يقول الله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا (٦١) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(١).

في تفسير علي بن إبراهيم قال: سئل الصادق^(ع) عن جنة آدم أمن جنان الدنيا كانت أم من جنان الآخرة؟ فقال: «كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الآخرة ما أخرج منها أبداً»^(٢).

وقال في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قال: «ذلك في جنات الدنيا قبل القيامة، والدليل على ذلك قوله: ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ فالبكرة والعشي لا تكونان في الآخرة في جنات الخلد وإنما يكون الغداة والعشي في جنات الدنيا التي تنقل إليها أرواح المؤمنين وتطلع فيها الشمس والقمر»^(٣). وبهذا يتضح من قول الإمام^(ع) أن المراد بالجنة الوارد ذكرها في الآية المتقدمة إنما تشير إلى جنة البرزخ، لا جنة الآخرة، بيد أن جنة الآخرة ليس فيها بكرة ولا عشي، فحدوث الصباح والمساء إنما ينشأ بسبب حركة الأرض حول نفسها في مواجهة الشمس.

ونحن نعلم أن الشمس يوم القيامة تكون قد تكورت، وماتت شعلتها، والأرض تدك دكة واحدة، والجبال ينسفها الله عز وجل نسفاً! وبالنسبة إلى نار البرزخ، فقد وردت الإشارة إليها في قوله تعالى:

(١) سورة مريم، ٦١ - ٦٢.

(٢) تسلية الفؤاد، ص ١١٦.

(٣) تسلية الفؤاد، ص ١١٦.

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(١) يقول الإمام الصادق^(ع) في تفسيره لهذه الآية: «ذلك في الدنيا قبل القيامة، وذلك أن في القيامة لا يكون غدوًّا ولا عشيًّا، لأن الغدو والعشي إنما يكون في الشمس والقمر، وليس في جنات الخلد ونيرانها شمس ولا قمر»^(٢).

وقال رجل لأبي عبد الله^(ع) ما تقول في قول الله عز وجل: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾؟ فقال أبو عبد الله^(ع): «ما يقول الناس فيها؟ فقال: يقولون إنها في دار الخلد وهم لا يعذبون فيما بين ذلك. فقال^(ع): فهم من السعداء. فقليل له: جعلت فداك فكيف هذا؟ فقال: إنما هذا في الدنيا، فأما في نار الخلد فهو قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾»^(٣).

ولكي نرسم صورة للقارئ الكريم عن جنة البرزخ وما فيها من نعيم، وعن نار البرزخ وما فيها من عذاب وعقاب.. إليك هذه الطائفة من الروايات التي توضح ذلك:

١ - عن إبراهيم بن إسحاق قال: قلت لأبي عبد الله^(ع): أين أرواح المؤمنين؟ فقال: «أرواح المؤمنين في حجرات في الجنة، يأكلون من طعامها، ويشربون من شربها، ويتزاوون فيها، ويقولون: ربنا أقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا. قال: قلت: فأين أرواح الكفار؟ فقال: في حجرات النار، يأكلون من طعامها، ويشربون من شربها، ويتزاوون فيها، ويقولون: ربنا لا تقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا»^(٤).

(١) سورة غافر، ٤٦.

(٢) تسلية الفؤاد، ص ١١٧.

(٣) تسلية الفؤاد، ص ١١٧.

(٤) البحار، ج ٦، ص ٢٣٤، رقم الحديث ٤٩.

٢ - وعن أبي عبد الله^(ع) قال: «يسال الرجل في قبره فإذا أثبت فسح له في قبره سبعة أذرع وفتح له باب إلى الجنة، وقيل له: نم نومة العروس، قير العين!»^(١).

٣ - وعن أمير المؤمنين^(ع) قال: «ما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا قيل لروحه: الحقني بوادي السلام، وإنها لبقعة من جنة عدن»^(٢).

٤ - وعن أبي عبد الله^(ع) قال: «إن أرواح الكفار في نار جهنم يعرضون عليها، يقولون: ربنا لا تقم لنا الساعة، ولا تنجز لنا ما وعدتنا، ولا تلحق آخرنا بأولنا»^(٣).

٥ - وقال أمير المؤمنين^(ع): «شر ماء على وجه الأرض ماء برهوت، وهو الذي بحضرموت يرده هام الكفار»^(٤).

٦ - وروي عنه^(ع) أيضاً: «شر بئر في النار برهوت الذي فيه أرواح الكفار»^(٥).

٧ - وقال الإمام الصادق^(ع): «إن من وراء اليمن وادياً يقال له: وادي برهوت، ولا يجاور ذلك الوادي إلا الحيات السود والبوم من الطير، في ذلك الوادي بئر يقال لها: برهوت يغذى ويراح إليها بأرواح المشركين، يسقون من ماء الصديد»^(٦).

(١) البحار، ج ٦، ص ٢٦٢، رقم الحديث ١٠٥.

(٢) تسليية الفؤاد، ص ١١٨.

(٣) البحار، ج ٦، ص ٢٧٠، رقم الحديث ١٢٧.

(٤) البحار، ج ٦، ص ٢٨٩، رقم الحديث ١٢.

(٥) البحار، ج ٦، ص ٢٨٩، رقم الحديث ١١.

(٦) البحار، ج ٦، ص ٢٩١، رقم الحديث ١٥.

٨ - وعن أبي بصير عن أبي عبد الله^(ع) قال: «إن الأرواح في صفة الأجساد في شجر من الجنة تعارف وتساءل، فإذا قدمت الروح تقول: دعوها فإنها قد أقبلت من هول عظيم، ثم يسألونها ما فعل فلان؟ فإن قالت لهم تركته حياً ارتجوه، وإن قالت لهم قد هلك قالوا قد هوى هوى»^(١).

٩ - وعن ضريس الكناسي عن أبي جعفر^(ع) قال: «إن لله جنة خلقها الله في المغرب وماء فراتكم هذا يخرج منها، وإليها تخرج أرواح المؤمنين من حفرهم عند كل مساء فتسقط على ثمارها وتأكل منها وتتعم فيها وتتلاقى وتتعارف، فإذا طلعت الفجر هاجت من الجنة فكانت في الهواء بين السماء والأرض، تطير ذاهبة وجائية، وتعهدها حفرها إذا طلعت الشمس، وتتلاقى في الهواء وتتعارف، قال: إن الله ناراً في المشرق خلقها ليسكنها أرواح الكفار، ويأكلون من زقومها، ويشربون من حميمها ليلهم، فإذا طلع الفجر هاجت إلى واد باليمن يقال له: برهوت أشد حراً من نيران الدنيا كانوا فيه يتلاقون ويتعارفون، فإذا كان المساء عادوا إلى النار فهم كذلك إلى يوم القيامة»^(٢).

وهذه الأخبار وأمثالها مما تدل أيضاً على عدم فناء الأرواح بل على بقائها في أجساد مثالية منعمة أو معذبة أو ملهي عنها.

قال «الصدوق» في الاعتقادات: اعتقادنا في النفوس أنها هي الأرواح التي بها تقوم الحياة، وأنها الخلق الأول، لقول النبي (ص): «إن أول ما أبدع الله سبحانه هي النفوس المقدسة المطهرة فأنطقها بتوحيده، ثم خلق بعد ذلك سائر خلقه».

واعتقادنا فيها أنها خلقت للبقاء ولم تخلق للفناء، لقول النبي

(١) تسليية الفؤاد، ص ١١٨.

(٢) تسليية الفؤاد، ص ١٢١.

(ص): «ما خلقتكم للفناء بل خلقتكم للبقاء، وإنما تنقلون من دار إلى دار» وأنها في الأرض غريبة، وفي الأبدان مسجونة.

واعتقادنا فيها أنها إذا فارقت الأبدان فهي باقية.. منها منعمة، ومنها معذبة، إلى أن يردها الله عز وجل بقدرته إلى أبدانها.

ما ينفع الميت في قبره:

الأعمال الصالحة التي عملها الإنسان قبل موته تفيده في عالم البرزخ، كما أنها تنفعه في الآخرة، وكذلك الأعمال الصالحة التي يؤتى بها نيابة عن الميت.

وتوجد بعض الأعمال الصالحة التي يستمر ثوابها وأجرها لمن عملها حتى بعد وفاة صاحبها، مما تنفعه وهو في القبر، وتزيد من رصيد حسناته يوم الحساب.

والأخبار في ذلك كثيرة.. ومنها:

١ - مرَّ النبي (ص) بقبر دفن فيه بالأمس إنسان وأهله يبكون، فقال: «لركعتان خفيفتان مما تحتقرون أحب إلى صاحب هذا القبر من دنياكم كلها»^(١).

٢ - وقال رسول الله (ص): «مرَّ عيسى بن مريم^(ع) بقبر يعذب صاحبه، ثم مرَّ به من قابل فإذا هو ليس يعذب، فقال: يا رب مررت بهذا القبر عام أول فكان صاحبه يعذب، ثم مررت به العام فإذا هو ليس يعذب، فأوحى الله عز وجل إليه: يا روح الله إنه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً وآوى يتيماً فغفرت له بما

(١) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ١٣، رقم الحديث ١٥٩٦٩.

عمل ابنه»^(١).

٣ - وعن أبي عبد الله^(ع) قال: «إذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه، والزكاة عن يساره، والبر مطل عليه، ويتنحى الصبر ناحية، قال: فإذا دخل عليه الملكان يلين مساءلته، قال الصبر للصلاة والزكاة والبر: دونكم صاحبكم، فإن عجزتم عنه فأنا دونه»^(٢).

٤ - وعنه^(ع) أيضاً قال: «إذا وضع الميت في قبره مثل له شخص فقال له: يا هذا كنا ثلاثة، كان رزقك فانقطع بانقطاع أجلك، وكان أهلك فخلفوك وانصرفوا عنك، وكنت عملك فبقيت معك، أما إني كنت أهون الثلاثة عليك»^(٣).

٥ - وعن أبي عبد الله^(ع) أيضاً قال: «ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال: صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته إلى يوم القيامة، صدقة موقوفة لا تورث، أو سنة هدى سنّها وكان يعمل بها وعمل بها من بعده غيره، أو ولد صالح يستغفر له»^(٤).

٦ - وقال^(ع) أيضاً: «ست خصال ينتفع بها المؤمن من بعد موته: ولد صالح يستغفر له، ومصحف يقرأ فيه، وقليب^(٥) يحفره، وغرس يغرسه، وصدقة ماء يجريه، وسنة حسنة يؤخذ بها بعده»^(٦).

(١) البحار، ج ٦، ص ٢٢٠، رقم الحديث ١٥.

(٢) البحار، ج ٦، ص ٢٣٠، رقم الحديث ٣٥.

(٣) البحار، ج ٦، ص ٢٦٥، رقم الحديث ١١٠.

(٤) البحار، ج ٦، ص ٢٩٣، رقم الحديث ١.

(٥) القليب: البئر.

(٦) البحار، ج ٦، ص ٢٩٤، رقم الحديث ٢.

٧ - وقال^(٤): «ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال: صدقة أجزاها في حياته فهي تجري بعد موته، وسنة هدى سنّها فهي تعمل بما بعد موته، وولد صالح يستغفر له»^(١).

٨ - وعن معاوية بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله^(٤): أي شيء يلحق الرجل بعد موته؟ قال: «يلحقه الحج عنه، والصدقة عنه، والصوم عنه»^(٢).

من مات في ليلة الجمعة أو يومها:

١ - روي عن أبي عبد الله^(٤) قال: «من مات يوم الجمعة كتب له براءة من ضغطة القبر»^(٣).

٢ - وعن أبي جعفر^(٤) قال: «من مات ليلة الجمعة كتب الله له براءة من عذاب النار، ومن مات يوم الجمعة أعتق من النار»^(٤).

٣ - وقال أبو جعفر^(٤) بلغني أن النبي (ص) قال: «من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة رفع عنه عذاب القبر»^(٥).

(١) البحار، ج ٦، ص ٢٩٤، رقم الحديث ٤.

(٢) البحار، ج ٦، ص ٢٩٤، رقم الحديث ٥.

(٣) البحار، ج ٦، ص ٢٣٠، رقم الحديث ٣٦.

(٤) البحار، ج ٦، ص ٢٣٠، رقم الحديث ٣٧.

(٥) البحار، ج ٦، ص ٢٣٠، رقم الحديث ٣٨.

مشاهد يوم القيامة

يعتقد المؤمنون بالله سبحانه وتعالى أنه توجد بعد هذه الحياة الدنيا حياة أخرى وهي الحياة الآخرة حيث الجنة أو النار.

والمعاد - والذي هو أصل من أصول الدين - يعني: أن الله سبحانه وتعالى بعد فناء العالم، وموت كل ذي روح، يعيد الناس إلى الحياة، ليجزيهم بما عملوا في دار الدنيا، فمن آمن وعمل صالحاً كان جزاؤه الجنة، ومن كفر وعصى كان مصيره النار.

والإيمان بالحياة الآخرة ليس مقتصراً على المسلمين وحسب، بل هو عقيدة كل من آمن بأحد الأديان السماوية، بل يوجد من البشر من يؤمن بعقيدة الآخرة ممن هم خارج الانتماء لأحد الأديان الكتابية.

يقول الأستاذ «عباس محمود العقاد»: «الأديان الكتابية على اتفاق في الإيمان بالحياة بعد الموت، وإن اختلفت بينها بعض الاختلاف في تمثيل تلك الحياة.

وقد آمن الفلاسفة بالحياة الآخرة قبل الأديان الكتابية جميعاً

وبعدها، فمن أشهر المؤمنين بها من الفلاسفة السابقين أفلاطون، ومن أشهرهم في العصر الحديث عمانويل كانت، وهما يجمعان أطراف الآراء الفلسفية في سبب الإيمان ببقاء النفس بعد الموت»^(١).

وبالتأمل في القرآن الحكيم نستنتج أنه ينبه الناس إلى ضرورة الاعتقاد بالبعث والمعاد والحساب والجزاء، فالله الذي خلق الإنسان من عدم، قادر على إعادة إحيائه مرة أخرى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢) وتعني الآية الشريفة: بدء الخلق إنشاؤه ابتداء من غير مثال سابق، والإعادة إنشاء بعد إنشاء، ولما كانت الإعادة أهون، أي هون محض غير مخلوط بصعوبة ومشقة بخلاف ما عندنا معاشر الخلق، ولا يلزم منه أن يكون في الإنشاء صعوبة ومشقة عليه تعالى، لأن المشقة والصعوبة في الفعل تتبع قدرة الفاعل بالتعاكس فكلما قلت القدرة كثرت المشقة، وكلما كثرت قلت حتى إذا كانت القدرة غير متناهية انعدمت المشقة من رأس، وقدرته تعالى غير متناهية فلا يشق عليه فعل أصلاً، وهو المستفاد من قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فإن القدرة إذا جاز تعلقها بكل شيء لم تكن إلا غير متناهية^(٣).

ويوجه القرآن الحكيم خطابه في غير سورة من سوره الشريفة إلى الذين يشككون في المعاد والبعث والحساب، فيقول عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ

(١) الفلسفة القرآنية، ص ١٨٢.

(٢) سورة الروم، ٢٧.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٦، ص ١٧٥.

إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿١﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ ﴿٢﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئاً﴾ ﴿٣﴾.

وعن الإمام الصادق (ع) قال: جاء أبي بن خلف فأخذ عظاماً بالياً من حائط ففتته، ثم قال: يا محمد.. إذا كنا عظاماً ورفاتاً أننا لمبعوثون؟ فأنزل الله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُخَيِّ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُخَيِّهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٤﴾.

ومن وصايا أمير المؤمنين لابنه الحسن - عليهما السلام - : «واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة، وأن الخالق هو المميت، وأن المفني هو المعيد» ﴿٥﴾.

وقال الإمام علي بن الحسين (ع): «العجب كل العجب! لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى الأولى» ﴿٦﴾.

وعن هشام بن الحكم أنه قال الزنديق للصادق (ع): «أنى للروح

(١) سورة الحج، ٥ - ٧.

(٢) سورة الطارق، ٥ - ٨.

(٣) سورة مريم، ٦٦ - ٦٧.

(٤) سورة يس، ٧٨ - ٧٩.

(٥) ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٦٥، رقم الحديث ١٤١٤٤.

(٦) ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٦٥، رقم الحديث ١٤١٤٣.

بالبعث والبدن قد بلي والأعضاء قد تفرقت، فعضو في بلدة تأكلها سباعها، وعضو بأخرى تمزقه هوامها، وعضو قد صار تراباً بني به مع الطين حائط؟!».

قال^(ع): «إن الذي أنشأه من غير شيء، وصوّره على غير مثال كان سبق إليه قادر أن يعيده كما بدأه»^(١).

وإذا كانت النصوص الدينية تؤكد على وجود الآخرة بعد فناء الدنيا، وإذا كان الإيمان بالمعاد من لوازم الإيمان بالغيب، ومن مسلمات الانتماء للأديان السماوية، فإن العلم الحديث اليوم يشير أيضاً إلى وجود حياة أخرى بعد هذه الحياة الفانية.

يقول الأستاذ «شوقي رافع»: «الحياة بعد الموت، كانت -وربما مازالت- من مسلمات الإيمان لدى كثير من الشعوب، ولكن العلم الحديث -وخاصة علوم الفيزياء ومدارس التحليل النفسي- يحاول عبر التجربة، واعتماداً على العقل، البرهنة على أن الموت هو بداية حياة أخرى، وأن لا تناقض بين العلم والإيمان.

وقد كان «بحثاً عن الموتى» هو العنوان الذي اختارته شبكة «بي. بي. سي» البريطانية لحلقات تلفزيونية قامت بثها في عام ١٩٩٠م، وأحدثت دويّاً هائلاً لدى المشاهدين، كشفت خلالها وعبر عشرات التجارب الميدانية، والمقابلات العلمية، عن تحالف بين علماء الفيزياء وأطباء علم النفس الحديث هدفه اختراق جدار العلوم والفلسفة التقليدية التي أرسى أسسها نيوتن وديكارت وآخرون، والبرهنة علمياً على أن ما يسمى العالم المادي هو في الواقع «طاقة» وأن هذه الطاقة لا حدود

(١) ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٧٣، رقم الحديث ١٤١٤٥.

لحركتها وأبعادها، وأنها يمكن أن تتواجد في مكانين مختلفين في وقت واحد، وبالتالي فإن العقل لا يموت بعد موت الدماغ، وأن هناك حياة أخرى بعد الموت الفيزيائي، وأن مهمة العلماء في العصر الراهن وفي الزمن المقبل هي التركيز على ما يسمى «علم العقل» لاكتشاف تلك الغياهب المجهولة والتي لا يمكن تفسيرها في حياة الإنسان وموته.

وقد تحول المسلسل التلفزيوني إلى كتاب صدر عام ١٩٩٢م، كتبه «جيفري إيزسون» وتصدر قائمة الكتب الأكثر مبيعاً عند صدوره.

وقد فاجأ معهد غالوب في خريف عام ١٩٩٠م العالم باستبيان تبين فيه أن ما يزيد على نصف عدد سكان أوروبا، وأكثر من النصف في أمريكا يؤمنون بأن هناك نوعاً من الحياة الأخرى بعد الموت، ويعلق الدكتور «جورج غالوب» مدير المؤسسة ومقرها في برنستون - كاليفورنيا على هذا بالقول: «إنها ظاهرة لم نقم حتى الآن بدراستها بشكل جاد، وإذا كان هذا القرن قد تميز بالاكشافات في حقل الفضاء الخارجي، فإن القرن المقبل سوف يشهد بالتأكيد اكتشافات تتجه نحو الفضاء الداخلي للإنسان» ويستنتج المؤلف البريطاني «جيفري إيزسون» أن هناك حياة بعد الموت استناداً إلى حقائق العلم والعقل وليس إلى مسلمة العقيدة والإيمان^(١).

وهكذا يؤكد العلم الحديث يوماً بعد آخر على حقيقة وجود الآخرة، وأن هذه الحياة ليست النهاية، وأن الموت يعني الانتقال إلى عالم البرزخ، وبعدئذٍ عالم الآخرة.

وبهذا يعارض العلم الحديث ما جاء في النصوص الدينية، والشرائع السماوية منذ آلاف السنين، حول حياة الآخرة حيث الحساب

(١) لمزيد من الاطلاع انظر مجلة العربي، العدد ٤٢٦، ص ٧٨.

والجزاء من جنس العمل ، فإما نعيم دائم ، وإما عذاب دائم ، وكل امرئ وما اختار في دنياه لآخرته ! يقول تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٢١) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١﴾ .

فناء الدنيا وقيام الساعة:

إن فناء الدنيا وقيام الساعة هي مرحلة مصيرية للأحياء والأموات على حد سواء ، فالأحياء سيموتون ، والأموات سيخرجون من قبورهم ، وسيقضى كل شيء .. الإنسان والجان والحيوان وحتى الملائكة .. ولن يبقى إلا الله الواحد القهار ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢﴾ ويقول تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ (٣) ويقول تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٤) .

والقرآن الكريم يخبرنا بأن القيامة ستقع عندما تكون الأرض قد بلغت قمة ازدهارها ، ووصلت إلى ذروة التقدم العلمي والتكنولوجي عندئذ ستقع القيامة ! ﴿ .. حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَطْنَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٥)

(١) سورة الجاثية ، ٢١ - ٢٢ .

(٢) سورة الرحمن ، ٢٦ - ٢٧ .

(٣) سورة آل عمران ، ١٨٥ .

(٤) سورة الأنبياء ، ٣٥ .

(٥) سورة يونس ، ٢٤ .

«وفي الآية المباركة لطف وخفاء.. فالله يقول إن الساعة تأتي ليلاً، أو نهاراً، وليس في الإمكان تفسير ذلك، إلا أن تكون الأرض كروية، دوارة، نصفها غارق في الليل، ونصفها سابح في النهار.

فإذا جاءت الساعة، وهي تأتي في لحظة: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ بَصِيرًا وَهُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

وهكذا، يكون نصف سكان الأرض في الليل.. بينما يكون النصف الآخر في النهار، عندما تقع القيامة، فتهلك الحرث والنسل!«^(٢).

أما متى تقوم الساعة بالتحديد؟!

فلا أحد يعلم ذلك إلا الله عز وجل، يقول تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٣) ويقول تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾^(٤).

وسئل رسول الله (ص): متى الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»^(٥). ولكنه (ص) أخبر عن أشراتها، فقد روي عنه (ص) أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يعز الله فيه ثلاثاً: درهماً من حلال، وعلماً مستفاداً، وأخاً في الله عز وجل»^(٦). وسئل (ص) عن أول أشراف الساعة؟ فقال: «نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب»^(٧). وقال (ص) أيضاً: «أيها الناس..

(١) سورة النحل، ٧٧.

(٢) الإيديولوجية الإسلامية، ص ٤٣٣.

(٣) سورة الزخرف، ٨٥.

(٤) سورة الأحزاب، ٦٣.

(٥) ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٨١، رقم الحديث ١٤١٥٩.

(٦) ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٨١، رقم الحديث ١٤١٦٠.

(٧) ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٨١، رقم الحديث ١٤١٦١.

إن بين يدي الساعة أموراً شداداً، وأهوالاً عظيماً، وزماناً صعباً، يتملك فيه الظلمة، ويتصدر فيه الفسقة، ويضام فيه الآمرون بالمعروف، ويضطهد فيه الناهون عن المنكر، فأعدوا لذلك الإيمان، وعضوا عليه بالنواجذ، والجاؤا إلى العمل الصالح، وأكروهوا عليه النفوس»^(١).

وقال (ص): «إذا تقارب الزمان انتقى الموت خيار أمّتي كما ينتقي أحدكم خيار الرطب من الطبق»^(٢). وروي عنه (ص) قوله: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها»^(٣). وروي عنه أيضاً: «من أشرط الساعة كثرة القراء، وقلة الفقهاء، وكثرة المطر، وقلة النبات»^(٤).

صور مفرعة١:

كيف ستفنى الدنيا وتقوم الساعة؟!

يرسم لنا القرآن الحكيم والسنة الشريفة ملامح ذلك اليوم الرهيب.. وإليك بعض صور ومشاهد من ذلك اليوم الفاصل:

١. نفخة الصعق:

قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(٥) ظاهر ماورد في كلامه تعالى في معنى نفخ الصور أن النفخة نفختان: نفخة للإماتة، ونفخة للإحياء، وهو الذي تدل عليه روايات أئمة أهل البيت^(٦).

(١) ميزان الحكمة، ج٧، ص٨٢، رقم الحديث ١٤١٦٩.

(٢) ميزان الحكمة، ج٧، ص٨١، رقم الحديث ١٤١٦٥.

(٣) ميزان الحكمة، ج٧، ص٨٢، رقم الحديث ١٤١٦٧.

(٤) ميزان الحكمة، ج٧، ص٨٢، رقم الحديث ١٤١٦٨.

(٥) سورة الزمر، ٦٨.

ولعل انحصار النفخ في نفختي الإمامة والإحياء هو الموجب لتفسيرهم الصعق في النفخة الأولى بالموت مع أن المعروف من معنى الصعق الغشية، قال في الصحاح: قال: صعق الرجل صعقاً وتضاعف أي غشي عليه وأصعقه غيره، ثم قال: قوله تعالى: ﴿فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي مات.

وقوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ يعني: ونفخ في الصور نفخة أخرى فإذا هم قائمون من قبورهم ينتظرون ما يؤمرون أو ينتظرون ماذا يفعل بهم أو فإذا هم قائمون ينتظرون نظر المبهوتين والمتحير^(١).

وقال الإمام علي^(ع): «ونفخ في الصور، فتزهق كل مهجة، وتبكم كل لهجة، وتذل الشُّمُّ الشوامخ، والصُّمُّ الرواسخ، فيصير صلداً سراًباً رقرقاً، ومعهدها قاعاً سملقاً»^(٢).

وسئل الإمام علي بن الحسين^(ع): كم بين النفختين؟ قال: ما شاء الله.

ف قيل له: يا بن رسول الله أخبرنا كيف ينفخ فيه؟

فقال^(ع): أما النفخة الأولى فإن الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه صور، وللصور رأس واحد وطرفان، وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض. قال: فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا: قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء، قال: فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة، فإذا رأوا أهل الأرض قالوا: أذن الله في موت أهل الأرض. قال: فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٧، ص ٢٩٣.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٨٣، رقم الحديث ١٤١٧٣.

الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلا صعق ومات، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي السماوات فلا يبقى في السماوات ذو روح إلا صعق ومات إلا إسرافيل، قال: فيقول الله لإسرافيل: يا إسرافيل مت: فيموت إسرافيل، فيمكثون في ذلك ما شاء الله»^(١).

وهكذا يموت كل ذي روح، ويفنى كل شيء، في النفخة الأولى وهي نفخة الصعق، ثم تأتي النفخة الثانية وهي نفخة الإحياء والبعث والقيام حيث يساق الخلائق كلهم إلى المحشر.

٢. زلزلة الأرض:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^(٢) الزلزلة والزلال شدة الحركة على الحال الهائلة وكأنه مأخوذ بالاشتقاق الكبير من زل بمعنى زلق فكرر للمبالغة والإشارة إلى تكرار الزلزلة، وهو شائع في نظائره مثل ذب وذذب، ودم ودمدم، وكب وككب، ودك ودكدك، ورف ورفرف وغيرها.

والخطاب - في الآية - يشمل الناس جميعاً من مؤمن وكافر وذكر وأنثى وحاضر وغائب وموجود بالفعل ومن سيوجد منهم.

وهو أمر الناس أن يتقوا ربهم فيتقيه الكافر بالإيمان والمؤمن بالتجنب عن مخالفة أوامره ونواهيه في الفروع، وقد علل الأمر بعظيم زلزلة الساعة، فهو دعوة من طريق الإنذار.

(١) البحار، ج ٦، ص ٣٢٤، رقم الحديث ٢.

(٢) سورة الحج، ١ - ٢.

وإضافة الزلزلة إلى الساعة لكونها من أشراتها وإماراتها، وقيل:
المراد بزلزلة الساعة شدتها وهولها، ولا يخلو من بعد من جهة اللفظ.

وظاهر الآية أن هذه الزلزلة قبل النفخة الأولى، وذلك لأن الآية
تفرض الناس في حال عادية تفاجؤهم فيها زلزلة الساعة فتقلب حالهم
من مشاهدتها إلى ما وصف، وهذا قبل النفخة التي تموت بها لأحياء
قطعا^(١).

وقال «سيد قطب» في تفسيره لنفس الآية الكريمة:

«مطلع عنيف رعب، ومشهد ترتجف لهوله القلوب، يبدأ بالنداء
الشامل للناس جميعاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يدعوهم إلى الخوف من الله:
﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ ويخوفهم ذلك اليوم العصيب ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ
عَظِيمٌ﴾».

وهكذا يبدأ بالتهويل المجمل، وبالتجهيل الذي يلقي ظل الهول
يقصر عن تعريفه التعبير، فيقال: إنه زلزلة، وإن الزلزلة ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾
من غير تحديد ولا تعريف.

ثم يأخذ في التفصيل.. فإذا هو أشد رهبة من التهويل.. إذا هو
مشهد حافل بكل مرضعة ذاهلة عما أرضعت: تنظر ولا ترى، وتتحرك
ولا تعي، وبكل حامل تسقط حملها للهول المروع ينتابها، وبالناس
سكارى وما هم سكارى، يتبدى السكر في نظراتهم الذاهلة، وفي
خطواتهم المترنحة.. مشهد مزدحم بذلك الحشد المتماوج، تكاد العين
تبصره لحظة التلاوة، بينما الخيال يتملاه، والهول الشاخص يذهله، فلا
يكاد يبلغ أقصاه، وهو هول حي لا يقاس بالحجم والضخامة، ولكن

(١) انظر الميزان في تفسير القرآن، ج١٤، ص٣٣٨.

يقاس بوقعه في النفوس الآدمية، في المرضعات الذاهلات عما أرضعن -وما تذهل المرضعة عن طفلها وفي فمه ثديها إلا للهلول الذي لا يدع بقية من وعي- والحوامل الملقيات حملهن، وبالناس سكارى وما هم بسكارى: ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ إنه مطلع عنيف مرهوب تنزل له القلوب..!!^(١).

وعن عمران بن حصين قال: لما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ أنزلت عليه -أي الرسول الأعظم (ص)- هذه وهو في سفر. فقال: أتدرون أي يوم ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذلك يوم يقول الله لآدم: ابعث بعث النار. قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة.

فأنشأ المسلمون ييكون.. فقال رسول الله (ص) قاربوا وسددوا فإنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية فتؤخذ العدة من الجاهلية فإن تمت وإلا أكملت من المنافقين، وما مثلكم إلا كمثل الرقعة في ذراع الدابة.

ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبروا. ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا. ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا. قال: فلا أدري قال: الثلثين أم لا؟؟^(٢).

وقال الإمام علي^(ع): «احذروا يوماً تفحص فيه الأعمال، ويكثر فيه الزلزال، وتشيب فيه الأطفال»^(٣).

(١) في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢٤٠٨.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ٣٤٠.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٨٥، رقم الحديث ١٤١٧٤.

٣. دك الأرض:

قال الله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾^(١).

جاء في التفسير.. الدك أشد الدق وهو كسر الشيء وتبديله إلى أجزاء صغار، وحمل الأرض والجبال إحاطة القدرة بها، وتوصيف الدكة بالواحدة للإشارة إلى سرعة تفتتها بحيث لا يفتقر إلى دكة ثانية أما قوله ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي قامت القيامة^(٢).

إن مشهد حمل الأرض والجبال ونفضها ودكها دكة واحدة تسوي عاليها بسافلها.. مشهد مروع حقاً.. هذه الأرض التي يجوس الإنسان خلالها آمناً مطمئناً، وهي تحته مستقرة مطمئنة، وهذه الجبال الراسية الوطيدة الراسخة التي تهول الإنسان بروعتها واستقرارها.. هذه مع هذه تحمل فتدك كالكرة في يد الوليد.. إنه مشهد يشعر معه الإنسان بضآلته وضآلة عالمه إلى جانب هذه القدرة القادرة، في ذلك اليوم العظيم.

فإذا وقع هذا ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾.. فهو حينئذ الأمر الذي نتحدث عنه السورة: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾.. والواقعة اسم من أسمائها كالحاقة والقارعة.. فهي الواقعة لأنها لا بد واقعة.. كأن طبيعتها وحقيقتها الدائمة أن تكون واقعة! وهو اسم ذو إحياء معين وهو إحياء مقصود في صدد الارتباب فيها والتكذيب!^(٣)

(١) سورة الحاقة، ١٤ - ١٥.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٩، ص ٣٩٧.

(٣) في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٦٧٩.

وقال تعالى في سورة الفجر كذلك عن دك الأرض: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ
الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾^(١).

وقال الإمام علي^(ع): «فدكت الأرض دكاً دكاً، ومدت لأمر يراد بها مداً
مداً، واشتد المبادرون إلى الله شداً شداً، وتراحفت الخلائق إلى المحشر زحفاً
زحفاً»^(٢).

وعن مدّ الأرض قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾^(٣) أي بسطت
باندكاك جبالها وآكامها حتى تصير كالصحيفة الملساء. وقيل: إنها تمد مد
الأديم وتزاد في سعتها. وقيل: سويت فلا بناء ولا جبل إلا دخل فيها.
وعن النبي (ص) قال: «تمد الأرض في يوم القيامة مدّ الأديم ثم لا يكون
لابن آدم منها إلا موضع قدميه»^(٤).

٤. - نسف الجبال:

ويشير القرآن الكريم إلى نسف الجبال، هذه الجبال الراسية،
القوية، المرتفعة.. تتهاوى أمام قدرة الله القادر على كل شيء، فتتحول
إلى ما يشبه الرمال!.. إنه منظر رهيب ومخيف ومفزع!

ولنقرأ ما جاء في القرآن حول نسف الجبال، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا
الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾^(٥) وقال تعالى: ﴿وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾^(٦) وقال

(١) سورة الفجر، ٢١.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٨٦، رقم الحديث ١٤١٧٥.

(٣) سورة الانشقاق، ٣.

(٤) ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٨٧، رقم الحديث ١٤١٧٩.

(٥) سورة المرسلات، ١٠.

(٦) سورة النبأ، ٢٠.

تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا﴾^(٣) وقال عز من قائل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾^(٤).

جاء في تفسير الآية الأخيرة: قوله تعالى: ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ أي يذروها ويسيرها فلا يبقى منها في مستقرها شيء، وقوله: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ القاع الأرض المستوية، والصفصف الأرض المستوية الملساء، والمعنى فيتركها أرضاً مستوية ملساء لا شيء عليها، وكأن الضمير للأرض باعتبار أنها كانت جبلاً، وقوله: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ قيل: العوج ما انخفض من الأرض، والأمت ما ارتفع منها، والمعنى لا يرى راءٍ فيها منخفضاً كالأودية، ولا مرتفعاً كالروابي والتلال^(٥).

وروي أن رجلاً من ثقيف سأل النبي (ص): كيف تكون الجبال يوم القيامة مع عظمها؟ فقال (ص): «إن الله يسوقها بأن يجعلها كالرمال ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها»^(٦).

(١) سورة القارة، ٥.

(٢) سورة الطور، ١٠.

(٣) سورة المزمل، ١٤.

(٤) سورة طه، ١٠٥ - ١٠٧.

(٥) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ٢١٠.

(٦) ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٨٧، رقم الحديث ١٤١٧٨.

هـ . انفجار البحار:

وعن انفجار البحار يقول تعالى: ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ فُجِّرَتْ﴾^(١) أي فتح بعضها في بعض ، عذبها في ملحها وملحها في عذبها ، فصارت بحراً واحداً ، وقيل : معناه ذهب ماؤها^(٢) .

وفي تفسير روح المعاني نقراً ما نصه:

«فتحت وشققت جوانبها فزال ما بينها من البرزخ واختلف العذب بالأجاج وصارت بحراً واحداً. وروي أن الأرض تنشف بالماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية ، أي في أن لا ماء ، وأريد أن البحار تصير واحدة أولاً ثم تنشف الأرض جميعاً فتصير بلا ماء»^(٣) .

وتفجير البحار يحتمل أن يكون هو امتلاؤها وغمرها لليابسة وطغيانها على الأنهار ، كما يحتمل أن يكون هو تفجير مائها إلى عنصريه: الأكسوجين والهيدروجين ، فتتحول مياهها إلى هذين الغازين كما كانت قبل أن يأذن الله بتجمعهما وتكوين البحار منها.. كذلك يحتمل أن يكون هو تفجير ذرات هذين الغازين - كما يقع في تفجير القنابل الذرية والهيدروجينية اليوم- فيكون هذا التفجير من الضخامة والهول بحيث تعتبر هذه القنابل الحاضرة المروعة لعب أطفال ساذجة!!.. أو أن يكون بهيئة أخرى غير ما يعرف البشر.

وعلى كل حال.. إنما هو الهول الذي لم تعهده أعصاب البشر في

(١) سورة الانفطار، ٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ٦٨١.

(٣) انظر ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٨٨.

حال من الأحوال^(١).

وفي سورة التكوير يقول تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾^(٢) وفسر التسجير بإضرام النار، وفسر بالملء، والمعنى على الأول: وإذا البحار أضرمت ناراً!، وعلى الثاني: وإذا البحار ملئت.

وقال بعض المفسرين: أي أرسل عذبتها على مالحتها ومالحها على عذبتها حتى امتلأت، وقيل: إن المعنى فجر بعضها في بعض فصارت البحور كلها مجراً واحداً ويرتفع البرزخ. وقيل: يبست وذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة.

٦. انكدار النجوم:

ومن مظاهر فناء الدنيا وقيام الساعة انكدار النجوم، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾^(٣) انكدار الطائر من الهواء انقضاضه نحو الأرض، وعليه فالمراد سقوط النجوم كما يفيد قوله: ﴿وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْشَرَّتْ﴾^(٤) أي تساقطت وتهافتت، وقال ابن عباس: سقطت سوداً لا ضوء لها.

ويقول «سيد قطب» في ظلاله حول تفسير الآية ﴿وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْشَرَّتْ﴾: ويشارك في تكوين هذا المشهد (مشهد الانقلاب الكوني) ما يذكر عن انتشار الكواكب، بعد تماسكها هذا الذي تجري معه في أفلاكها بسرعات هائلة مرعبة، وهي ممسكة في داخل مداراتها لا تتعدها، ولا

(١) في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٨٤٦.

(٢) سورة التكوير، ٦.

(٣) سورة التكوير، ٢.

(٤) سورة الانفطار، ٢.

تهيم على وجهها في هذا الفضاء الذي لا يعلم أحد له نهاية، ولو انتشرت - كما سيقع لها يوم ينتهي أجلها - وأفلتت من ذلك الرباط الوثيق - غير المنظور - الذي يشدها ويحفظها، لذهبت في الفضاء بدداً، كما تذهب الذرة التي تنفلت من عقابها! ^(١).

٧ . انشقاق السماء :

ومن مظاهر الانقلاب الكوني انفطار السماء يقول تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ ^(٢) أي انشقت.. وقد ذكر القرآن انشقاق السماء في مواضع أخرى: قال تعالى في سورة الرحمن: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ ^(٣) وقال تعالى: ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ ^(٤) وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ^(٥) وتدل هذه الآيات الشريفة على أن انشقاق السماء حقيقة ثابتة من حقائق ذلك اليوم الفاصل..

ولتحديد معنى الانشقاق.. نقرأ في التفاسير لمعرفة تفسير الآيات الشريفة التي تحدثت عن انشقاق السماء، فقد جاء في تفسير مجمع البيان في قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ أي تصدعت وانفجرت وانشقاقها من علامات القيامة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ أي انفجرت بعضها من بعض ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ أي شديدة الضعف بانتفاض بنيتها. وقيل: هو أن السماء تنشق بعد صلابتها فتصير بمنزلة الصوف في الوهن

(١) في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٨٤٦.

(٢) سورة الانفطار، ١.

(٣) سورة الرحمن، ٣٧.

(٤) سورة الحاقة، ١٦.

(٥) سورة الانشقاق، ١.

والضعف.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ يعني يوم القيامة إذا تصدعت السماء وانفك بعضها من بعض ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أي فصارت حمراء كلون الفرس الورد وهو الأبيض الذي يضرب إلى الحمرة أو الصفرة فيكون في الشتاء أحمر وفي الربيع أصفر وفي اشتداد البرد أعنبر - سبحان خالقها والمصرف لها كيف يشاء - والوردة واحدة الورد، فشبه السماء يوم القيامة في اختلاف ألوانها بذلك. وقيل: أراد به وردة النبات وهي حمراء، وقد تختلف ألوانها، ولكن الأغلب في ألوانها الحمرة فتصير السماء كالوردة في الاحمرار ثم تجري ﴿كَالدَّهَانِ﴾ وهو جمع الدهن عند انقضاء الأمر وتناهي المدة. وقيل: الدهان الأديم الأحمر وجمعه أدهنة. وقيل: هو عكر الزيت يتلون ألواناً.

وفي تفسير الميزان في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾^(١) المهل المذاب من المعادن كالنحاس والذهب وغيرهما، وقيل: دردي الزيت، وقيل: عكر القطران^(٢). وفي تفسير القمي في تفسير نفس الآية قال: الرصاص الذائب والنحاس كذلك تذوب السماء.

٨ . نفخة القيام:

لقد أشرنا فيما مضى إلى وجود نفختين وهما: نفخة الصعق والإماتة، حيث أنها تمت كل ذي روح، والنفخة الثانية: هي نفخة القيام والإحياء، حيث يخرج الموتى من قبورهم مسرعين نحو المحشر. وقد تحدثنا في الصفحات السابقة عن النفخة الأولى، والآن

(١) سورة المعارج، ٨.

(٢) أي رديئه وخبيثه.

سنشير إلى النفخة الثانية.. وباختصار شديد.

لقد تحدث القرآن الكريم في غير موضع عن نفخة القيام والإحياء.. يقول الله تعالى: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾^(١) هذه نقلة ثانية إلى عالم الخلود بنفخ الصور بعد النقلة الأولى، والمراد بنفخ الصور النفخة الثانية المقيمة للساعة أو مجموع النفختين بإرادة مطلق النفخ.

والمراد بيوم الوعيد يوم القيامة الذي ينجز الله تعالى فيه وعيده على المجرمين من عبادته^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾^(٣) هذه هي نفخة الصور الثانية التي بها الإحياء والبعث، والأجداث جمع جدث وهو القبر، والنسل: الإسراع في المشي فالمراد بالآية الشريفة: أن الموتى - عندما تقع النفخة الثانية - يخرجون من قبورهم مسرعين إلى ربهم.

ثم يقول عز من قائل: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤) وقد روي عن أبي جعفر^(ع) في قوله تعالى: ﴿يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ فإن القوم كانوا في القبور فلما قاموا حسبوا أنهم كانوا نياماً وقالوا: ﴿يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ قالت الملائكة: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ

(١) سورة ق، ٢٠.

(٢) انظر الميزان في تفسير القرآن، ج ١٨، ص ٣٤٩.

(٣) سورة يس، ٥١.

(٤) سورة يس، ٥٢ - ٥٤.

الرَّحْمَنَ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿١﴾.

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله ^(٢) قال: «كان أبو ذر (رحمه الله) يقول في خطبته: وما بين الموت والبعث إلا كنومة نمتها ثم استيقظت منها» ^(٣).

وعن النفخة الثانية كذلك يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ نَفْخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ^(٤) وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ ^(٥).

قال «الشيخ الطبرسي» في مجمع البيان في تفسير هذه الآيات الشريفة:

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ﴾ والصيحة: المرة الواحدة من الصوت الشديد، وهذه الصيحة هي النفخة الثانية، وقوله ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي بالبعث. وقيل: يعني أنها كائنة حقاً. ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ من القبور إلى أرض الموقف. وقيل: هو اسم من أسماء القيامة.

وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ أخبر سبحانه عن نفسه أنه هو الذي يحيي الخلق بعد أن كانوا جماداً أمواتاً، ثم يميتهم بعد أن كانوا أحياء، ثم يحييهم يوم القيامة وهو قوله: ﴿وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ﴾ أي تتشقق ﴿الْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ تتصدع فيخرجون منها ﴿سِرَاعًا﴾ يسرعون إلى الداعي بلا تأخير ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أي سهل علينا

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٧، ص ١٠٤.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٧، ص ١٠٤.

(٣) سورة الزمر، ٦٨.

(٤) سورة ق، ٤٢ - ٤٤.

غير شاقٍ، هين غير متعذر مع تباعد ديارهم وقبورهم.

أما الأخبار الواردة في النفخة الثانية (نفخة القيام والإحياء) فهي كثيرة.. منها: أنه لما عاد رسول الله (ص) من تبوك إلى المدينة قدم إليه عمرو بن معدي كرب فقال له النبي (ص):

«أسلم يا عمرو يؤمنك الله من الفرع الأكبر»

قال: يا محمد وما الفرع الأكبر؟ فأني لا أفزع!!

فقال: «يا عمرو إنه ليس كما تظن وتحسب!.. إن الناس يُصاح بهم صيحة واحدة فلا يبقى ميت إلا نشر، ولا حي إلا مات إلا ما شاء الله».

«ثم يُصاح بهم صيحة أخرى، فينشر من مات، ويصفون جميعاً، وتنشق السماء، وتهد الأرض، وتخر الجبال هدّاً.. فأين أنت يا عمرو من هذا؟!».

قال: ألا إني أسمع أمراً عظيماً، فأمن بالله ورسوله، وآمن معه من قومه ناس ورجعوا إلى قومهم»^(١).

وقال الإمام علي^(ع): «حتى إذا تصرمت الأمور، وتقضت الدهور، وأزف النشور، أخرجهم من ضرائح القبور..»^(٢).

ويقول الإمام علي بن الحسين^(ع) عن النفخة الثانية: «.. ثم يأمر الله السماوات فتمور، ويأمر الجبال فتسير، وهو قوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿يعني تبسط، و ﴿تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ يعني بأرض لم يكتسب عليها الذنوب، بارزة ليس عليها الجبال ولا نبات، كما دحاها أول مرة، ويعيد عرشه على الماء كما كان أول مرة، مستقلاً بعظمته وقدرته، قال:

(١) ميزان الحكمة، ج٧، ص٩٣، رقم الحديث ١٤١٨٠.

(٢) ميزان الحكمة، ج٧، ص٩٦، رقم الحديث ١٤١٨٥.

فعند ذلك ينادي الجبار جلّ جلاله بصوت جهوري يسمع أقطار السماوات والأرضين: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ فلا يجيبه مجيب، فعند ذلك ينادي الجبار جلّ جلاله مجيباً لنفسه: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ وأنا قهرت الخلائق كلهم وأمتهم، إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي، لا شريك لي ولا وزير، وأنا خلقت خلقي بيدي، وأنا أمتهم بمشييتي، وأنا أحييهم بقدرتي.

قال: فينفخ الجبار نفخة في الصور يخرج الصوت من أحد الطرفين الذي يلي السماوات، فلا يبقى في السماوات أحد إلا حي وقام كما كان، ويعود حملة العرش، ويحضر الجنة والنار، ويحشر الخلائق للحساب.

قال الراوي: فرأيت علي بن الحسين^(ع) يبكي عند ذلك بكاءً شديداً^(١).

وبهذا نستنتج أن النفخة الثانية - بما تعنيه من خروج الموتى من قبورهم إلى المحشر - هي عبارة عن البداية ليوم القيامة حيث الحساب والجزاء وتقرير المصير لكل إنسان.

وهكذا نكون قد استعرضنا أهم الصور والمشاهد المفزعة والمرعبة لفناء الدنيا وقيام القيامة.

والآن.. لنبدأ برسم وتسجيل صور ومشاهد يوم القيامة.

المشاهد الرئيسية:

تمثل مشاهد ومواقف يوم القيامة أخطر المنعطقات في حياة الإنسان الأخروية، حيث أن كل واحد منا سيمر بعدة مواقف حاسمة، ليحاسب عن أعماله في الدنيا، وليجزى حسب عمله.. فإن عمل صالحاً دخل

(١) البحار، ج ٦، ص ٣٢٤، رقم الحديث ٢.

الجنة، وإن كان في الدنيا كافراً وعاصياً فمصيره إلى النار.

والآن.. تعالَ معي لنرى معاً مشاهد ومواقف يوم القيامة الحاسمة، لنعد
العدة الكاملة كي ننجح في الامتحان الكبير والنهائي.

وإليك أهم مشاهد ومواقف يوم القيامة:

المشهد الأول: المحشر:

بعد أن يخرج الناس من قبورهم على أثر النفخة الثانية يحشرون
في المحشر، يقول الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَاهُمْ يَوْمَ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّتَ
كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا
رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ
مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
يَكْفُرُونَ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾^(٤) هذه
الآيات وغيرها تدل على حشر الخلائق جميعاً في موقف واحد.. إنه المحشر.

وتتحدث الأخبار الواردة عن أهل البيت (سلام الله عليهم)
بتفصيل عن المحشر وكيفيته وصفته.. وإليك شطراً منها:

١ - عن جابر عن أبي جعفر^(ع) قال: «كان فيما وعظ به لقمان^(ع) ابنه
أن قال: يا بني إن تك في شك من الموت فارفع عن نفسك النوم ولن تستطيع

(١) سورة آل عمران، ٢٥.

(٢) سورة الأنعام، ١٢.

(٣) سورة يونس، ٤.

(٤) سورة الحجر، ٢٥.

ذلك، وإن كنت في شك من البعث فارفع عن نفسك الانتباه ولن تستطيع ذلك، فإنك إذا فكرت في هذا علمت أن نفسك بيد غيرك، وإنما النوم بمنزلة الموت، وإنما اليقظة بعد النوم بمنزلة البعث بعد الموت»^(١).

٢ - وعن أبي جعفر^(ع) قال: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد فهم حفاة عراة فيوقفون في الحشر حتى يعرقوا عرقاً شديداً فتشتد أنفاسهم فيمكثون في ذلك مقدار خمسين عاماً، وهو قول الله: ﴿وَحْشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾...»^(٢).

٣ - وروى هشام بن الحكم أنه سأل الزنديق أبا عبد الله^(ع) فقال: أخبرني عن الناس يحشرون يوم القيامة عراة؟! قال: «بل يحشرون في أكفانهم» قال: أنى لهم بالأكفان وقد بليت؟! قال: «إن الذي أحيا أبدانهم جدّد أكفانهم» قال: من مات بلا كفن؟ قال: «يستر الله عورته بما شاء من عنده» قال: فيعرضون صفوفاً؟ قال: «نعم.. هم يومئذ عشرون ومائة صف في عرض الأرض»^(٣).

٤ - وروي أن فاطمة^(ع) قالت لأبيها: يا أبت.. أخبرني كيف يكون الناس يوم القيامة؟

قال (ص): يا فاطمة يشغلون فلا ينظر أحد إلى أحد، ولا والد إلى ولد، ولا ولد إلى أمه.

قالت^(ع): هل يكون عليهم أكفان إذا خرجوا من القبور؟

قال: يا فاطمة تبلى الأكفان وتبقى الأبدان، تستر عورة المؤمن وتبدي

(١) البحار، ج٧، ص٤٢، رقم الحديث ١٣.

(٢) البحار، ج٧، ص١٠١، رقم الحديث ٩.

(٣) البحار، ج٧، ص١٠٩، رقم الحديث ٣٥.

عورة الكافرين.

قالت: يا أبت ما يستر المؤمنين؟

قال: نور يتلألأ لا يبصرون أجسادهم من النور»^(١).

والملاحظ اختلاف الأحاديث حول: هل الناس سيحشرون عراة يوم القيامة أم لا؟!

بعض الأحاديث أشارت إلى أن الناس سيحشرون عراة كما في الحديث المروي عن أبي جعفر^(ع) (الحديث رقم ٢) وفي (الحديث رقم ٣) المروي عن أبي عبد الله^(ع) أشار إلى أن الناس يوم القيامة سيحشرون بأكفانهم، وسيستر الله عز وجل عورة من يشاء - ممن مات ودفن بدون كف - كيفما يشاء، وفي (الحديث رقم ٤) فرق النبي محمد (ص) بين المؤمن والكافر، حيث ستستر عورة المؤمن، وتبدي عورة الكافر.

وهنا قد يحتمل وجوه:

الوجه الأول: أن الأحاديث التي أطلقت لفظة «عراة» قد يراد بها المعنى المجازي، وهو التجرد من كل شيء.. فالإنسان يحشر يوم القيامة عارٍ من المال والجاه والمنصب والقوة.. الخ.

وإذا رجعنا إلى المعاجم اللغوية نجد أن معنى: العورة وجمعها عورات وعورات: كل مكن للستر، كل أمر يستحي منه.. فالمذنب يستحي يوم القيامة من ذنوبه وأعماله القبيحة.. فيحشر يوم القيامة وهو عارٍ من الفضائل والأعمال الصالحة، ومنغمس في الرذائل والذنوب والمعاصي.

(١) البحار، ج ٧، ص ١١٠، رقم الحديث ٤١.

والوجه الثاني: أن نقيّد الروايات المطلقة بالروايات المقيدة، فنحمل «العراة» بالمعنى المطلق على الكافرين فقط، بينما المؤمنين يحشرون يوم القيامة بأكفانهم.

والوجه الثالث: أن الله عزّ وجلّ يحشر الناس يوم القيامة عراة، ولكن بدون أن يتمكن أحد من النظر إلى عورة أحد.

وعلى كل حال.. فإن الأقرب إلى المنطق العقلي، وكذلك المفهوم من الروايات المختلفة: أن الله عزّ وجلّ -والذي يحث على الستر في الدنيا- سيحشر الناس في الحشر وهم مستورون سواء بالكفن كما ورد عن أبي عبد الله^(ع)، أو بنور يمنع الرؤية كما ورد عن النبي (ص)، أو بما شاء من الستر كما ورد أيضاً عن أبي عبد الله^(ع).

وأما ما ورد من لفظة «عراة» في بعض الأحاديث فتحمل على المعنى المجازي - كما أوضحنا - والله العالم.

٥ - وعن أبي سعيد أنه لما حضر الموت، دعا بثياب جدد فلبسها ثم قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: «الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها»^(١).

٦ - وقال الإمام علي^(ع): «إن بعد البعث ما هو أشد من القبر، يوم يشيب فيه الصغير، ويسكر فيه الكبير، ويسقط فيه الجنين.. إن فرع ذلك اليوم ليرهب الملائكة الذين لا ذنب لهم، فكيف من عصى بالسمع والبصر واللسان واليد والرجل والفرج والبطن إن لم يغفر الله له ويرحمه من ذلك اليوم؟!»^(٢).

٧ - عن علي^(ع) أنه سأل رسول الله (ص) عن هذه الآية: ﴿يَوْمَ

(١) ميزان الحكمة، ج٧، ص١٠٠، رقم الحديث ١٤١٩٠.

(٢) ميزان الحكمة، ج٧، ص١٠٢، رقم الحديث ١٤١٩٦.

نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا ﴿١﴾ قال: قلت يا رسول الله ما الوفد إلا ركب؟

قال النبي (ص): «والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب، شرك نعالهم نور يتلأل كل خطوة منها مثل مد البصر»^(١).

٨ - وعن الإمام الباقر^(ع) قال: في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: فمن كان له نور يوم القيامة نجا، وكل مؤمن له نور»^(٢).

٩ - وقال الإمام الصادق^(ع): «من آثر الدنيا على الآخرة حشره الله يوم القيامة أعمى»^(٣).

١٠ - وعنه^(ع) أيضاً قال: «ألا فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإن في القيامة خمسين موقفاً، كل موقف مثل ألف سنة مما تعدون، ثم تلا هذه الآية: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾»^(٤).

١١ - روى أبو سعيد الخدري قال: قيل: يا رسول الله ما أطول هذا اليوم؟ فقال: «والذي نفس محمد بيده إنه ليخفف على المؤمن، حتى أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدنيا»^(٥).

(١) ميزان الحكمة، ج ٧، ص ١٠٣، رقم الحديث ١٤٢٠٣.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٧، ص ١٠٣، رقم الحديث ١٤٢٠١.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٧، ص ١٠٦، رقم الحديث ١٤٢١١.

(٤) ميزان الحكمة، ج ٧، ص ١١٧، رقم الحديث ١٤٢٤٠.

(٥) ميزان الحكمة، ج ٧، ص ١١٧، رقم الحديث ١٤٢٤١.

١٢ - وقال رسول الله (ص): «الظالم لنفسه يحبس في يوم كان مقداره خمسين سنة، حتى يدخل الحزن في جوفه، ثم يرحمه فيدخل الجنة، فقال رسول الله (ص): الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، الذي أدخل أجوافهم الحزن في طول المحشر»^(١).

١٣ - وعنه (ص) أيضاً قال: «أربعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: عاق، ومثان، ومكذب بالقدر، ومدمن خمر»^(٢).

نستنتج من هذه الأخبار وغيرها أن المحشر يمثل أول موقف من مواقف القيامة، حيث تجمع كل الخلائق في صعيد واحد ليبدأ بعد ذلك الحساب والجزاء.

وأوضحت الروايات كذلك أن أحوال المتقين في يوم القيامة سيكون مختلفاً تماماً عن أحوال المجرمين فيه، فبينما سيكون يوم القيامة سهلاً ويسيراً على المؤمنين الموحدين، وحسب درجات الإيمان أيضاً، سيكون عسيراً وشتاقاً وصعباً وخيفاً للمجرمين والفساقين والكافرين^(٣) ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذُلٌّ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ

(١) ميزان الحكمة، ج ٧، ص ١١٧، رقم الحديث ١٤٢٤٤.

(٢) البحار، ج ٧، ص ٢٢٣، رقم الحديث ١٣٩.

(٣) قال العلامة المجلسي: لا يبعد أن يكون مكث أكثر الكفار في القيامة ألف سنة، فيكون اليوم بالنظر إليهم كذلك، ويكون مكث جماعة من الكفار خمسين ألف سنة، فهو منتهى زمان هذا اليوم، ويكون مكث بعض المؤمنين ساعة، فهو كذلك بالنسبة إليهم، وهكذا بحسب اختلاف أحوال الأبرار والفساق، ويحتل أيضاً كون ألف سنة زمان مكثهم في بعض مواقف القيامة كالحساب مثلاً... انظر البحار، ج ٧، ص ١٢٨.

مُظْلِمًا وَلَيْكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾.

المشهد الثاني: نصب الموازين:

ذكر الله عز وجل الميزان في مواضع عديدة من القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ (٢) ويقول تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٣) ويقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (٤) ويقول تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (٥).

وقد ورد عن أهل البيت (ع) أخبار كثيرة عن الميزان في يوم القيامة.. وإليك بعضاً منها:

١ - قال رسول الله (ص): «حجي وحب أهل بيتي نافع في سبعة مواطن أهوالهن عظيمة: عند الوفاة، وفي القبر، وعند النشور، وعند الكتاب، وعند الحساب، وعند الميزان، وعند الصراط» (٦).

(١) سورة يونس، ٢٦ - ٢٧.

(٢) سور الأعراف، ٨ - ٩.

(٣) سورة الأنبياء، ٤٧.

(٤) سورة القارعة، ٦ - ٩.

(٥) سورة المؤمنون، ١٠٢ - ١٠٣.

(٦) البحار، ج ٧، ص ٢٤٨، رقم الحديث ٢.

٢ - روى هشام بن الحكم أنه سأل الزنديق أبا عبد الله^(ع) فقال:
أوليس توزن الأعمال؟

قال: «لا، إن الأعمال ليست بأجسام، وإنما هي صفة ما عملوا، وإنما
يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء ولا يعرف ثقلها وخفتها، وإن الله لا
يخفى عليه شيء».

قال: فما معنى الميزان؟

قال: «العدل».

قال: فما معناه في كتابه: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾؟

قال: «فمن رجع عمله»^(١).

٣ - وعن علي بن الحسين^(ع) قال: قال رسول الله (ص): «ما
يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق»^(٢).

٤ - وعن أمير المؤمنين^(ع) في حديث من سأل عن الآيات التي زعم
أنها متناقضة.. قال^(ع): «وأما قوله تبارك وتعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ
لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ فهو ميزان العدل يؤخذ به الخلائق يوم
القيامة، يدين الله تبارك وتعالى الخلق بعضهم من بعض بالموازين، وفي غير هذا
الحديث: «الموازين هم الأنبياء والأوصياء»^(٣) وقوله تعالى عز وجل: ﴿فَلَا تُقِيمُ
لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ فإن ذلك خاصة، وأما قوله: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فإن رسول الله (ص) قال: قال الله عز وجل: لقد
حققت كرامتي -أو قال: مودتي- لمن يراقبني، ويتحجب بجلالي، إن وجوههم يوم
القيامة من نور، على منابر من نور، عليهم ثياب خضر؛ قيل: من هم يا رسول
الله؟ قال: قوم ليسوا بأنبياء ولا شهداء، ولكنهم تحابوا بجلال الله، ويدخلون الجنة

(١) البحار، ج ٧، ص ٢٤٨، رقم الحديث ٣.

(٢) البحار، ج ٧، ص ٢٤٩، رقم الحديث ٧.

بغير حساب، نسأل الله أن يجعلنا منهم برحمته، وأما قوله: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ و ﴿خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ فإنما يعني الحساب توزن الحسنات والسيئات، فالحسنات ثقل الميزان، والسيئات خفة الميزان»^(١).

٥ - وعن الصادق^(ع) قال: «إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد، ووضعت الموازين، فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فترجح مداد العلماء على دماء الشهداء»^(٢).

٦ - ومن وصايا النبي (ص) لابن مسعود: «يا بن مسعود احذر يوماً تنشر فيه الصحف، وتظهر فيه الفضائح فإن الله تعالى يقول: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾...»^(٣).

٧ - وعن رسول الله (ص) أنه قال: «يجاء بالعبد يوم القيامة فتوضع حسناته في كفة، وسيئاته في كفة فترجح السيئات، فتجيء بطاقة فتقع في كفة الحسنات فترجح بها، فيقول: يارب! ما هذه البطاقة؟ فما من عمل عملته في ليلي أو فمالي إلا وقد استقبلت به!

قال: هذا ما قيل [فيك] وأنت منه بريء فينجو بذلك»^(٤).

وعليه، فأصل الميزان مما لا شك فيه بعد أن أورده القرآن الحكيم، وثبت في الأخبار الكثيرة، ولذلك يجب الإيمان بالميزان في يوم القيامة.. قال الخواجة في التجريد: «وسائر السمعيات من الميزان والصراط والحساب وتطابير الكتب ممكنة دلّ السمع على ثبوتها فيجب التصديق بها» وقال

(١) البحار، ج٧، ص٢٥٠، رقم الحديث ٩.

(٢) البحار، ج٧، ص٢٢٦، رقم الحديث ١٤٤.

(٣) ميزان الحكمة، ج١٠، ص٤٤٣، رقم الحديث ٢١٣٧٥.

(٤) ميزان الحكمة، ج١٠، ص٤٤٤، رقم الحديث ٢١٣٨٠.

العلامة في شرحه: «أحوال القيامة من الميزان والصراط والحساب وتطابير الكتب أمور ممكنة وقد أخبر الله تعالى بوقوعها».

ولكن العلماء اختلفوا في معنى الميزان الوارد ذكره في القرآن والسنة، فهل المقصود بالميزان المعنى الحقيقي أم المجازي؟!

يقول الشيخ الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ ذكر فيه أقوال (أحدها) أن الوزن عبارة عن العدل في الآخرة وأنه لا ظلم فيها على أحد (وثانيها) أن الله ينصب ميزاناً له لسان وكفتان يوم القيامة فتوزن به أعمال العباد الحسنات والسيئات.. ثم اختلفوا في كيفية الوزن لأن الأعمال أعراض لا يجوز عليها الإعادة ولا يكون لها وزن ولا تقوم بأنفسها.. فقليل: توزن صحائف الأعمال.. وقيل: يظهر علامات للحسنات وعلامات للسيئات في الكفتين فيراها الناس.. وقيل: يظهر للحسنات صورة حسنة وللسيئات صورة سيئة.. وقيل: توزن نفس المؤمن والكافر. (وثالثها) أن المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العظم، ومقدار الكافر في الذلة كما قال سبحانه: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ فمن أتى بالعمل الصالح الذي يثقل وزنه - أي يعظم قدره - فقد أفلح، ومن أتى بالعمل السيئ الذي لا وزن له ولا قيمة فقد خسر.. وأحسن الأقوال القول الأول وبعده الثاني وإنما قلنا ذلك لأنه اشتهر من العرب قولهم كلام فلان موزون وأفعاله موزونة يريدون بذلك أنها واقعة بحسب الحاجة لا تكون ناقصة عنها ولا زائدة عليها زيادة مضرة أو داخلية في باب العبث.. وأما حسن القول الثاني فلمراعاة الخبر الوارد فيه والجري على ظاهره^(١).

(١) انظر مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٦١٦.

ومن الذين قالوا أن الميزان هو كناية عن العدل والقضاء الشيخ المفيد حيث يقول: «الموازين هي: التعديل بين الأعمال والجزاء عليها ووضع كل جزاء في موضعه، وإيصال كل ذي حق إلى حقه، فليس الأمر في معنى ذلك على ما ذهب إليه أهل الحشو: من أن في القيامة موازين كموازين الدنيا لكل ميزان كفتان توضع الأعمال فيها، إذ الأعمال أعراض، والأعراض لا يصح وزنها، وإنما توصف بالثقل والخفة على وجه المجاز، والمراد بذلك أن ما ثقل منها هو ما كثر واستحق عليه عظيم الثواب، وما خف منها ما قلّ قدره ولم يستحق عليه جزيل الثواب»^(١).

وذهب بعض العلماء إلى أن المقصود بالميزان المعنى الحقيقي له، وأن الله تعالى في القيامة ينصب ميزاناً له لسان وكفتان.. فتوزن به أعمال العباد الحسنات والسيئات.

يقول الشيخ البهائي: «الحق أن الموزون في الآخرة هو نفس الأعمال لا صحائفها» وقال العلامة المجلسي: «جميع الأحوال والأفعال في الدنيا تتجسم وتتمثل في النشأة الأخرى»^(٢).

والخلاصة: أن الميزان يحتمل المعنى المجازي، أي أنه كناية عن العدل الإلهي، وهو احتمال قوي جداً.. وقد أشار إليه الإمام الصادق^(ع) في جوابه لأسئلة الزنديق وغيرها من الروايات الدالة على أن لفظة «الميزان» يراد به المعنى المجازي لا الحقيقي.

وأما الرأي الآخر والذي يقول: أن المقصود بالميزان: الميزان الحقيقي فله وجه.. إذ دلت عليه بعض الأخبار، كما أنه يتناسب مع

(١) تصحيح الاعتقاد، ص ٩٣.

(٢) انظر كتاب (عقائد الإمامية) للزنجاني، ج ٢، ص ٢٥٠.

ظاهر لفظه، وكذلك فهو من الأمور الممكنة. وعلى كل حال.. فالإيمان الإجمالي بالميزان كافٍ في سلامة الاعتقاد.

المشهد الثالث: محاسبة الناس:

يشير القرآن الكريم إلى محاسبة الناس في يوم القيامة في كثير من سورته الشريفة، حيث يقول تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١) ويقول تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢) ويقول تعالى: ﴿.. وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٣) ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾^(٤) ويقول تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾^(٥) إلى غيرها من الآيات الكثيرة الدالة على محاسبة الناس في يوم القيامة وفي ساحة المحشر عن كل ما عملوه في الدنيا من أعمال وأقوال ومواقف.

أما الأخبار التي تؤكد حساب الخلق في يوم الجزاء فهي متواترة... ومنها:

١ - روي عن رسول الله (ص) قوله: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين

(١) سورة البقرة، ٢٠٢.

(٢) سورة البقرة، ٢٨٤.

(٣) سورة آل عمران، ١٩.

(٤) سورة الأنعام، ٦٢.

(٥) سورة الأنبياء، ١.

كسبه وفيما أنفقه، وعن جينا أهل البيت»^(١).

٢ - وعنه (ص) قال: «إن الله عز وجل يحاسب كل خلق إلا من أشرك بالله عز وجل فإنه لا يحاسب ويؤمر به إلى النار»^(٢).

٣ - وعنه (ص) أيضاً قال: «كل نعيم مسؤول عنه يوم القيامة إلا ما كان في سبيل الله تعالى»^(٣).

٤ - وعن أبي عبد الله^(ع) قال: «ثلاثة أشياء لا يحاسب العبد المؤمن عليهن: طعام يأكله، وثوب يلبسه، وزوجة صاحبة تعاونه ويحصن بها فرجه»^(٤).

٥ - وعن أبي بردة قال: قال رسول الله (ص): «لا تزول قدم عبد حتى يسأل عن حبنا أهل البيت. قيل: يا رسول الله ما علامة حبكم؟ قال: فضرب بيده على منكب علي^(ع)»^(٥).

٦ - وعن أبي جعفر^(ع) قال: «إنما يداق الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا»^(٦).

٧ - وسئل أمير المؤمنين^(ع): كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم؟! فقال: «كما يرزقهم على كثرتهم» قيل: فيكيف يحاسبهم ولا

(١) البحار، ج ٧، ص ٢٥٨، رقم الحديث ١.

(٢) البحار، ج ٧، ص ٢٦٠، رقم الحديث ٧.

(٣) البحار، ج ٧، ص ٢٦١، رقم الحديث ١٠.

(٤) البحار، ج ٧، ص ٢٦٥، رقم الحديث ٢٣.

(٥) البحار، ج ٧، ص ٢٦٧، رقم الحديث ٣١.

(٦) البحار، ج ٧، ص ٢٦٧، رقم الحديث ٣٢.

يروونه؟ قال: «كما يرزقهم ولا يروونه»^(١).

٨ - وعن أبي عبد الله^(ع) قال: «إن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يحاسب المؤمن أعطاه كتابه بيمينه وحاسبه فيما بينه وبينه فيقول: عبدي! فعلت كذا وكذا وعملت كذا وكذا، فيقول: نعم يا رب قد فعلت ذلك؟ فيقول: قد غفرتما لك وأبدلتها حسنات، فيقول الناس: سبحان الله أما كان لهذا العبد سيئة واحدة؟! وهو قول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ قلت: أي أهل؟ قال: أهل في الدنيا هم أهل في الجنة إن كانوا مؤمنين، قال: وإذا أراد بعبد شرًا حاسبه على رؤوس الناس وبكته^(٢) وأعطاه كتابه بشماله وهو قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ قلت: أي أهل؟ قال: أهل في الدنيا. قلت: قوله: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ قال: ظن أنه لن يرجع»^(٣).

٩ - وقال الإمام علي^(ع): «الحساب قبل العقاب، والثواب بعد الحساب»^(٤).

١٠ - وقال الإمام الصادق^(ع): «أول ما يسأل عنه العبد إذا وقف بين يدي الله جلّ جلاله عن الصلوات المفروضة، وعن الزكاة المفروضة، وعن الصيام المفروض، وعن الحج المفروض، وعن ولايتنا أهل البيت، فإن أقر بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته وصومه وزكاته وحجه...»^(٥).

(١) البحار، ج ٧، ص ٢٧١، رقم الحديث ٣٧.

(٢) أي غلبه بالحجة.

(٣) البحار، ج ٧، ص ٣٢٤، رقم الحديث ١٧.

(٤) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٤٠٤، رقم الحديث ٣٨٢٨.

(٥) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٤٠٩، رقم الحديث ٣٨٥٦.

١١ - وروي: «أنه سبحانه يحاسب جميع عباده على مقدار حلب شاة» وهذا يدل على أنه لا يشغله محاسبة أحد عن محاسبة غيره، ويدل على أنه سبحانه يتكلم بلا لسان ولهوات ليصح أن يحاسب الجميع في وقت واحد^(١).

وقال الشيخ الصدوق (رحمه الله) في رسالة العقائد:

«اعتقادنا في الحساب والميزان أنهما حق.. منه ما يتولاه الله عز وجل، ومنه ما يتولاه حججه.. فحساب الأنبياء والأئمة يتولاه الله عز وجل، ويتولى كل نبي حساب أوصيائه، ويتولى الأوصياء حساب الأمم، والله تبارك وتعالى هو الشهيد على الأنبياء والرسل، وهم الشهداء على الأوصياء، والأئمة شهداء على الناس، وذلك قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شَهِدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾...»^(٢).

وقال الشيخ المفيد: «الحساب: هو المقابلة بين الأعمال والجزاء عليها والمواقفة للعبد على ما فرط منه والتوبيخ له على سيئاته والحمد على حسناته ومعاملته في ذلك باستحقاقه، وليس هو كما ذهب العامة إليه من مقابلة الحسنات بالسيئات والموازنة بينهما على حسب استحقاق الثواب والعقاب عليها، إذ كان التخاطب بين الأعمال غير صحيح»^(٣).

أما العلامة المجلسي فيقول: «اعلم أن الحساب حق نطقت به الآيات المتكاثرة والأحاديث المتواترة فيجب الاعتقاد به، وأما ما يحاسب العبد به ويسأل عنه فقد اختلف فيه الأخبار، فمنها ما يدل على عدم السؤال عما تصرف فيه من الحلال، وفي بعضها: لخلالها حساب، ولحرامها عقاب،

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٤٨٤.

(٢) عقائد الإمامية الاثني عشرية، ج ٢، ص ٢٦٠.

(٣) تصحيح الاعتقاد، ص ٩٣.

ويمكن الجمع بينهما بحمل الأولى على المؤمنين، والأخرى على غيرهم، أو الأولى على الأمور الضرورية كالمأكل والملبس والمسكن والمنكح، والأخرى على ما زاد على الضرورة كجمع الأموال زائداً على ما يحتاج إليه، أو صرفها فيما لا يدعوه إليه ضرورة، ولا يستحسن شرعاً، ويؤيده بعض الأخبار^(١).

وهكذا يتضح لنا أن الحساب والسؤال في يوم القيامة حق، وأنه ثابت قد نطق به القرآن الحكيم، ونص عليه الأخبار المتواترة، فيجب الاعتقاد بالحساب والإيمان به إيماناً قلبياً راسخاً، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٢).

المشهد الرابع: نشر الكتب وإنطاق الجوارح:

ما من عمل أو قول أو فعل يقوم به الإنسان إلا وهو مسجل عليه في كتاب الأعمال، يقول الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ (١٣) أَفَرَأَى كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا^(٣).

يقول الشيخ الطبرسي في تفسيره لهذه الآية الشريفة: قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ معناه وألزمنا كل إنسان عمله من خير أو شر في عنقه.. يريد جعلناه كالطوق في عنقه فلا يفارقه وإنما قيل للعمل طائراً على عادة العرب في قولهم جرى طائره بكذا ومثله قوله سبحانه: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمُ﴾ وقوله: ﴿إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ وقيل: طائره

(١) البحار، ج ٧، ص ٢٧٥.

(٢) سورة آل عمران، ١٩٩.

(٣) سورة الإسراء، ١٣ - ١٤.

يمنه وشؤمه وهو ما يتطير منه. وقيل: طائره حظه من الخير والشر، وخص العنق لأنه محل الطوق الذي يزين المحسن، والغل الذي يشين المسيء. وقيل طائره كتابه. وقيل: معناه جعلنا لكل إنسان دليلاً من نفسه لأن الطائر عندهم يستدل به على الأمور الكامنة، فيكون معناه: كل إنسان دليل نفسه وشاهد عليها.. إن كان محسناً فطائره ميمون وإن ساء فطائره مشؤوم ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾ وهو ما كتبه الحفظة عليهم من أعمالهم ﴿يَلْقَاهُ﴾ أي يرى ذلك الكتاب ﴿مَنْشُورًا﴾ أي مفتوحاً معروضاً عليه ليقرأه ويعلم ما فيه ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ فهذا هنا حذف.. أي فيقال له اقرأ كتابك. قال قتادة: يقرأ يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا، وروي عن أبي عبد الله^(١) قال: «يذكر العبد جميع أعماله وما كتب عليه حتى كأنه فعله تلك الساعة.. فلذلك قالوا: ﴿يَاوَيْلَتْنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾..» ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ أي محاسباً، وإنما جعله محاسباً لنفسه لأنه إذا رأى أعماله يوم القيامة كلها مكتوبة ورأى جزاء أعماله مكتوبة بالعدل لم ينقص عن ثوابه شيء ولم يزد على عقابه شيء أذعن عند ذلك وخضع وتضرع واعترف ولم يتهيا له حجة ولا إنكار وظهر لأهل المحشر أنه لا يظلم.. قال الحسن: «يا ابن آدم لقد أنصفك من جعلك حسيب نفسك»^(٢).

وروي عن أبي جعفر^(٣) في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ قال: «خيرهُ وشرهُ معه حيث كان لا يستطيع فراقهُ حتى يعطي كتابهُ يوم القيامة بما عمل»^(٤).

وعن أبي جعفر وأبي عبد الله^(٥) عن الآية فقال: «قدره الذي قدر

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٦، ص٦٢٢.

(٢) البحار، ج٧، ص٣١٢، رقم الحديث ١.

عليه»^(١).

وعن أبي عبد الله^(ع) قال: «إذا كان يوم القيامة دفع إلى الإنسان كتابه، ثم قيل له: اقرأ، قلت: فيعرف ما فيه؟ فقال: إن الله يذكره فما من لحظة ولا كلمة ولا نقل قدم ولا شيء فعله إلا ذكره كأنه فعله تلك الساعة»^(٢).

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله^(ع) يقول: «إن المؤمن يعطي يوم القيامة كتاباً منشوراً مكتوب فيه: كتاب الله العزيز الحكيم.. أدخلوا فلاناً الجنة»^(٣).

وعن إنطاق الجوارح وشهادتها على الإنسان، يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤).

في هذه الآية الشريفة يبين الله سبحانه وتعالى حقيقة إنطاق الجوارح، وأنها تشهد على صاحبها بما عمله في الدنيا من ذنوب وآثام ومعاصي.. وفي كيفية شهادة الجوارح أقوال: (أحدها) أن الله تعالى يبنيتها بنية يمكنها النطق والكلام من جهتها فتكون ناطقة.

و (الثاني) أن الله تعالى يفعل فيها كلاماً يتضمن الشهادة فيكون المتكلم هو الله دون الجوارح.. وأضيف الكلام إليها على التوسع لأنها محل الكلام.

و (الثالث) أن الله تعالى يجعل فيها علامة تقوم مقام النطق بالشهادة.. وأما شهادة الألسن فبأن يشهدوا بألسنتهم إذا رأوا أنه لا

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٣، ص ٧١.

(٢) البحار، ج ٧، ص ٣١٥، رقم الحديث ١٠.

(٣) البحار، ج ٧، ص ٣٢٥، رقم الحديث ١٨.

(٤) سورة النور، ٢٤.

ينفعهم الجحود.. وأما قوله: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ فإنه يجوز أن تخرج الألسنة ويختتم على الأفواه، ويجوز أن يكون الختم على الأفواه في حال شهادة الأيدي والأرجل^(١).

وعن إنطاق الجوارح يوم القيامة.. يقول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾^(٢).

ويقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٣).

وروي في تفسير الآية الأخيرة: «إذا جمع الله الخلق يوم القيامة دفع إلى كل إنسان كتابه فينظرون فيه فينكرون أنهم عملوا من ذلك شيئاً، فيشهد عليهم الملائكة فيقولون: يا رب ملائكتك يشهدون لك، ثم يحلفون أنهم لم يعملوا من ذلك شيئاً، وهو قوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ فإذا فعلوا ذلك ختم على ألسنتهم وينطق جوارحهم بما كانوا يكسبون»^(٤).

(١) انظر مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ٢١١.

(٢) سورة فصلت، ١٩ - ٢٤.

(٣) سورة يس، ٦٥.

(٤) البحار، ج ٧، ص ٣١٢، رقم الحديث ٣.

وعن أمير المؤمنين^(ع) في خطبة يصف فيها هول يوم القيامة قال: «ختم على الأفواه فلا تتكلم وقد تكلمت الأيدي وشهدت الأرجل، ونطقت الجلود بما عملوا فلا يكتُمون الله حديثاً»^(١).

وقال الإمام الباقر^(ع): «ليست تشهد الجوارح على مؤمن إنما تشهد على من حقت عليه كلمة العذاب، فأما المؤمن فيعطى كتابه يمينه»^(٢).

وهكذا يجب على كل مكلف الإيمان والتصديق والإقرار بتطابير الكتب وإنطاق الجوارح.. والإيمان الإجمالي بذلك يكفي في سلامة العقيدة وقوة الإيمان.

المشهد السادس: عبور الصراط:

يتفق المسلمون كافة على الإيمان بالصراط، إذ الآيات بوجوده متضافرة، والأخبار به متواترة، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبَلِّغٌ صَادِقٌ﴾^(٣).

يقول الإمام الصادق^(ع) في تفسيره لهذه الآية: «المرصاد: قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة»^(٤).

وروي عن ابن عباس في تفسيره لهذه الآية قال: «إن على جسر جهنم سبع محابس: يسأل العبد عند أولها عن شهادة أن لا إله إلا الله، فإن جاء بها تامة جاز إلى الثاني فيسأل عن الصلاة فإن جاء بها تامة جاز إلى الثالث فيسأل عن الزكاة، فإن جاء بها تامة جاز إلى الرابع فيسأل عن الصوم، فإن جاء به تامة جاز

(١) البحار، ج ٧، ص ٣١٣، رقم الحديث ٦.

(٢) البحار، ج ٧، ص ٣١٨، رقم الحديث ١٤.

(٣) سورة الفجر، ١٤.

(٤) البحار، ج ٨، ص ٦٤.

إلى الخامس فيسأل عن الحج، فإن جاء به تاماً جاز إلى السادس فيسأل عن العمرة، فإن جاء بها تامة جاز إلى السابع فيسأل عن المظالم فإن خرج منها وإلا يقال: انظروا، فإن كان له تطوع أكمل به أعماله فإذا فرغ انطلق به إلى الجنة»^(١).

وعن أبي عبد الله الصادق^(ع) قال: «الناس يمرون على الصراط طبقات، والصراط أدق من الشعر ومن حد السيف، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل عدو الفرس، ومنهم من يمر حبواً، ومنهم من يمر مشياً، ومنهم من يمر متعلقاً قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً»^(٢).

وعن المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله^(ع) عن الصراط فقال: «هو الطريق إلى معرفة الله عز وجلّ، وهما صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفروض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم»^(٣).

وعن أبي جعفر^(ع) قال: قال رسول الله (ص): «يا علي إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط فلم يجز أحد إلا من كان معه كتاب فيه براءة بولايتك»^(٤).

وقال النبي (ص): «إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على جهنم لم

(١) البحار، ج ٨، ص ٦٤.

(٢) البحار، ج ٨، ص ٦٤، رقم الحديث ١.

(٣) البحار، ج ٨، ص ٦٦، رقم الحديث ٣.

(٤) البحار، ج ٨، ص ٦٦، رقم الحديث ٤.

يجز عليه إلا من كان معه جواز فيه ولاية علي بن أبي طالب^(١) وذلك قوله: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ يعني عن ولاية علي بن أبي طالب^(٢).^(١)

وقال الإمام الصادق^(ع): «الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف»^(٣).

وعن رسول الله (ص) قال: «.. ومنهم من يمضي عليه كمر الريح، ومنهم من يعطى نوراً إلى موضع قدميه، ومنهم من يحبو حبواً، وتأخذ النار منه بذنوب أصابها»^(٣).

وقال الشيخ الصدوق: «اعتقادنا في الصراط أنه حق، وأنه جسر جهنم، وأن عليه يمر جميع الخلق، قال الله عز وجل: ﴿وَأَنَّ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾».

والصراط في وجه آخر اسم حجج الله، فمن عرفهم في الدنيا وأطاعهم أعطاه الله عز وجل جوازاً على الصراط الذي هو جسر جهنم يوم القيامة»^(٤).

ويقول الشيخ المفيد في «الصراط»: «الصراط في اللغة هو الطريق، فلذلك سمي الدين صراطاً، لأنه طريق إلى الصواب، وله سمي الولاء لأمير المؤمنين^(ع) والأئمة من ذريته صراطاً.

ومن معناه قال أمير المؤمنين^(ع): «أنا صراط الله المستقيم وعروته الوثقى

(١) البحار، ج ٨، ص ٦٧، رقم الحديث ١١.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٣٤٨، رقم الحديث ١٠١٨١.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٣٥٠، رقم الحديث ١٠١٩١.

(٤) عقائد الإمامية الاثنى عشرية، ج ٢، ص ٢٧١.

التي لا انفصام لها» يعني أن معرفته والتمسك به طريق إلى الله سبحانه.

وقد جاء الخبر، بأن الطريق يوم القيامة إلى الجنة كالجسر يمر به الناس وهو الصراط الذي يقف عن يمينه رسول الله (ص) وعن شماله أمير المؤمنين^(ع) ويأتيهما النداء من قبل الله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ وجاء الخبر: أنه لا يعبر الصراط يوم القيامة إلا من كان معه براءة من عل بن أبي طالب^(ع) من النار.

وجاء الخبر: بأن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف على الكافر، والمراد لذلك أنه لا يثبت لكافر قدم على الصراط يوم القيامة من شدة ما يلحقهم من أهوال يوم القيامة ومخاوفها، فهم يمشون عليه كالذي يمشي على الشيء الذي هو أدق من الشعرة وأحد من السيف، وهذا مثل مضروب لما يلحق الكافر من الشدة في عبوره على الصراط، وهو طريق إلى الجنة وطريق إلى النار، يشرف العبد منه إلى الجنة ويرى من أهوال النار.

وقد يعبر به عن الطريق المعوج فلهذا قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ فميز بين طريقه الذي دعا إلى سلوكه من الدين وبين طرق الضلال.

وقال الله تعالى فيما أمر به عباده من الدعاء وتلاوة القرآن: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فدل على أن سواه صراط غير مستقيم، وصراط الله تعالى دين الله.

وصراط الشيطان طريق العصيان، والصراط في الأصل على ما بيناه هو الطريق، والصراط يوم القيامة هو الطريق المسلوك إلى الجنة أو

النار على ما قدمناه»^(١).

أما المحقق المجلسي (رحمه الله) فبعد أن نقل النص المتقدم للشيخ المفيد قال: «لا اضطرار في تأويل كونه أدق من الشعرة وأحد من السيف، وتأويل الظواهر الكثيرة بلا ضرورة غير جائز»^(٢).

وعلى كل حال، فالواجب هو الإيمان بالصراط، وأنه ما من إنسان إلا وسيمر عليه، وأنه جسر على جهنم، فإن عبر على الصراط ولم تزل قدمه في النار كان طريقه إلى الجنة، وإلا فلا محيص عن السقوط في جهنم، فالصراط هو الطريق المسلوك إلى الجنة أو النار.

(١) تصحيح الاعتقاد، ص ٨٨.

(٢) البحار، ج ٨، ص ٧١.

هذه هي الجنة

الإيمان بالجنة من لوازم العقيدة، ومن ضروريات الدين، وقد أجمع المسلمون على ذلك، فلم ينكر أحد من المسلمين حقيقة الجنة، وأنها دار النعيم، وجزاء المتقين.

وقد ورد في القرآن الحكيم (٣٦٢) آية عن الجنة وما يتعلق بها.. ومن هذه الآيات الشريفة:

١ - قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١).

٢ - قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾^(٢).

٣ - قوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ

(١) سورة آل عمران، ١٣٣.

(٢) سورة الرعد، ٣٥.

فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿١﴾

٤ - قوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢).

٥ - قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (٣). إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على حقيقة الجنة ووجودها.

أما الأخبار الواردة عن الجنة فهي أكثر من أن تحصى.. وإليك بعضاً منها:

١ - روى الهروي قال: قلت للرضا (ع): يا بن رسول الله أخبرني عن الجنة والنار أهما اليوم مخلوقتان؟ فقال (ع): «نعم وإن رسول الله (ص) قد دخل الجنة ورأى النار لما عرج به إلى السماء».

قال: فقلت له: فإن قوماً يقولون: إنهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتين.

فقال (ع): «ما أولئك منا ولا نحن منهم، من أنكر خلق الجنة والنار فقد كذب النبي (ص) وكذبنا، وليس من ولا يتنا على شيء، وخلد في نار جهنم، قال الله عز وجل: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ قٰتٍ﴾ وقال النبي (ص): «لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل

(١) سورة النحل، ٣١.

(٢) سورة الحديد، ٢١.

(٣) سورة النازعات، ٤٠ - ٤١.

فأدخلني الجنة فناولني من رطبها فأكلته فتحول ذلك نطفة في صلي فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسية، فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت ابنتي فاطمة»^(١).

٢ - عن ابن عباس قال: قدم يهوديان فسألا أمير المؤمنين^(ع) فقالا: أين تكون الجنة، وأين تكون النار؟ قال: «أما الجنة ففي السماء، وأما النار ففي الأرض» قالوا: فما السبعة؟ قال: «سبعة أبواب النار متطابقات» قالوا: فما الثمانية. قال: «ثمانية أبواب الجنة»^(٢).

٣ - قال الصادق^(ع) قال النبي (ص): «إن الله تبارك وتعالى خلق في الجنة عموداً من ياقوتة حمراء عليه سبعون ألف قصر، في كل قصر سبعون ألف غرفة، خلقها الله عز وجل للمتحيين والمتزاورين في الله»^(٣).

٤ - وقال النبي (ص): «شبر من الجنة خير من الدنيا وما فيها»^(٤).

٥ - وقال الإمام علي^(ع): «الجنة أفضل غاية»^(٥).

٦ - وعنه^(ع) أيضاً: «الجنة دار الأمان»^(٦).

٧ - وعنه^(ع): قال: «الجنة جزاء المطيع»^(٧).

٨ - وقال^(ع) أيضاً: «الدنيا دار الأشقياء، والجنة دار الأتقياء»^(٨).

(١) البحار، ج ٨، ص ١١٩، رقم الحديث ٦.

(٢) البحار، ج ٨، ص ١٢٧، رقم الحديث ٢٨.

(٣) البحار، ج ٨، ص ١٣٢، رقم الحديث ٣٥.

(٤) البحار، ج ٨، ص ١٤٨، رقم الحديث ٧٧.

(٥) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩١، رقم الحديث ٢٥٢٢.

(٦) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩١، رقم الحديث ٢٥٢٤.

(٧) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩١، رقم الحديث ٢٥٢٥.

(٨) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩١، رقم الحديث ٢٥٢٧.

اعتقادنا في الجنة:

يقول الشيخ الصدوق (رحمه الله):

«اعتقادنا في الجنة أنها دار البقاء ودار السلامة، لا موت فيها ولا هرم ولا سقم ولا مرض ولا آفة ولا غم ولا هم ولا حاجة ولا فقر، وأنها دار الغنى والسعادة، ودار المقامة والكرامة، لا يمس أهلها فيها نصب ولا لغوب، لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون، وأنها دار أهلها جيران الله وأولياؤه وأحباؤه، وأهل كرامته.

واعتقادنا في الجنة والنار أنهما مخلوقتان، وأن النبي (ص) قد دخل الجنة ورأى النار حين عرج به.

واعتقادنا أنه لا يخرج أحد من الدنيا حتى يرى مكانه من الجنة أو من النار، وأن المؤمن لا يخرج من الدنيا حتى ترفع له الدنيا كأحسن ما رآها ويرفع مكانه في الآخرة ثم يخير فيختار الآخرة وحينئذ يقبض روحه.

واعتقادنا أن بالثواب يخلد أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، وما من أحد يدخل الجنة حتى يعرض عليه مكانه من النار فيقال له: هذا مكانك الذي لو عصيت الله لكنت فيه، وما من أحد يدخل النار حتى يعرض عليه مكانه من الجنة، فيقال له: هذا مكانك الذي لو أطعت الله لكنت فيه، فيورث هؤلاء مكان هؤلاء وذلك قول الله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾ وأقل المؤمنين منزلة في الجنة من له ملك الدنيا عشر مرات ﴿٢﴾.

(١) سورة المؤمنون، ١٠ - ١١.

(٢) البحار، ج ٨، ص ٢٠٠.

وقال الشيخ المفيد (رحمه الله) في شرح هذا الكلام: «الجنة دار النعيم لا يلحق من دخلها نصب ولا يلحقهم فيها لغوب، وجعلها الله سبحانه داراً لمن عرفه وعبدته، ونعيمها دائم لا انقطاع له، والساكنون فيها على أضراب:

فمنهم من أخلص لله تعالى فذلك الذي يدخلها على أمان من عذاب الله تعالى.

ومنهم، من خلط عمله الصالح بأعماله السيئة كأن يسوف فيها التوبة فاخترته المنية قبل ذلك فلحقه ضرب من العقاب في عاجله وآجله أو عاجله دون آجله ثم سكن الجنة بعد عفو الله أو عقابه.

ومنهم، من يتفضل عليه بغير عمل سلف منه في الدنيا وهم الولدان المخلدون الذين جعل الله تعالى تصرفهم لحوائج أهل الجنة ثواباً للعاملين وليس في تصرفهم مشاق عليهم ولا كلفة لأنهم مطبوعون إذ ذاك على المسارة بتصرفهم في حوائج المؤمنين.

وثواب أهل الجنة الالتذاذ بالمأكل والمشرب والمناظر والمناكح وما تدركه حواسهم مما يطبعون على الميل إليه ويدركون مرادهم بالظفر به، وليس في الجنة من البشر من يلتذ بغير مأكل ومشرب وما تدركه الحواس من الملذذات»^(١).

من كل ما تقدم نستنتج وجوب الإيمان بالجنة، لأن ذلك من ضروريات الدين، ومنكر وجودها خارج من الدين.

وأن الجنة دار النعيم، ودار السعادة، ودار الراحة، فيها كل ما لذ

(١) انظر كتاب تصحيح الاعتقاد، ص ٩٥.

وطاب، والوصول إليها غاية كل مؤمن وموحد.

ومذهب جمهور المسلمين على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، كما دلَّ على ذلك الآيات والأخبار المتواترة.

وأما مكانهما: فقد دلَّت الأخبار على أن الجنة فوق السماوات السبع، والنار في الأرض السابعة.. وهذا الرأي مذهب أكثر المسلمين.

ثمن الجنة:

لكل شيء ثمن، وكلما ازدادت قيمة الشيء ارتفع ثمنه، وليس في الدنيا بكل زخرفها وزينتها وأعيانها ما يُقارن بالجنة، إذ أن شبراً من الجنة خير من الدنيا وما فيها - كما ورد في الحديث الشريف..

ومادامت الجنة هي الأمنية والغاية والهدف لكل مؤمن.. فما هو ثمنها؟!!

لا شيء سوى الإيمان بالله عزَّ وجلَّ والالتزام بالعمل الصالح.. فالإيمان بالله وإخلاص النية له في القول والفعل والسلوك.. والمداومة على القيام بالأعمال الصالحة من صلاة وصيام وحج وزكاة وخمس وحسن خلق وبر وإحسان.. و.. هو ثمن الجنة.

وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ ذلك في عدة مواضع من القرآن الحكيم.. كقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ

(١) سورة مريم، ٦٠.

لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (٣) وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ (٤).

وقد ورد في الأحاديث الشريفة ما يدل على أن ثمن الجنة هو الإيمان والعمل الصالح.. فقد روي عن رسول الله (ص) قوله: «ما جزاء من أنعم الله عز وجل عليه بالتوحيد إلا الجنة» (٥). وعنه (ص) قال: «يقول الله جل جلاله: لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي» (٦). وقال الإمام علي (ع): «ثمن الجنة العمل الصالح» (٧) وعن الإمام الصادق (ع) قال: «قول لا إله إلا الله ثمن الجنة» (٨) وعنه (ع) أيضاً قال: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة، وإخلاصه أن تحجزه لا إله إلا الله عما حرم الله عز وجل» (٩). وروي عنه أيضاً قوله: «إن العمل الصالح ليذهب إلى الجنة فيمهد لصاحبه كما يبعث الرجل غلاماً فيفرش له، ثم قرأ: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ

(١) سورة الكهف، ١٠٧ - ١٠٨.

(٢) سورة الحج، ١٤.

(٣) سورة العنكبوت، ٥٨.

(٤) سورة طه، ٧٥.

(٥) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩٣، رقم الحديث ٢٥٣٤.

(٦) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩٣، رقم الحديث ٢٥٣٦.

(٧) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩٣، رقم الحديث ٢٥٣٨.

(٨) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩٣، رقم الحديث ٢٥٣٣.

(٩) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩٣، رقم الحديث ٢٥٤٠.

عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نُفْسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿١﴾.

فإذا أردت الجنة فادفع ثمنها.. وثمنها المداومة على الأعمال الصالحة بنية خالصة لله تعالى.. واجتناب كل المحرمات الموبقات والمعاصي.. وليكن ذلك عن إيمان خال من كل الشوائب المحبطة للأعمال الصالحة.. وعندئذ ستكون مستحقاً لدخول الجنة والخلود فيها.

هؤلاء يدخلون الجنة:

طاعة الله عز وجل، والالتزام بأوامره، والاجتناب عن نواهيه هو طريق الجنة.. فكل من يعمل صالحاً سيدخل الجنة.. وقد تحدثت الروايات عن ذلك.. وإليك بعضاً منها:

١ - عن علي^(ع) قال: قال رسول الله (ص): «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، يسكنها من أمتي من أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام»^(١).

٢ - وقال رسول الله (ص): «أكثر ما يلج به أمتي الجنة: تقوى الله وحسن الخلق»^(٢).

٣ - عن الإمام علي^(ع) قال: قال رجل للنبي (ص): يا رسول الله علمني عملاً صالحاً لا يحال بينه وبين الجنة؟

قال (ص): «لا تغضب، ولا تسأل شيئاً، وارضى للناس ما ترضى

(١) البحار، ج ٨، ص ١٩٧، رقم الحديث ١٨٩.

(٢) البحار، ج ٨، ص ١١٨، رقم الحديث ٥.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩٥، رقم الحديث ٢٥٤٥.

لنفسك»^(١).

٤ - وعن رسول الله (ص) قال: «ثلاث من لقي الله عز وجلّ بهن دخل الجنة من أي باب شاء: من حسن خلقه، وخشي الله في المغيب والمحضر، وترك المرء وإن كان محققاً»^(٢).

٥ - وقال الإمام علي^(ع): «عشر من لقي الله عز وجلّ بهن دخل الجنة: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء به من عند الله عز وجلّ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، والولاية لأولياء الله، والبراءة من أعداء الله، واجتناب كل منكر»^(٣).

٦ - وقال الإمام الباقر^(ع) أيضاً: «أربع من كن فيه بنى الله له بيتاً في الجنة: من آوى اليتيم، ورحم الضعيف، وأشفق على والديه، ورفق بمملوكه»^(٤).

٧ - وقال الإمام علي^(ع): «إن الله يدخل بصدق النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنة»^(٥).

٨ - وقال الإمام علي^(ع): «لا يفوز بالجنة إلا من حسنت سريته، وخلصت نيته»^(٦).

٩ - وعن رسول الله (ص) قال: «من ضمن لي ما بين حيينه وما بين

(١) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩٥، رقم الحديث ٢٥٤٦.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩٥، رقم الحديث ٢٥٤٧.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩٥، رقم الحديث ٢٥٤٨.

(٤) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩٦، رقم الحديث ٢٥٥٢.

(٥) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩٦، رقم الحديث ٢٥٥٥.

(٦) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩٨، رقم الحديث ٢٥٦٣.

رجليه ضمنت له الجنة»^(١).

١٠ - وعنه (ص) قال: «اكفلوا لي بست خصال أكفل لكم بالجنة: الصلاة والزكاة والأمانة والفرج والبطن واللسان»^(٢).

١١ - وعن الإمام الصادق^(ع) قال: «من يضمن لي أربعة بأربعة أبيات في الجنة؟: أنفق ولا تخف فقراً، وافش السلام في العالم، واترك المراء وإن كنت محقاً، وأنصف الناس من نفسك»^(٣).

١٢ - وقال رسول الله (ص): أكلكم يجب أن يدخل الجنة؟! قالوا: نعم يا رسول الله!
قال (ص): «قصروا من الأمل، وثبتوا آجالكم بين أبصاركم، واستحيوا من الله حق الحياء»^(٤).

هؤلاء لا يدخلون الجنة:

نص القرآن الحكيم وكذلك السنة الشريفة على أن هناك قسماً من الناس لن يدخلوا الجنة.. ومن هؤلاء ما يلي:

١ - يقول الله تعالى: ﴿.. إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(٥) فالمشرك لن يدخل الجنة.. ﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ أي بأن يزعم أن غيره يستحق العبادة مع ما ثبت أنه لا يقدر أحد على فعل ما يستحق به العبادة سوى الله تعالى ﴿حَرَّمَ اللَّهُ

(١) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩٩، رقم الحديث ٢٥٧٤.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٠٠، رقم الحديث ٢٥٧٨.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٠٠، رقم الحديث ٢٥٧٦.

(٤) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩٧، رقم الحديث ٢٥٥٨.

(٥) سورة المائدة، ٧٢.

عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴿ والتحریم هاهنا تحریم منع لا تحریم عبادة.. ومعناه: فإن الله يمنعه الجنة ﴿ وَمَأْوَاهُ ﴾ أي مصيره ﴿ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ معناه لا ناصر لهم يخلصهم مما هم فيه من أنواع العذاب.

٢ - يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتُحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ ^(١) وهذه الآية تشير إلى أن المكذب بآيات الله، والتارك لعبادته عز وجل لن يدخل الجنة.. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا ﴾ أي تكبروا عن قبولها ﴿ لَا تُفْتُحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ لدخول الجنة لأن الجنة في السماء ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ أي حتى يدخل البعير في ثقب الإبرة.. والمعنى: لا يدخلون الجنة أبداً ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي ومثل ما جزينا هؤلاء نجزي سائر المجرمين المكذبين بآيات الله تعالى.

٣ - ويقول النبي (ص): «تحرم الجنة على ثلاثة: على المنان، وعلى المغتاب، وعلى مدمن الخمر» ^(٢).

٤ - وقال (ص) أيضاً: «لا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر» ^(٣).

٥ - وعنه (ص) قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً: الديوث، والرجلة من النساء، ومدمن الخمر» ^(٤).

٦ - وعنه (ص) قال: «لا يدخل الجنة: شيخ زان، ولا مسكين مستكبر،

(١) سور الأعراف، ٤٠.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٠١، رقم الحديث ٢٥٨٣.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٠٢، رقم الحديث ٢٥٨٩.

(٤) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٠٢، رقم الحديث ٢٥٩٠.

ولا منان بعمله على الله»^(١).

٧ - وعن أبي عبد الله^(ع) قال: «أربعة لا يدخلون الجنة: الكاهن، والمنافق، ومدمن الخمر، والفتان - وهو النمام»^(٢).

٨ - وعنه^(ع) أيضاً قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: السفاك للدم، وشارب الخمر، ومشاء بنميمة»^(٣).

٩ - وعنه^(ع) قال: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر»^(٤).

١٠ - وعن الإمام الكاظم^(ع) قال: «حرمت الجنة على ثلاثة: النمام، ومدمن الخمر، والديوث وهو الفاجر»^(٥).

ولعل المراد من أن أصحاب الكبائر من المسلمين لا يدخلون الجنة إذا كانوا مستحلين لها، ومصرين عليها، أو ربما يكون المقصود أنهم لا يدخلون الجنة ابتداءً، حيث سيدخلون النار أولاً، ويمكثون فيها أحقاباً، ثم يخرجون إلى الجنة... وسيأتي تمام الكلام في هذا الموضوع في مبحث (النار) ومن يخلد فيها، ومن يخرج منها.

مخطط الجنة:

مع كل ما في الدنيا من مخططات سكنية جميلة ورائعة - وخصوصاً

(١) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٠٢، رقم الحديث ٢٥٩١.

(٢) البحار، ج ٨، ص ٣٥٧، رقم الحديث ١٥.

(٣) البحار، ج ٨، ص ٣٥٧، رقم الحديث ١٧.

(٤) البحار، ج ٨، ص ٣٥٥، رقم الحديث ٧.

(٥) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٠١، رقم الحديث ٢٥٨٢.

في هذا العصر - إلا أنها أمام مخططات الجنة السكنية لا تساوي شيئاً ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآ خِزْيَ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾^(١).

ولكي نتعرف على مخطط الجنة وما فيه من قصور ودرجات متفاوتة ومميزات عالية الجودة.. نستعرض معاً الروايات التالية:

١ - روي عن رسول الله (ص) قوله: «الدرجة في الجنة كما بين السماء والأرض، وإن العبد ليرفع بصره فيلمع له نور يكاد يخطف بصره فيفزع لذلك، فيقول: ما هذا؟! فيقال: هذا نور أخيك، فيقول: أخي فلان كنا نعمل جميعاً في الدنيا، وقد فضل عليّ هكذا؟ فيقال له: إنه كان أفضل منك عملاً، ثم يجعل في قلبه الرضا حتى يرضى»^(٢).

٢ - وعنه (ص) قال: «إن في الجنة قصرًا لا يدخله إلا صوام رجب»^(٣).

٣ - وعنه (ص) قال: «إن في الجنة درجة لا يبلغها إلا إمام عادل، أو ذو رحم ووصول، أو ذو عيال صبور»^(٤).

٤ - وعنه (ص) قال: «إن لله عز وجل جنة لا يدخلها إلا ثلاثة: رجل حكم على نفسه بالحق، ورجل زار أخاه المؤمن في الله، ورجل آثر أخاه المؤمن في الله»^(٥).

(١) سورة الإسراء، ٢١.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٠٥، رقم الحديث ٢٦٠٢.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٠٦، رقم الحديث ٢٦٠٨.

(٤) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٠٦، رقم الحديث ٢٦٠٩.

(٥) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٠٦، رقم الحديث ٢٦١٠.

٥ - وعنه (ص) قال: «إن في الجنة منازل لا ينالها العباد بأعمالهم، ليس لها علاقة من فوقها، ولا عماد من تحتها، قيل: يا رسول الله.. من أهلها؟ فقال: أهل البلايا والهموم»^(١).

٦ - وقال الإمام علي^(ع): «في صفة الجنة: درجات متفاوتات، ومنازل متفاوتات، لا ينقطع نعيمها، ولا يظعن مقيمها، ولا يعدم خالدها، ولا ييأس ساكنها»^(٢).

٧ - وقال رسول الله (ص): «الجنة مائة درجة، ما بين كل درجة منها كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها سمواً، وأوسطها محلة، ومنها يتفجر أنهار الجنة»^(٣).

٨ - وقال الإمام السجاد^(ع): «عليك بالقرآن فإن الله خلق الجنة.. وجعل درجاتها على قدر آيات القرآن، فمن قرأ القرآن قال له: اقرأ وارق، ومن دخل منهم الجنة لم يكن في الجنة أعلى درجة منه ما خلا النبيون والصديقون»^(٤).

٩ - وروي عن رسول الله (ص) قوله: «إن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه ألف سنة، يرى أقصاه كما يرى أزواجه وخدمه وسرره» وروي عن رسول الله (ص) قوله: «إن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه ألف سنة، يرى أقصاه كما يرى أزواجه وخدمه وسرره»^(٥).

١٠ - وعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله^(ع): جعلت فداك

(١) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٠٧، رقم الحديث ٢٦١٢.

(٢) البحار، ج ٨، ص ١٦٢، رقم الحديث ١٠٣.

(٣) البحار، ج ٨، ص ١٩٦، رقم الحديث ١٨٤.

(٤) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٠٥، رقم الحديث ٢٦٠٤.

(٥) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٠٩، رقم الحديث ٢٦١٩.

يابن رسول الله شوقي، فقال:

«يا أبا محمد.. إن الجنة توجد ريجها من مسيرة ألف عام، وإن أدنى أهل الجنة مثلاً لو نزل به الثقلان الجن والإنس لوسعهم طعاماً وشراباً، ولا ينقص مما عنده شيء، وإن أيسر أهل الجنة منزلة من يدخل الجنة فيرفع له ثلاث حدائق، فإذا دخل أدناهم رأى فيها من الأزواج والخدم والأثمار والثمار ما شاء الله، فإذا شكر الله وحده قيل له: ارفع رأسك إلى الحديقة الثانية، ففيها ما ليس في الأولى، فيقول: يا رب أعطني هذه، فيقول: لعلني إن أعطيتها سألتني غيرها، فيقول: رب هذه.. هذه، فإذا هو دخلها وعظمت مسرته، شكر الله وحده، قال: فيقال: افتحوا له باب الجنة، ويقال له: ارفع رأسك.. فإذا فتح له باب من الخلد ويرى أضعاف ما كان فيما قبل، فيقول: عند تضاعف مسرته: رب لك الحمد الذي لا يحصى إذ مننت عليّ بالجنان وأنجيتني من النيران، فيقول: رب أدخلني الجنة، وأنجني من النار..»^(١).

١١ - وعن الإمام الباقر^(ع) قال: «إن أرض الجنة.. رخامها فضة، وتراها الورس والزعفران، وكنسها المسك، ورضوانها الدر والياقوت»^(٢).

١٢ - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣) عن النبي (ص) أنه سئل: إذا كانت الجنة عرضها السماوات والأرض فأين تكون النار؟

فقال (ص): «سبحان الله.. إذا جاء النهار فأين الليل؟!»^(٤).

ويقول العلامة الطباطبائي في تفسيره لهذه الآية: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

(١) البحار، ج ٨، ص ١٢٠، رقم الحديث ١١.

(٢) البحار، ج ٨، ص ٢١٨، رقم الحديث ٢٠٩.

(٣) سورة آل عمران، ١٣٣.

(٤) الميزان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٢٢.

السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٢٤﴾ فالمراد بالعرض السعة، وهو استعمال شائع، وكأن التعبير كناية عن بلوغها في السعة غايتها أو ما لا يحدها الوهم البشري.

وحول تفسير نفس الآية الشريفة يقول الشيخ الطبرسي في مجمعه: إن المعنى عرضها كعرض السماوات السبع والأرضين السبع إذا ضم بعض ذلك إلى بعض.. وإنما ذكر العرض بالعظم دون الطول لأنه يدل على أن الطول أعظم من العرض، وليس كذلك لو ذكر الطول دون العرض.

والسؤال: إذا كانت الجنة في السماء فكيف يكون لها هذا العرض؟

والجواب: إن الجنة فوق السماوات السبع تحت العرش.. وقيل: إن الجنة فوق السماوات السبع، والنار تحت الأرضين السبع، وقيل: إن معنى قولهم: إن الجنة في السماء أنها في ناحية السماء وجهة السماء.. لا أن السماء تحويها.. ولا ينكر أن يخلق الله في العلو أمثال السماوات والأرضين.. فقدرة الله عز وجل غير متناهية، وهو على كل شيء قدير.

١٣ - وعن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال: قلت له: إن المؤمنين يدخلان الجنة فيكون أحدهما أرفع مكاناً من الآخر فيشتهي أن يلقي صاحبه، قال: «من كان فوقه فله أن يهبط، ومن كان تحته فلم يكن له أن يصعد لأنه لم يبلغ ذلك المكان» (١).

ومن كل ما سبق من أخبار نستنتج أن أهل الجنة يتفاضلون في

(١) زهر الربيع، ص ٢٣٤.

الجنة، سواء من حيث الموقع والمكان، أو مميزات القصور، أو مواصفات الطعام والشراب، أو من حيث عدد الخدم والحدود والجواري.. إلى ما هنالك من نعيم دائم.. فكل ساكن في الجنة يُعطى من نعيم الجنة ومواصفاتها حسب ما عمله في الدنيا من أعمال صالحة، ومن قوة في الإيمان والعقيدة، ومن تمسك بالحق في السلوك والموقف والمنهج.

نعيم الجنة:

الحديث عن نعيم الجنة حديث شيق وجميل ورائع وجذاب.. لأنه حديث عن السعادة والفلاح الأبدي.. وهو كذلك حديث عن القصور الفارهة، وما فيها من حور عين، ومأكولات شهية، ومشروبات عذبة، وأنهار من لبن وعسل وخمر، وفيها كل ما تشتهيهِ النفس وتلذ به الأعين.. إنها الجنة الجميلة والرائعة والفاخرة!

وفي تصوير بديع يصور لنا القرآن الحكيم بعض أوصاف الجنة ونعيمها بأجل تصوير، وأبلغ تعبير، وأحسن تفصيل، وأدق توضيح... ولمعرفة بعض نعيم الجنة وما فيها من روعة وجمال ورفاهية دائمة.. نقرأ معاً بعض ما ورد في القرآن الكريم عن الجنة ونعيمها.. حيث ذكر الله عز وجل ذلك في عدة مواضع من الذكر الحكيم.. ومنها:

١ - قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١).

٢ - قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

(١) سورة البقرة، ٢٥.

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾.

٣ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢﴾.

٤ - قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٤٠) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥) يَبَیْضَاءُ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُتْرَفُونَ (٤٧) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ (٤٨) كَأَنَّهُمْ يَبِیْضُ مَكْنُونٌ ﴿٣﴾.

٥ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيَةٌ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿٤﴾.

(١) سورة التوبة، ٧٢.

(٢) سورة الكهف، ٣٠ - ٣١.

(٣) سورة الصافات، ٤٠ - ٤٩.

(٤) سورة الطور، ١٧ - ٢٤.

٦ - قوله تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُتَكِينِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (١٥) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَلْبُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا (٢٠) عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾^(١).

٧ - قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾^(٢).

٨ - قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُوعَةٍ (١٥) مُتَكِينِينَ عَلَيْهَا تَتَقَابِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بَأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لَا يُصَدَّغُونَ عَنْهَا وَلَا يُتْرَفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (٢٦) وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ

(١) سورة الإنسان، ١٢ - ٢٢.

(٢) سورة محمد، ١٥.

مَرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) غُرُبًا أَثْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١﴾.

أما عن الأخبار التي تتحدث عن الجنة ونعيمها فهي أكثر من أن تحصى.. ولكننا سنستعرض أهم تلك الأخبار فيما يلي:

١ - عن علي^(ع) قال: قال رسول الله (ص): «إن الله عز وجل لما خلق الجنة خلقها من لبنتين: لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وجعل حيطانها الياقوت، وسقفها الزبرجد، وحصباءها اللؤلؤ، وتراهما الزعفران والمسك الأذفر»^(٢).

٢ - وعن النبي (ص) قال: «للرجل الواحد من أهل الجنة سبعمائة ضعف مثل الدنيا، وله سبعون ألف قبة، وسبعون ألف قصر، وسبعون ألف حجلة، وسبعون ألف إكليل، وسبعون ألف حلة، وسبعون ألف حوراء عيناء، وسبعون ألف وصيف»^(٣).

٣ - وعن أبي جعفر^(ع) قال: قال رسول الله (ص): «إن أنهار الجنة تجري في غير أخدود أشد بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، طين النهر مسك أذفر، وحصاه الدر والياقوت، تجري في عيونه وأنهاره حيث يشتهي ويريد في جنانه ولي الله، فلو أضاف من الدنيا من الجن والإنس لأوسعهم طعاماً وشراباً وحلاً وحلياً لا ينقصه من ذلك شيء»^(٤).

٤ - وروي عن رسول الله (ص) قال: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي

(١) سورة الواقعة، ١٠ - ٤٠.

(٢) البحار، ج ٨، ص ١٣٢، رقم الحديث ٣٦.

(٣) البحار، ج ٨، ص ١٤٧، رقم الحديث ٧٣.

(٤) البحار، ج ٨، ص ٢١٩، رقم الحديث ٢١١.

الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»^(١).

٥ - وعن أبي عبد الله^(ع) قال: «خمسة من فاكهة الجنة في الدنيا: الرمان الأمليسي، والتفاح، والسفرجل، والعنب والرطب المشان»^(٢) (٣).

٦ - وعن جابر، عن أبي جعفر^(ع) قال: «إن أسرها من در وياقوت وذلك قول الله: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُوعَةٍ﴾ يعني أوساط السرر من قضبان الدر والياقوت مضروبة عليها الحجال، والحجال من در وياقوت، أخف من الريش، وألين من الحرير، وعلى السرر من الفرش على قدر ستين غرفة من غرف الدنيا، بعضها فوق بعض، وذلك قول الله: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ وقوله: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ يعني بالأرائك السرر الموضونة عليها الحجال»^(٤).

٧ - وعن جابر أيضاً، عن أبي جعفر^(ع) قال: «إن أهل الجنة يحيون فلا يموتون أبداً، ويستيقظون فلا ينامون أبداً، ويستغنون فلا يفتقرون أبداً، ويفرحون فلا يحزنون أبداً، ويضحكون فلا يبكون أبداً، ويكرمون فلا يهانون أبداً، ويفكهون ولا يقطبون أبداً، ويجبرون ويسرون أبداً، ويأكلون فلا يجوعون أبداً، ويروون فلا يظماون أبداً، ويكسون فلا يعرفون أبداً، ويركبون ويتزاورون أبداً، ويسلم عليهم الولدان المخلدون أبداً بأيديهم أباريق الفضة وآنية الذهب أبداً متكتئين على سرر أبداً، على الأرائك ينظرون أبداً، يأتيهم التحية والتسليم من الله أبداً نسأل الله الجنة برحمته إنه على كل شيء قدير»^(٥).

(١) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩١، رقم الحديث ٢٥٢٩.

(٢) في القاموس: الأمليسي، الفلاة ليس بها نبات، والرمان الأمليسي كأنه منسوب إليه..
والرطب المشان، نوع جيد من الرطب.

(٣) البحار، ج ٨، ص ١٣٠، رقم الحديث ٣١.

(٤) البحار، ج ٨، ص ٢١٨، رقم الحديث ٢١٠.

(٥) البحار، ج ٨، ص ٢٢٠، رقم الحديث ٢١٥.

٨ - قال رجل لرسول الله (ص): يا أبا القاسم أتزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: «نعم والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب، قال: فإن الذي يأكل تكون له حاجة والجنة طيب لا خبث فيها، قال: عرق يفيض من أحدهم كرشح المسك فيضمربطنه»^(١).

٩ - وروى هشام بن الحكم: سال الزنديق أبا عبد الله^(ع) فقال: «من أين قالوا أن أهل الجنة يأتي الرجل منهم إلى ثمة يتناولها فإذا أكلها عادت كهيتها؟

قال: نعم.. ذلك على قياس السراج يأتي القابس فيقتبس منه فلا ينقص من ضوئه شيء، وقد امتلأت الدنيا منه سرجاً.

قال: أليسوا يأكلون ويشربون.. وتزعم أنه لا تكون لهم الحاجة؟! قال: بلى.. لأن غذاءهم رقيق لا ثقل له، بل يخرج من أجسادهم بالعرق»^(٢).

١٠ - وعن عمر بن عبد الله الثقفي قال: سأل نصراني الشام الباقر^(ع) عن أهل الجنة: كيف صاروا يأكلون ولا يتغوطون؟! أعطني مثله في الدنيا، فقال^(ع): «هذا الجنين في بطن أمه يأكل مما تأكل أمه ولا يتغوط»^(٣).

١١ - وقال الإمام علي^(ع): «.. لذاثها لا تمل، ومجتمعها لا يتفرق، وسكانها قد جاوروا الرحمن، وقام بين أيديهم الغلمان بصحاف من الذهب، فيها الفاكهة

(١) البحار، ج ٨، ص ١٤٩، رقم الحديث ٨٢.

(٢) البحار، ج ٨، ص ١٣٦، رقم الحديث ٤٨.

(٣) البحار، ج ٨، ص ١٢٢، رقم الحديث ١٥.

والريحان»^(١).

١٢ - وقال الإمام الصادق^(ع): «إن من أدنى نعيم أهل الجنة أن يوجد ريحها من مسيرة ألف عام من مسافة الدنيا»^(٢).

هذه هي الجنة.. فيها كل ما تشتهيهِ النفس وتلذ به الأعين.. من بساتين وقصور، وهور عين، وصحة تامة، وعافية دائمة، وشباب دائم، وسعادة مستمرة، ورفاهية غير منقطعة، وأزواج مطهرة، وأطعمة لذيدة، وأشربة سائغة، وماء عذب، وخر لذة للشاربين.. والأهم من كل ذلك هو رضا الله عز وجل عن عباده المؤمنين ﴿وَرَضُوا مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^(٣) ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ﴾ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ^(٤).

معلومات عن الحور العين:

لقد أودع الله عز وجل في الإنسان مجموعة من الغرائز.. ومن أهم هذه الغرائز وأقواها الغريزة الجنسية، حيث يجد الإنسان -رجلاً كان أو امرأة- في النكاح لذة لا تضاهيها أية لذة أخرى، ولذلك لا يستطيع أي واحد منا أن يعيش بسعادة بدون إشباع هذه الغريزة القوية.

وفي الجنة حيث أن كل شيء أحسن وأفضل وأجود وألذ من كل ما يقابله في الدنيا.. يذكر الله عز وجل في كتابه الحكيم الحور العين في

(١) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١١١، رقم الحديث ٢٦٢٥.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١١١، رقم الحديث ٢٦٢٩.

(٣) سورة التوبة، ٧٢.

(٤) سورة البينة، ٧ - ٨.

غير سورة من سوره الشريفه.. وذلك تشويقاً وترغيباً لعبده المؤمن ، وتحفيزاً له لمضاعفة العمل الصالح ، والاستقامة على طريق الحق والهدى والصالح.

إن القرآن الحكيم يشير إلى الحور العين في عدة مواضع.. منها:

١ - قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾^(١) والحور جمع حوراء من الحور وهو شدة البياض وهن البياض الوجوه.. وقيل: الحوراء الشديدة بياض العين الشديدة سوادها.. والعين جمع العيناء وهي العظيمة العينين.

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ حال أهل الجنة ﴿زَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ المراد به التزويج المعروف يقال زوجته امرأة وبامرأة.. وقال بعض المفسرين: لا يكون في الجنة تزويج والمعنى وقرناهم بحور عين وقال الطباطبائي في تفسيره: والمراد بتزويجهم بالحور العين جعلهم قرناء لهن من المزوج بمعنى القرين وهو أصل التزويج في اللغة.. وظاهر كلامه تعالى أن الحور العين غير نساء الدنيا الداخلة في الجنة.

٢ - قوله تعالى: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾^(٢).

قال الشيخ الطبرسي في مجمعه: في تفسير قوله تعالى: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ والسرر جمع سرير، والمصفوفة: المصطفة الموصولة بعضها ببعض ﴿زَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ فالحور البياض النقيات في حسن وكمال.. والعين: الواسعات الأعين في صفاء وبهاء.. ومعناه: قرنا هؤلاء

(١) سورة الدخان، ٥٤.

(٢) سورة الطور، ٢٠.

المتقين بحور عين على وجه التمتع لهم والتمتع.. وعن زيد بن أرقم قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله (ص) فقال: يا أبا القاسم.. تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ فقال: «والذي نفسي بيده إن الرجل منهم ليؤتى قوة مائة رجل على الأكل والشرب والجماع».

٣ - قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ (٧٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١) حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿١﴾.

ونقرأ في تفسير هذه الآيات ما يلي: قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ﴾ يعني في الجنات الأربع ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ أي نساء خيرات الأخلاق، حسان الوجوه روته أم سلمة عن النبي (ص).

وقيل: خيرات فضلات في الصلاح والجمال، حسان في المناظر والألوان.

وقيل: إنهن نساء الدنيا ترد عليهم في الجنة وهن أجمل من الحور العين.

وقيل: إنهن حسان في أخلاقهن، حسان في وجوههن.

وقوله تعالى: ﴿حُورٌ﴾ أي بيض، حسان البياض، والعين الحوراء: إذا كانت شديدة بياض البياض، شديدة سواد السواد وبذلك يتم حسن العين.

وقوله تعالى: ﴿مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ الخيام جمع خيمة وهي الفسطاط، وكونهن مقصورات في الخيام أنهن مصونات غير مبتذلات لا

(١) سورة الرحمن، ٧٠ - ٧٤.

نصيب لغير أزواجهن فيهن.

وقيل: إن لكل زوجة خيمة طولها ستون ميلاً عن ابن مسعود.

وروي عن النبي (ص) أنه قال: «الخيمة ذرة واحدة طولها في السماء ستون ميلاً في كل زاوية منها أهلاً للمؤمن لا يراه الآخرون».

وعن أنس عن النبي (ص) قال: «مررت ليلة أسري بي بنهر حافته قباب المرجان فنوديت منه السلام عليك يا رسول الله.. فقلت: يا جبرائيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء جوارٍ من الحور العين استأذن ربهن عز وجل أن يسلمن عليك فأذن لهن فقلن: نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نياس، أزواج رجال كرام.. ثم قرأ (ص): ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾.

أما تفسير قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ الطمِث: الافتضاخ والنكاح بالتدمية، وأنهن لم تمسهن بالنكاح إانس ولا جان قبل أزواجهن.

وقال الشيخ الطبرسي: أصل الطمِث: الدم.. يقال: طمِثت المرأة إذا حاضت، وطمِثت إذا دميت بالافتضاخ.. فقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ أي لم يفتضهن.. والافتضاخ: النكاح بالتدمية والمعنى: لم يطأهن ولم يغشهن ﴿إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ فهن أبكار لأنهن خلقن في الجنة.

٤ - قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عَيْنٌ﴾ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ^(١). والمعنى: ولهم - في الجنة - حور عين، أو وفيها حور عين، والحور العين نساء الجنة.

(١) سورة الواقعة، ٢٢ - ٢٣.

أما قوله تعالى: ﴿كَأَمْثَالِ اللَّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ أي اللؤلؤ المصون المخزون في الصدف لم تمسه الأيدي.. فهو منته في صفاته.. وهذا كناية عن معان حسية ونفسية لطيفة في هؤلاء الحور الواسعات العيون!

ولذلك فإن جمال الحور العين هو أروع وأكمل الجمال، حيث تكون عينها.. في السواد: شديد السواد، وفي البياض: شديد البياض، واسعة العين.. أما سائر أعضائها فهي لامعة بيضاء.. تماماً مثل اللؤلؤ عندما ينفتح عنه الصدف حيث يشع بياضاً.. إنه روعة الجمال، وقمة الكمال!

وإذا كنت ترغب في المزيد من المعلومات عن الحور العين وجمالهن وما يتعلق بهن.. اقرأ هذه الأحاديث:

١ - قال أمير المؤمنين^(ع): قال النبي (ص): «إن في الجنة سوقاً ما فيها شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء، من انتهى صورة دخل فيها، وإن فيها مجمع حور العين يرفعن أصواتهن بصوت لم يسمع الخلائق بمثله: نحن الناعمات فلا نياس أبداً، ونحن الطاعمات فلا نجوع أبداً، ونحن الكاسيات فلا نعري أبداً، ونحن الخالدات فلا نموت أبداً، ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، فطوبى لمن كنا له وكان لنا، نحن خيرات حسان، أزواجنا أقوام كرام»^(١).

٢ - وعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله^(ع): جعلت فداك زدني، قال: «يا أبا محمد إن في الجنة فمراً في حافتيها جوار نابتات، إذا مرَّ المؤمن بجارية أعجبتة قلعتها وأنبت الله مكانها أخرى.

قلت: جعلت فداك زدني.

قال: المؤمن يزوج ثمانمائة عذراء وأربعة آلاف ثيب وزوجتين من الحور

(١) البحار، ج ٨، ص ١٤٨، رقم الحديث ٧٦.

العين.

قلت: جعلت فداك ثمان مائة عذراء؟!!

قال: نعم.. ما يفترش منهن شيئاً إلا وجدها كذلك.

قلت: جعلت فداك من أي شيء خلقن الحور العين؟

قال: من الجنة (من تربة الجنة النورانية) ويرى مخ ساقبها من وراء سبعين

حلة.

قلت: جعلت فداك ألهن كلام يتكلمن به في الجنة؟

قال: نعم.. كلام يتكلمن به لم يسمع الخلائق بمثله.

قلت: ما هو؟

قال: يقلن: نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نياس، ونحن

المقيمات فلا نطعن، ونحن الراضيات فلا نسخط، فطوبى لمن خلق لنا، وطوبى لمن خلقنا له، نحن اللواتي (لو علق إحدانا في جو السماء لأغنى نورنا عن الشمس والقمر) لو أن قرن إحدانا علق في جو السماء لأغشى نوره الأبصار»^(١).

٣ - روى هشام بن الحكم: سأل الزنديق أبا عبد الله^(ع) فقال:

كيف تكون الحوراء في كل ما أتاها زوجها عذراء؟

قال: «إنها خلقت من الطيب لا تعترها عاهة، ولا تخالط جسمها آفة، ولا

يجري في ثقبها شيء، ولا يدنسها حيض، فالرحم ملتزقة، إذ ليس فيه لسوى الإحليل مجرى.

قال: فهي تلبس سبعين حلة ويرى زوجها مخ ساقبها من وراء

حللها وبدنها؟

قال: نعم.. كما يرى أحدكم الدراهم إذا ألقيت في ماء صاف قدره قيد

(١) البحار، ج ٨، ص ١٢٠، رقم الحديث ١١.

رمح»^(١).

٤ - وقال أبو إسحاق الموصلي: إن قوماً سألوا الرضا^(ع) عن الحور العين مما خلقن؟ فقال^(ع): «أما الحور العين فإنهن خلقن من الزعفران والتراب لا يفنين»^(٢).

٥ - عن أبي بصير، عن أبي عبد الله^(ع) في قول الله: ﴿لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ قال: «لا يحضن ولا يحدثن»^(٣).

٦ - وقال أبو عبد الله^(ع): «إن أهل الجنة ما يتلذذون بشيء في الجنة أشهى عندهم من النكاح، لا طعام ولا شراب»^(٤).

٧ - وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله^(ع) قال: «إن في الجنة فهراً حافتاه حور نابتات، فإذا مرَّ المؤمن بإحداهن فأعجبته اقتلعها فأنبت الله عزَّ وجلَّ مكانها»^(٥).

٨ - وعن أبي عبد الله^(ع): قال: «لو أن حوراء من حور الجنة أشرقت على أهل الدنيا وأبدت ذؤابة من ذوائبها لأمتن أهل الدنيا - أو لأماتت أهل الدنيا - وإن المصلي ليصلي فإذا لم يسأل ربه أن يزوجه من الحور العين قلن: ما أزهد هذا فينا!»^(٦).

هذا هو جمال الحور العين.. إنهن في غابة الكمال، وروعة الجمال،

(١) البحار، ج ٨، ص ١٣٦، رقم الحديث ٤٨.

(٢) البحار، ج ٨، ص ١٢٢، رقم الحديث ١٤.

(٣) البحار، ج ٨، ص ١٣٩، رقم الحديث ٥٢.

(٤) البحار، ج ٨، ص ١٣٩، رقم الحديث ٥٣.

(٥) البحار، ج ٨، ص ١٦٢، رقم الحديث ١٠٢.

(٦) البحار، ج ٨، ص ١٩٩، رقم الحديث ٢٠٠.

ومنتهى الصفاء والبياض والحسن والرشاقة!

ولابد هنا من التساؤل حول جمال وصفات الرجال الذين سيحفظون بالخور العين؟

للإجابة عن هذا التساؤل.. نقرأ الحديث الذي رواه جابر، عن أبي جعفر^(ع) حيث يقول:

«إن أهل الجنة جرد مرد مكحلين مكللين مطوقين مسورين محتمين ناعمين محبورين مكرمين، يعطى أحدهم قوة مائة رجل في الطعام والشراب والشهوة والجماع، قوة غذائه قوة مائة رجل في الطعام والشراب، ويجد لذة غذائه مقدار أربعين سنة، ولذة عشائه مقدار أربعين سنة، قد ألبس الله وجوههم النور، وأجسادهم الحرير، بيض الألوان، صفر الحلي، خضر الثياب»^(١).

وروي عن رسول الله (ص) قوله: «أهل الجنة جرد، مرد، كحل، لا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم»^(٢).

وروي عنه (ص) أيضاً أنه قال: «يدخل أهل الجنة، الجنة، جرداً، مرداً، مكحلين أبناء ثلاثين، أو ثلاث وثلاثين»^(٣).

فطوبى للخور العين بهؤلاء الرجال الصالحين، وهنيئاً للرجال المؤمنين لفوزهم بالخور العين!

الفناء في الجنة:

ومن نعم الجنة ولذاتها هو سماع الأغاني الجميلة والرائعة التي

(١) البحار، ج ٨، ص ٢٢٠، رقم الحديث ٢١٤.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١١٤، رقم الحديث ٢٦٤٥.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١١٤، رقم الحديث ٢٦٤٦.

يتغنى بها الحور العين لأهل الجنة.. كما أن هناك أشجاراً تبث الطرب والغناء.. وذلك لإضفاء المزيد من السرور والسعادة والبهجة في قلوب أهل الجنة.

وأغاني الجنة ليست كأغاني الدنيا، إذ أن غناء الدنيا يشمل - في الأغلب - على الرقص والمجون والانحراف والاختلاط والقول المحرم.. ولذلك حرم الفقهاء هذا الغناء.. لأنه مدعاة للفساد والانحراف والابتعاد عن الله تبارك وتعالى.. بينما أغاني الجنة تشمل على التسبيح والتحميد والتهليل والقول المباح.. وهي تدخل السرور والطرب واللذة السمعية في قلب المؤمن.. وذلك تعويض له لتركه سماع الأغاني المحرمة في الدنيا مخافة الله عز وجل.

ولعلك - عزيزي القارئ - قد اشتقت الآن لمعرفة المزيد عن أغاني الجنة.. وإليك هذه الأحاديث التي توضح لك ذلك:

١ - عن أبي الدرداء قال: كان رسول الله (ص) يذكر الناس فذكر الجنة وما فيها من الأزواج والنعيم، وفي القوم أعرابي فجثا لركبتيه وقال: يا رسول الله.. هل في الجنة من سماع؟ قال: «نعم يا أعرابي، إن في الجنة لنهراً حافتاه أبكار من كل بيضاء، يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط، فذلك أفضل نعيم الجنة» قال الراوي: سألت أبا الدرداء: بم يتغنين؟ قال: بالتسبيح^(١).

٢ - وقال رسول الله (ص): «ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجله ثنتان من الحور تغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن،

(١) البحار، ج ٨، ص ١٩٦، رقم الحديث ١٨٢.

وليس بمزمار الشيطان ولكن بتمجيد الله وتقديسه»^(١).

٣ - وروي أن رجلاً قام فقال: يا رسول الله.. إني رجل حبيب إليَّ الصوت، فهل لي في الجنة صوت حسن؟ فقال: «أي والذي نفسي بيده، إن الله تعالى يوحى إلى شجرة في الجنة أن أسمعي عبادي الذين اشتغلوا بعبادتي وذكرى عن عزف الرباط والمزامير، فترفع صوتاً لم يسمع الخلائق بمثله قط من تسبيح الرب»^(٢).

٤ - وعن عاصم بن حميد قال: قلت لأبي عبد الله^(ع): جعلت فداك إني أردت أن أسألك عن شيء أستحيي منه. قال: سل.

قلت: هل في الجنة غناء؟!

قال: «إن في الجنة شجراً يأمر الله ريحها فتذهب فتضرب تلك الشجرة بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها حسناً، ثم قال: هذا عوض لمن ترك السماع في الدنيا من مخافة الله»^(٣).

٥ - وجاء عن مولانا أمير المؤمنين^(ع) قوله: «إن داود^(ع) صاحب المزامير - أي النغمات - وقارئ أهل الجنة»^(٤).

٦ - وروي: «إن من حور العين من يتغنين كل واحدة بسبعين نغمة لو خرجت منها واحدة إلى الدنيا لما أطاقوا سماعها وماتوا عن آخرهم» ولا منافاة

(١) البحار، ج ٨، ص ١٩٥، رقم الحديث ١٨١.

(٢) البحار، ج ٨، ص ١٩٦، رقم الحديث ١٨٤.

(٣) البحار، ج ٨، ص ١٢٦، رقم الحديث ٢٧.

(٤) زهر الربيع، ص ٢٣٤.

بين هذه الأخبار لتعدد موارد الغناء^(١).

هذه هي أغاني الجنة.. فإن كنت ترغب وتحب سماعها فما عليك إلا أن تترك سماع الأغاني المحرمة في هذه الدنيا الفانية.

ولنسمح لأنفسنا أن نستعير مقولة أحد الحكماء التي يقول فيها:

يا هذا.. الدنيا خالية من اللذات.. وما يتوهم فيها فإنما هو دفع
آلام.. وعليك بالآخرة.. فإنك إن كنت من عبيد البطن: ﴿وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِمَّا
يَشْتَهُونَ﴾^(٢) وإن كنت من عبيد الفرج: ﴿وَزَوْجَانَهُمْ بِحُورٍ عَيْنٍ﴾^(٣) وإن
كنت من أهل النظر: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلِدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ
لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾^(٤) وإن كنت من أهل المسامرة فـ: ﴿عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾^(٥)
وإن كنت من أهل السماع: فداود صاحب المزامير وقارئ أهل الجنة..
وأن في شجر الجنة أجراساً معلقات.. فإذا أراد أهل الجنة الغناء هبت
ريح طيبة فتحركت الأوراق من الأشجار.. وخرج من كل جرس سبعون
نغمة من نغمات السماع.. لو أن أهل الدنيا سمعوا منها نغمة لما تروا عن
آخرهم من الشوق!.. وإن كنت من عشاق الحقيقة فـ: ﴿رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ
أَكْبَرُ﴾^(٦).

(١) زهر الربيع، ص ٢٣٤.

(٢) سورة الواقعة، ٢١.

(٣) سورة الدخان، ٥٤.

(٤) سورة الإنسان، ١٩.

(٥) سورة الصافات، ٤٤.

(٦) سورة التوبة، ٧٢.

نهاية الرحلة:

وبعد أن قمنا برحلة سريعة في أرجاء الجنة، وتعرفنا على أهم معالمها، واطلعنا على أبرز ما فيها من نعم وملذات ولذات حسية ومعنوية، وعلمنا أن السعادة الحقيقية هي لأهل الجنة، وأن الخلود الأبدي.. والنعيم الدائم.. والراحة المتواصلة.. لن يحصل عليها إلا من يدخل الجنة.

ولاشك أنك الآن قد اشتقت إلى الجنة، وأنتك مندفع بقوة للفوز بها.. ولكن للجنة ثمنها.. هذا الثمن يتمثل في المداومة على العمل الصالح.. والالتزام بما أمر به الله من واجبات.. والاجتناب عما نهى الله عنه من محرمات.. والتحلي بأخلاقيات وسلوكيات المؤمن.. وعندما تلتزم بكل ذلك.. تكون مؤهلاً لدخول الجنة.. والتنعيم فيها إلى الأبد!

تعرف على نار جهنم

إن مبدأ الثواب والعقاب هو خير وسيلة للتربية الصالحة، وأهم حافز ومنشط للعمل الصالح، وأقوى رادع عن العمل الفاسد، فالرغبة في الجنة تجعل الإنسان مؤمناً، تقيّاً، ورعاً، خلوقاً، متعاوناً، ملتزماً، متوازناً.. في حين أن الخوف من النار تجعله يمتنع عن ارتكاب المحرمات والموبقات والمنكرات.. ومن هنا نستطيع أن ندرك فلسفة الثواب والعقاب في الآخرة.. أو لنقل فلسفة الجنة والنار.

وقد حذر الله عز وجل عباده من مغبة الاستخفاف بحدود الله، وارتكاب الموبقات والردائل، لأن ذلك سيؤدي إلى السقوط في نار جهنم.

ويكفي أن تعلم أن كلمة (النار) قد وردت في القرآن (١٠٢) مرة.. لتذكير الإنسان وتنبيهه من الغفلة والنسيان، وتحذيره من مخالفة أوامر الله عز وجل.

ولنقرأ بعض ما ورد في القرآن الكريم بهذا الصدد:

١ - يقول الله تعالى: ﴿.. أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(١).

٢ - يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾^(٢).

٣ - يقول الله تعالى: ﴿.. وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمْتُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٣).

٤ - يقول الله تعالى: ﴿.. إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾^(٤).

٥ - يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(٥).

٦ - يقول الله تعالى: ﴿.. وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا

(١) سورة البقرة، ٨٥ - ٨٦.

(٢) سورة البقرة، ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٣) سورة البقرة، ٢١٧.

(٤) سورة النساء، ١٤٠.

(٥) سورة الأعراف، ١٧٩.

فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ وَلَيْكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١﴾.

٧ - يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ (٢).

٨ - يقول الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا (١٢) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤) قُلْ أُولَئِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ (٣).

بالإضافة إلى هذه الآيات وغيرها.. هناك مئات من الأحاديث المروية عن الرسول (ص) والأئمة (ع) الواردة بهذا الشأن.. ومن هذه الأحاديث والروايات ما يلي:

١ - عن رسول الله (ص) قال: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، لكل جزء منها حرها» (٤).

٢ - وعنه (ص) قال: «أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان: الفم والفرج» (٥).

٣ - وعن الإمام علي (ع) قال: «احذروا ناراً قعرها بعيد، وحرها شديد، وعذابها جديد، دار ليس فيها رحمة، ولا تسمع فيها دعوة، ولا تفرج فيها

(١) سورة الأنفال، ٣٦ - ٣٧.

(٢) سورة المؤمنون، ١٠٣ - ١٠٤.

(٣) سورة الفرقان، ١١ - ١٥.

(٤) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٦٣، رقم الحديث ٢٨٩٠.

(٥) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٧٠، رقم الحديث ٢٩٠٧.

كربة»^(١).

٤ - وعنه^(٢) قال: «اعلموا أنه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار فارحموا نفوسكم، فإنكم قد جربتموها في مصائب الدنيا، فرأيتم جزع أحدكم من الشوكة تصيبه، والعثرة تدميه، والرمضاء تحرقه، فكيف إذا كان بين طابقين من نار، ضجيع حجر، وقرين شيطان!...»^(٣).

٥ - وقال^(٤) أيضاً في وصف النار: «قعرها بعيد، وحرها شديد، وشراها صديد، وعذابها جديد، ومقامها حديد، لا يفتر عذابها، ولا يموت ساكنها، دار ليس فيها رحمة، ولا تسمع لأهلها دعوة»^(٥).

٦ - وقال أبو عبد الله^(٦): «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، ثم أطفئت سبعين مرة بالماء ثم التهيت، ولولا ذلك ما استطاع آدمي أن يطيقها (يطفئها) وإنه ليؤتى بها يوم القيامة حتى توضع على النار فتصرخ صرخة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه فرعاً من صرختها»^(٧).

٧ - وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله^(٨) قال: قلت له: يا ابن رسول الله خوفي فإن قلبي قد قسا.

قال^(٩): «يا أبا محمد.. استعد للحياة الطويلة، فإن جبرئيل جاء إلى النبي (ص) وهو قاطب وقد كان قبل ذلك يجيء وهو متبسم. فقال رسول الله (ص): يا جبرئيل جئتني اليوم قاطباً، فقال: يا محمد قد وضعت منافخ النار، فقال: وما منافخ النار يا جبرئيل؟ فقال: يا محمد إن الله عز وجل أمر بالنار فنفخ عليها ألف

(١) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٦٢، رقم الحديث ٢٨٨٥.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٦٤، رقم الحديث ٢٨٩٤.

(٣) البحار، ج ٨، ص ٢٨٦، رقم الحديث ١٦.

(٤) البحار، ج ٨، ص ٢٨٨، رقم الحديث ٢١.

عام حتى ابيضت، ثم نفخ عليها ألف عام حتى احمرت، ثم نفخ عليها ألف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة، لو أن قطرة من الضريع قطرت في شراب أهل الدنيا لمت أهلها من ننتها، ولو أن حلقة واحدة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرها، ولو أن سربالاً من سراويل أهل النار علق بين السماء والأرض لمت أهل الدنيا من ريحه.

قال: فبكى رسول الله (ص) وبكى جبرئيل، فبعث الله إليهما ملكاً فقال لهما: إن ربكما يقرؤكما السلام ويقول: قد أمنتكما إن تذنبا ذنباً أعذبكما عليه، فقال أبو عبدالله^(ع): فما رأى رسول الله (ص) جبرئيل متبسماً بعد ذلك.

ثم قال: إن أهل النار يعظمون النار، وإن أهل الجنة يعظمون الجنة والنعيم، وإن جهنم إذا دخلوها هبوا فيها مسيرة سبعين عاماً، فإذا بلغوا أعلاها قمعوها بمقامع الحديد، وأعيدوا في دركها، فهذه حالهم، وهو قول الله عز وجل: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، ثم تبدل جلودهم غير الجلود التي كانت عليه.

ثم قال أبو عبدالله^(ع): حسبك.. !

قلت: حسبي.. حسبي..^(١).

والأخبار التي وردت في المقام متواترة وكثيرة.. وكلها تشير إلى شدة عذاب نار جهنم.. وما فيها من نكال وعذاب، وأغلال وسلاسل من نار... إنها رسالة تحذير لكل واحد منا.. فلنحذر التهاون بأوامر الله، والاستخفاف بحدود الله، والانغماس في الشهوات والملذات المحرمة، والابتعاد عن طريق الحق.. فإن ذلك لن يؤدي إلا إلى السقوط في نار جهنم!

(١) البحار، ج ٨، ص ٢٨٠، رقم الحديث ١.

اعتقادنا في النار:

أوضح كبار علمائنا ما يجب على المكلف الاعتقاد به بخصوص النار.. ونكتفي هنا بنقل أهم هذه الأقوال:

يقول الشيخ الصدوق (رحمه الله) في العقائد:

«اعتقادنا في النار أنها دار الهوان، ودار الانتقام من أهل الكفر والعصيان، ولا يخلد فيها إلا أهل الكفر والشرك، فأما المذنبون من أهل التوحيد فإنهم يخرجون منها بالرحمة التي تدركهم والشفاعة التي تنالهم. وروي.. أنه لا يصيب أحداً من أهل التوحيد ألم في النار إذا دخلوها، وإنما يصيبهم الآلام عند الخروج منها، فتكون تلك الآلام جزاء بما كسبت أيديهم وما الله بظلام للعبيد.

وأهل النار هم المساكين حقاً لا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها، لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً، وإن استطعموا أطعموا من الزقوم، وإن استغاثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفعاً، ينادون من مكان بعيد: ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، فيمسك الجواب عنهم أحياناً ثم قيل لهم: اخسئوا فيها ولا تكلمون، ونادوا: يا مالِك ليَقضِ علينا ربك، قال: إنكم ماكثون.

وروي... أنه يأمر الله عز وجلّ برجالٍ إلى النار فيقول لمالك: قل للنار لا تحرقيهم أقداماً فقد كانوا يمشون إلى المساجد، ولا تحرقيهم أيدياً فقد كانوا يرفعونها إلي بالدعاء، ولا تحرقيهم ألسنة فقد كانوا يكثرون تلاوة القرآن، ولا تحرقيهم وجوهاً فقد كانوا يسبغون الوضوء، فيقول مالك: يا أشقياء.. فما كان عملكم؟ فيقولون: كنا نعمل لغير الله، فقل

لنا: خذوا ثوابكم ممن عملتم له!«.

وقال الشيخ المفيد (رحمه الله) في تصحيح الاعتقاد:

«وأما النار، فهي دار من جهل الله سبحانه، وقد يدخلها بعض من عرفه بمعصية الله تعالى، غير أنه لا يخلد فيها بل يخرج منها إلى النعيم المقيم، وليس يخلد فيها إلا الكافرون.

وقال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾^(١) يريد بالصلي ها هنا الخلود فيها، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقَبَّلُ مِنْهُمْ﴾^(٣) وكل آية تتضمن ذكر الخلود في النار فإنما هي في الكفار دون أهل المعرفة بالله تعالى بدلائل العقول والكتاب المسطور والخبر الظاهر المشهور والإجماع».

وقال الفقيه الفاضل المقداد السيوري في شرحه الباب الحادي عشر ما نصه:

«يجب الإقرار والتصديق بأحوال القيامة وأوضاعها وكيفية الحساب وخروج الناس من قبورهم عراة حفاة^(٤)، وكون كل نفس معها سائق وشهيد، وأحوال الناس في الجنة، وتباين طبقاتهم وكيفية نعيمها من المأكّل والمشرب والمنكح وغير ذلك، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت

(١) سورة الليل، ١٤ - ١٦.

(٢) سورة النساء، ١٥٦.

(٣) سورة المائدة، ٣٦.

(٤) لقد أوضحنا بالتفصيل ما يتعلق بهذا المورد في موضوع (مشاهد يوم القيامة) فقرة: المشهد الأول: الحشر.. فتأمل.

ولا خطر على قلب بشر، وكذا أحوال النار وكيفية العقاب فيها وأنواع آلاتها على ما وردت بذلك الآيات والأخبار الصحيحة، وأجمع عليه المسلمون لأن ذلك جميعه أخبر به الصادق مع عدم استحالة في العقل فيكون حقاً، وهو المطلوب».

صور من عذاب جهنم:

كيف يعيش أهل النار؟!

ماذا يأكلون؟!

وماذا يشربون؟!

وماذا يلبسون؟!!

وكيف ينامون؟!

للإجابة على هذه الأسئلة نحاول أن نرسم صورة واضحة عن جهنم لتقريب الحقيقة إلى ذهن.. وذلك من خلال الآيات الكثيرة والروايات المتواترة التي تحدثت عن هذا الموضوع.. وإليك هذه الصور الواضحة من عذاب جهنم:

١. طعام أهل النار:

طعام أهل النار على عدة أنواع وهي:

أ - الزقوم: يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ﴾^(١) والزقوم: شجرة في النار يقتاتها أهل النار لها ثمرة مرة خشنة اللمس منتنة الرائحة، ويقول تعالى في سورة الصافات: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ

(١) سورة الدخان، ٤٣ - ٤٦.

الْجَحِيمِ ﴿١﴾ أي أن الزقوم شجرة تنبت في قعر جهنم، وأغصانها ترفع إلى دركاتها، ولا يبعد أن يخلق الله سبحانه بكمال قدرته شجرة في النار من جنس النار، أو من جوهر لا تأكله النار ولا تحرقه، كما أنها لا تحرق السلاسل والأغلال فيها، وكما لا تحرق حياتها وعقاربها.

أما قوله تعالى: ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ الأثيم: من استقر فيه الإثم إما بالمدامة على معصية أو بالإكثار من المعاصي ﴿كَالْمُهْلِ﴾ وهو المذاب من النحاس أو الرصاص أو الذهب أو الفضة ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ أي إذا حصلت في أجواف أهل النار تغلي كغلي الماء الحار الشديد الحرارة.

ب - الغسلين: يقول تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلَيْنِ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٢﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ أي صديق ينفعه ﴿وَلَا طَعَامٌ﴾ أي ولا له اليوم طعام ﴿إِلَّا مِنْ غِسْلَيْنِ﴾ وهو صديد أهل النار وما يجري منهم، وقيل: الغسلين: هو ما يخرج من بطون أهل النار بعد أكلهم للزقوم، فيكون لهم طعاماً مجدداً. ﴿لَا يَأْكُلُهُ﴾ أي لا يأكل الغسلين ﴿إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ وهم الجائرون عن طريق الحق عامدين، والفرق بين الخاطئ والمخطئ: أن المخطئ قد يكون من غير عمد.. والخاطئ: المذنب المتعمد الجائر عن الصراط المستقيم.

ج- الضريع: يقول تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ (٦) لَا

(١) سورة الصافات، ٦٤.

(٢) سورة الحاقة، ٣٥ - ٣٧.

يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿١﴾ والضرير هو: نوع من الشوك يقال له الشبرق، وأهل الحجاز يسمونه الضرير إذا يبس وهو أخبث طعام وأبشعه لا ترعاه دابة.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص) «الضرير شيء يكون في النار يشبه الشوك أمر من الصبر، وأنتن من الجيفة، وأشد حراً من النار، سماه الله الضرير» (٢).

وقال الإمام الصادق (ع): «لو أن قطرة من الضرير قطرت في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها» (٣).

وهذا الضرير هو طعام أهل النار ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ أي لا يدفع جوعاً ولا يسمن أحداً.

وبهذا يتضح لنا أن أهل النار طبقات.. وأنه لكل طبقة من طبقات النار نوع خاص من الطعام: فمنهم من طعامه الزقوم.. ومنهم من طعامه الغسلين.. ومنهم من طعامه الضرير.

٢ - شراب أهل النار:

يوجد في النار عدة أنواع من المياه والشراب أعد خصيصاً لأهل النار.. ومن هذه الأنواع ما يلي:

أ - الحميم: يقول الله تعالى: ﴿.. وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ

(١) سورة الغاشية، ٦ - ٧.

(٢) مجمع البيان، ج ١٠، ص ٧٢٦.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٦٦، رقم الحديث ٢٨٩٩.

حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١﴾. والحميم: ماء يشربه أهل النار، وهو ما إن يقترب من الأفواه حتى يحرق الوجوه، ويسقط لحومها، وإذا دخل جوف بني آدم يقطع أمعائه، يقول تعالى: ﴿.. وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢﴾﴾ ويقول تعالى: ﴿.. وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿٣﴾﴾ أي من شدة حرارة الحميم يقطع الأمعاء إذا دخل في الجوف.

ب - الصديد: يقول تعالى: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿٤﴾﴾ والصديد: القيح يسيل من الجرح، أخذ من أنه يصد عنه تكرهاً له، والقيح دم مختلط بمدة، والمدة: ما يجتمع في الجرح من القيح.

وقوله تعالى: ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ أي ويسقى مما يسيل من الدم والقيح من فروج الزواني في النار عن أبي عبد الله (ع) وأكثر المفسرين أو لونه لون الماء، وطعمه طعم الصديد، وروى أبو أمامة عن النبي (ص) في قوله: ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ قال: يقرب إليه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه، فإذا شرب قطع أمعائه حتى يخرج من دبره.

وقال رسول الله (ص): «من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين يوماً، فإن مات وفي بطنه شيء من ذلك كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة خبال،

(١) سورة يونس، ٤.

(٢) سورة الكهف، ٢٩.

(٣) سورة محمد، ١٥.

(٤) سورة إبراهيم، ١٦ - ١٧.

وهو صديد أهل النار، وما يخرج من فروج الزناة فيجتمع ذلك في قدور جهنم فيشربه أهل النار فيصهر به ما في بطونهم والجلود».

أما قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ أي يشرب ذلك الصديد جرعة جرعة ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ أي لا يقارب أن يشربه تكرهاً له وهو يشربه.. والمعنى: أن نفسه لا تقبل لحرارته ومنتنه ولكنه يكره عليه!

وقال أمير المؤمنين^(ع): «إن أهل النار لما غلى الزقوم والضريع في بطونهم كغلي الحميم سألوا الشراب فأتوا بشراب غساق وصديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ، وحميم يغلي في جهنم منذ خلقت كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً»^(١).

ج- الغساق: يقول الله تعالى: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾^(٢) والغساق: قيح شديد النتن، وقيل: هو مشتق من الغسق وهو السواد والظلمة، أي هو على ضد ما يراد في الشراب من الضياء والرقّة.. فقلوه تعالى: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ أي هذا حميم وغساق فليذوقوه.

وقيل معناه هذا الجزاء للظالمين فليذوقوه، وأطلق عليه لفظ الذوق لأن الذائق يدرك الطعم بعد طلبه فهو اشد إحساساً به، والحميم: الماء الحار، والغساق: البارد الزمهرير.. فيكون المعنى أنهم يعذبون بحار الشراب الذي انتهت حرارته، وبارد الذي انتهت برودته فيبرده يحرق كما يحرق النار.

وقيل: إن الغساق عين في جهنم يسيل إليها سم كل ذات حمة من

(١) البحار، ج ٨، ص ٣٠٢، رقم الحديث ٥٨.

(٢) سورة ص، ٥٧ - ٥٨.

حية وعقرب.

وقيل: هو ما يسيل من دموعهم يسقونه مع الحميم.

وقيل: هو القيح الذي يسيل منهم يجمع ويسقونه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرُ﴾ أي وضروب آخر ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ أي من شكل هذا العذاب وجنسه ﴿أَزْوَاجٌ﴾ أي ألوان وأنواع متشابهة في الشدة لا نوع واحد.

د - المهل: يقول الله تعالى: ﴿.. إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾^(١) والمهل: خثارة الزيت.. وقيل: هو النحاس الذائب.

أما تفسير الآية الكريمة.. فقله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ أي هيأنا وأعدنا ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ أي للكافرين الذين ظلموا أنفسهم بعبادة غير الله تعالى ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ والسرادق: حائط من نار يحيط بهم ﴿وَأَنْ يَسْتَغِيثُوا﴾ من شدة العطش وحر النار ﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ وهو كل شيء أذيب كالرصاص والنحاس والصفير.. وقيل: كعكر الزيت إذا قرب إليه سقطت فروة رأسه.. وقيل: هو القيح والدم.. وقيل: إنه ماء أسود، وإن جهنم سوداء، وماؤها أسود، وشجرها أسود، وأهلها سود ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ أي ينضجها عند دنوه منها ويحرقها، وإنما جعل سبحانه ذلك إغاثة لا اقترانه بذكر الإغاثة ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ ذلك المهل ﴿وَسَاءَتْ﴾ النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾ أي متكأ لهم.. وقيل: ساءت مجتمعاً مأخوذ من المرافقة وهي الاجتماع.. وقيل: منزلاً ومستقراً.

(١) سورة الكهف، ٢٩.

هذا هو شراب أهل النار.. كل ما فيه أنه يقطع الأمعاء، ويحرق الجسم، ويشوي الوجوه، ويسقط الشعر، ويزيد المعضب عذاباً ونكالاً.. ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ!

٣ . سلاسل وأغلال:

ومن صور العذاب في نار جهنم هو وضع الأغلال في الأعناق، وربط الكفار بالسلاسل.. يقول الله تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾^(١).

في اللغة: الأغلال جمع غل وهو طوق يدخل في العنق للذل والألم.. والسلاسل: جمع سلسلة وهي الحلق منتظمة في جهة الطول مستمرة.

أما تفسير الآية الكريمة: فقلوه تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ أي يعلمون وبال أمرهم في حال تكون الأغلال في أعناقهم ﴿وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ﴾ أي يجرون في الماء الحار الذي قد انتهت حرارته ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ أي ثم يقذفون في النار ويلقون فيها.. وقيل: معناه ثم يصيرون وقود النار، أي توقد بهم النار.

وقال الله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾^(٢).

وتفسير هذه الآية الشريفة: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ أي أوثقوه بالغل وهو أن تشد إحدى يديه ورجليه إلى عنقه بجامعة ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي ثم أدخلوه النار العظيمة وألزموه إياها ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا﴾ أي طولها

(١) سورة غافر، ٧١ - ٧٢.

(٢) سورة الحاقة، ٣٠ - ٣٢.

﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ أي اجعلوه فيها لأنه يؤخذ عنقه فيها ثم يجر بها.. وقيل: إنما تدخل في فيه وتخرج من دبره فعلى هذا يكون المعنى: ثم اسلكوا السلسلة فيه.. وقيل: إن جميع أهل النار في تلك السلسلة ولو أن حلقة منها وضعت على جبل لذاب من حرها!

وروي عن رسول الله (ص) قوله: «لو أن حلقة واحدة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرها!».

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾^(١).

فقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ أي هيأنا وادخرنا لهم جزاء على كفرانهم وعصيانهم ﴿سَلَاسِلًا﴾ يعني في جهنم - كما قال: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ - ﴿وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ نار موقدة نعذبهم بها ونعاقبهم فيها.

وقال العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية: الإعتاد: التهيئة، وسلاسل جمع سلسلة وهي القيد الذي يقاد به المجرم، وأغلال جمع غل بالضم وهي القيد الذي يجمع اليدين على العنق، والسعير النار المشتعلة، والمعنى ظاهر.

إذن.. نستنتج من كل ما سبق: أن الله سبحانه وتعالى قد أعد للكافرين سلاسل للأقدام، وأغلالاً للأيدي والأعناق، وناراً تستعر تلقى فيها بالمسلسلين المغلولين!.. وذلك لزيادة عذابهم جزاءً لهم لكفرهم وعصيانهم لأوامر الله تعالى.

(١) سورة الإنسان ، ٤.

٤ - سراييل القطران:

ومما يعذب الكفار في النار هو إلباسهم سراييل القطران.. يقول الله تعالى عن ذلك: ﴿سَرَّابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾^(١) السربال: القميص، فقله تعالى: ﴿سَرَّابِيلُهُمْ﴾ أي قميصهم ﴿مِنْ قَطْرَانٍ﴾ وهو ما يطلى به الإبل، شيء أسود، لزج، منتن، يطلون به فيصير كالقميص عليهم، ثم يرسل النار فيهم لتكون أسرع إليهم، وأبلغ في الاشتعال، وأشد في العذاب ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ أي وتصيب وجوههم النار لا قطران عليها.

ويقول الله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾^(٢).

وتفسير هذه الآية الكريمة: قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ قال ابن عباس: حين صاروا إلى جهنم لبسوا مقطعات النيران وهي الثياب القصار، وقيل: يجعل لهم ثياب نحاس من نار وهي أشد ما تكون حراً. ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ أي الماء المغلي فيذهب ما في بطونهم من الشحوم وتساقط الجلود، وفي خبر مرفوع: أنه يصب على رؤوسهم الحميم فينفذ إلى أجوافهم فيسلت ما فيها ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ أي يذاب وينضج بذلك الحميم ما فيها من الأمعاء وتذاب به الجلود ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ المقمعة شبه الجز من الحديد يضرب بها الرأس وروى أبو سعيد الخدري قال: قال

(١) سورة إبراهيم، ٥٠.

(٢) سورة الحج، ١٩ - ٢١.

رسول الله (ص) في قوله: ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾: «لو وضع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الأرض».

وقيل: إن النار ترميهم بلهبها حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً فإذا انتهوا إلى أسفلها ضربهم زفير لهبها فلا يستقرون ساعة! فذلك قوله: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

وروي عن الرسول (ص) قوله: «لو أن سربالاً من سراويل أهل النار علق بين السماء والأرض لمات أهل الدنيا من ريجه».

وقال الإمام علي^(ع): «.. فلو رأيتهم يا أحنف! ينحدرون في أوديتها، ويصعدون جبالها وقد ألبسوا القطعات من القطران، وأقرنوا مع فجارها، وشياطينها، فإذا استغاثوا من حريق شدت عليهم عقاربها وحياتها».

هـ - أشكال مختلفة من العذاب:

لقد تحدث القرآن الحكيم عن أشكال وألوان مختلفة من عذاب نار جنهم - بالإضافة إلى ما مر ذكره من صور العذاب - ومن هذه الأشكال نذكر ما يلي:

١ - قوله تعالى: ﴿.. وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾^(١) فقولته تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي تأتیه شدائد الموت وسكراته من كل موضع من جسده، ظاهره وباطنه حتى تأتیه من أطراف شعره، وقيل: يحضره الموت من كل موضع ويأخذه من كل جانب.. من فوقه ومن تحته، وعن يمينه وشماله، ومن قدامه

(١) سورة إبراهيم، ١٧.

وخلفه ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ أي ومع إتيان أسباب الموت والشدائد التي يكون معها الموت من كل جهة وأنواع العذاب التي كان يموت بدونها في الدنيا لا يموت فيستريح وهذا كقوله: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ﴾ أي وراء هذا الكافر ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ وهو الخلود في النار، وقيل: معناه ومن بعد هذا العذاب الذي سبق ذكره عذاب اشد وأوجع مما تقدم.

٢ - قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ^(١) فقوله: ﴿خُذُوهُ﴾ أي يقال للزبانية خذوا الأثيم الكافر ﴿فَاعْتِلُوهُ﴾ أي زعزعوه وادفعوه بعنف، وقيل: معناه جروه على وجهه ﴿إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ أي إلى وسط النار ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ﴾ قال مقاتل: إن خازن النار يمر به على رأسه فيذهب رأسه عن دماغه ثم يصب فيه ﴿مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ وهو الماء الذي قد انتهى حره ويقول له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ وذلك أنه كان يقول: أنا أعز أهل الوادي وأكرمهم، فيقول له الملك: ذق العذاب أيها المتعزز المتكرم في زعمك وفيما كنت تقول!.. وقيل: إنه على معنى النقيض فكأنه قيل: إنك أنت الذليل المهين، إلا أنه قيل على هذا الوجه للاستخفاف به!.. وقيل: إنك أنت العزيز في قومك، الكريم عليهم.. فما أغنى ذلك عنك.

٣ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ^(٢) فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ أي في ذهاب عن وجه النجاة وطريق الجنة في نار مسعرة،

(١) سورة الدخان، ٤٧ - ٤٩.

(٢) سورة القمر، ٤٧ - ٤٨.

وقيل: في ضلال: أي في هلاك وذهاب عن الحق، وسعر: أي عناء وعذاب ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾ أي يجرون ﴿فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ يعني أن هذا العذاب يكون لهم في يوم يجرمهم الملائكة فيه على وجوههم في النار، ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ يعني إصابتها إياهم بعذابها وحرها، وسقر: جهنم.. وقيل: هي باب من أبوابها.

٤ - قوله تعالى: ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (٤١) ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤٢) ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (٤٣) ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ (١) فقلوه تعالى: ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ أي بعلامتهم وهي سواد الوجوه وزرقة العيون وقيل: بإمارات الخزي ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ فتأخذهم الزبانية فتجمع بين نواصيهم وأقدامهم بالغل ثم يسحبون إلى النار ويقذفون فيها، وقيل: تأخذهم الزبانية بنواصيهم وبأقدامهم فتسوقهم إلى النار ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ﴾ أي ويقال لهم هذه جهنم ﴿الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ الكافرون في الدنيا قد أظهرها الله تعالى حتى زالت الشكوك فأدخلوها ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ أي يطوفون مرة بين الحميم ومرة بين الحميم، فالحميم النار، والحميم الشراب وقيل معناه: أنهم يعذبون بالنار مرة ويتجرعون من الحميم يصب عليهم ليس لهم من العذاب أبداً فرج، والآني: الذي انتهت حرارته، وقيل: الآني الحاضر.

٥ - قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ﴾ (٤١) ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ (٤٢) ﴿وَزُلْ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ (٤٣) ﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ (٢) .. فقلوه تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ﴾ وهم الذين يؤخذ بهم

(١) سورة الرحمن، ٤١ - ٤٤.

(٢) سورة الواقعة، ٤١ - ٤٤.

ذات الشمال إلى جهنم، أو الذين يأخذون كتبهم بشمالهم، أو الذين يلزمهم حال الشؤم والنكد ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ أي في ريح حارة تدخل مسامهم وخروقتهم، وفي ماء مغلي حار انتهت حرارته ﴿وَزِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ أي دخان أسود شديد السواد.. وقيل: اليحموم جبل في جهنم يستغيث أهل النار إلى ظله، ثم نعت ذلك الظل فقال: ﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ أي لا بارد المنزل ولا كريم المنظر.. وقيل: لا بارد يستراح إليه لأنه دخان جهنم، ولا كريم فيشتهى مثله.. وقيل: لا كريم أي ولا منفعة فيه بوجه من الوجوه.

٦ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا^(١).

في اللغة: الأنكال: القيود وأحدها نكل.. والغصة: تردد اللقمة في الحلق ولا يسيغها أكلها.

وفي التفسير: قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ أي عندنا قيوداً في الآخرة عظماً لا تفك أبداً.. وقيل: أغلالاً ﴿وَجَحِيمًا﴾ وهو اسم من أسماء جهنم.. وقيل: يعني ناراً عظيمة ولا يسمى القليل به ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ أي ذا شوك يأخذ الحلق فلا يدخل ولا يخرج وقيل: طعاماً يأخذ بالحلقوم لخشونته وشدة تكرهه.. وقيل: يعني الزقوم والضريع.. وروي عن حمران بن أعين عن عبد الله بن عمر أن النبي (ص) سمع قارئاً يقرأ هذه فصعق ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي عقاباً موجعاً مؤلماً.

٧ - ذقوله تعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٢٩) انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ

(١) سورة المزمل، ١٢ - ١٣.

كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣) وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١﴾.

وتفسير هذه الآية الكريمة: قوله تعالى: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ أي تقول لهم الخزنة اذهبوا وسيروا إلى النار التي كنتم تيجادونها وتكذبون بها ولا تعترفون بصحتها في الدنيا، والانطلاق الانتقال من مكان إلى مكان من غير مكث، ثم ذكر الموضع الذي أمرهم بالانطلاق إليه فقال: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ أي نار لها ثلاث شعب سماها ظلاً لسواد نار جهنم.. وقيل: هو دخان جهنم له ثلاث شعب تحيط بالكافر.. شعبة تكون فوقه، وشعبة عن يمينه، وشعبة عن شماله، وسمي الدخان ظلاً كما قال: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ أي من الدخان الآخر بالأنفاث.. وقيل يخرج من النار لسان فيحيط بالكافر كالسرادق فيتشعب ثلاث شعب فيكون فيها حتى يفرغ من الحساب.. ثم وصف سبحانه ذلك الظل ﴿لَا ظِلِّيلٍ﴾ أي غير مانع من الأذى يستره عنه، فظل هذا الدخان لا يغني الكفار شيئاً من حر النار وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ واللَّهَب ما يعلو على النار إذا اضطربت من أحمر وأصفر وأخضر، يعني أنهم إذا استظلوا بذلك الظل لم يدفع عنهم حر اللَّهَب.. ثم وصف سبحانه النار فقال ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾ وهو ما يتطاير من النار في الجهات ﴿كَالْقَصْرِ﴾ أي مثله في عظمه وتخويفه تتطاير على الكافرين من كل جهة.. ثم شبهه في لونه بالجمالات الصفر فقال: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ أي كأنها أنيق سود لما يعتري سوادها من الصفرة.. وقيل: لا ترى أسود من الإبل إلا وهو مشرب صفرة، ولذلك سمى العرب الإبل صفراء.. وقيل: هو من الصفرة لأن النار تكون صفراء ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بنار هذه صفتها!

(١) سورة المرسلات، ٢٩ - ٣٤.

٨ - قوله تعالى: ﴿كَأَلَّا لَيُبَدِّلَنَّا فِي الْحُطَمَةِ﴾ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (١)

في اللغة: الحطمة: الكثير الحطم أي الأكل، ورجل حطمة: أكل، وحطم الشيء إذا كسره وأذهبه.

في التفسير: فقوله تعالى: ﴿كَأَلَّا﴾ أي لا يخلده ماله ولا يبقى له.. وقيل: معناه ليس الأمر كما حسب ﴿لَيُبَدِّلَنَّا فِي الْحُطَمَةِ﴾ أي ليقذفن ويطحرن من وصفناه في الحطمة وهي اسم من أسماء جهنم وهي تحطم العظام وتأكل اللحوم حتى تهجم على القلوب ثم قال سبحانه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ تفخيماً لأمرها ثم فسرنا بقوله: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ أي المَوْجِجَةُ أضافها سبحانه إلى نفسه لنعلم أنها ليست كسائر النيران ثم وصفها بالإيقاد على الدوام ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ أي تشرف على القلوب فيبلغها ألمها وحريقها.. وقيل: معناه أن هذه النار تخرج من الباطن إلى الظاهر بخلاف نيران الدنيا ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ يعني أنها على أهلها مطبقة يطبق أبوابها عليهم تأكيداً للأياس من الخروج ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ وهي جمع عمود وقال أبو عبيدة: كلاهما جمع عماد، وهي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار.

وقال ابن عباس: هم في عمد أي في أغلال في أعناقهم يعذبون بها.

وعن حمران بن أعين عن أبي جعفر (ع) قال: «إن الكفار والمشركين يعيرون أهل التوحيد في النار ويقولون: ما نرى توحيدكم أغنى عنكم شيئاً وما نحن وأنتم إلا سواء. قال: فيأنف لهم الرب تعالى فيقول للملائكة: اشفعوا

(١) سورة الهمزة، ٤ - ٩.

فيشفعون لمن شاء الله، ثم يقول للنبيين: اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله، ثم يقول للمؤمنين: اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله، ويقول الله: أنا أرحم الراحمين، اخرجوا برحمتي كما يخرج الفراش، قال: ثم قال أبو جعفر^(ع): ثم مدت العمد وأوصدت عليهم وكان والله الخلود»^(١).

هذه لقطات سريعة من عذاب جهنم - نعوذ بالله منها - وما فيها من نكال وجحيم، وأغلال وسلاسل، ونوع الطعام والشراب الذي يعطى لأهل النار.. وهو عذاب في عذاب!

إننا بحاجة مستمرة لقراءة الآيات التي تتحدث عن النار، والتدبر فيها، والتعمق في أبعادها، وذلك كي نفكر مائة مرة بل ألف مرة قبل الإقدام على أي ذنب، أو ارتكاب أية جريمة، أو اقتراف أية رذيلة.

وإني أجزم أن أي قارئ للآيات الشريفة التي تتحدث عن النار، لن يرتكب كبيرة إذا كان يقرأ القرآن بقلب خاشع، وعقل واعٍ، وتفكير جاد.. والآن.. لنقرأ ما قاله أمير المؤمنين^(ع) عن النار.. ولنتأمل بعمق أبعاد كلامه^(ع) حيث يقول:

«.. وأما أهل المعصية فخذلهم (فخلدهم) في النار، وأوثق منهم الأقدام، وغلّ منهم الأيدي إلى الأعناق، وألبس أجسادهم سراويل القطران، وقطعت لهم منها مقطعات من النار، هم في عذاب قد اشتد حره، ونار قد أطبق على أهلها فلا يفتح عنهم أبداً، ولا يدخل عليهم ريحاً (ريح) أبداً ولا ينقضي منهم عمر (غم) أبداً، العذاب أبداً شديداً، والعقاب أبداً جديداً، لا الدار زائلة فتفنى، ولا آجال القوم تقضى، ثم حكى نداء أهل النار فقال: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ٨١٩.

رَبُّكَ ﴿ قَالَ: أَيُّ نَمُوتَ ، فيقول مالك: ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ ﴾... ﴿^(١).

أبواب جهنم:

ذكر القرآن الكريم أن للنار سبعة أبواب، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿^(٢).

قال الشيخ الطبرسي في تفسير هذه الآية الشريفة: قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي موعد إبليس ومن تبعه ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ فيه قولان: (أحدهما) ما روي عن أمير المؤمنين ^(ع) أن جهنم لها سبعة أبواب، أطباق بعضها فوق بعض، ووضع إحدى يديه على الأخرى فقال: هكذا، وأن الله وضع الجنان على العرض، ووضع النيران بعضها فوق بعض، فأسفلها جهنم، وفوقها لظى، وفوقها الحطمة، وفوقها سقر، وفوقها الجحيم، وفوقها السعير، وفوقها الهاوية. وفي رواية الكلبي: أسفلها الهاوية، وأعلاها جهنم.. وعن ابن عباس: أن الباب الأول جهنم، والثاني سقر، والثالث سقر، والرابع جحيم، والخامس لظى، والسادس الحطمة، والسابع الهاوية.

(والآخر): ما روي عن الضحاك قال: للنار سبعة أبواب وهي سبعة أدراك بعضها فوق بعض، فأعلاها فيه أهل التوحيد يعذبون على قدر أعمالهم وأعمارهم في الدنيا ثم يخرجون، والثاني فيه اليهود، والثالث فيه النصارى، والرابع فيه الصابئون، والخامس فيه المجوس، والسادس فيه مشركو العرب، والسابع فيه المنافقون وذلك قوله تعالى:

(١) البحار، ج ٨، ص ٢٩٢، رقم الحديث ٣٤.

(٢) سورة الحجر، ٤٣ - ٤٤.

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ والقولان متقاربان ﴿ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُنَّ ﴾ أي من الغاوين ﴿ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ أي نصيب مفروض.

وعلى هذا فيكون معنى الباب هو الطبقة وليس بمعنى المدخل، فقوله تعالى: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ أي لها سبع دركات وقد أيد هذا المعنى ما ورد في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (ع) في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ فوقوفهم على الصراط، وأما ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُنَّ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ فبلغني - والله أعلم - أن الله جعلها سبع دركات:

أعلاها الجحيم.. يقوم أهلها على الصفا منها، تغلي أدمغتهم فيها كغلي القدور بما فيها.

والثانية: لظى، نزاعة للشوى، تدعو من أدبر وتولى، وجمع فأوعى.

والثالثة: سقر، لا تبقي ولا تذر، لواحة للبشر، عليها تسعة عشر.

والرابعة: الحطمة، ومنها يثور شرر كالقصر، كأنها جمالات صفر، تدق كل من صار إليها مثل الكحل، فلا يموت الروح، كلما صاروا مثل الكحل عادوا.

والخامسة: الهاوية، فيها ملاء يدعون: يا مالك أغثنا، فإذا أغاثهم جعل لهم آنية من صفر من نار فيها صديد ماء يسيل من جلودهم كأنه مهل، فإذا رفعوه ليشربوا منه تساقط لحم وجوههم فيها من شدة حرها وهو قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يَسْتَعِثُّوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ ومن هوى فيها هوى سبعين عاماً في النار، كلما احترق جلده بدل جلدًا غيره.

والسادسة هي: السعير، فيها ثلاث مائة سرادق من نار، وفي كل سرادق ثلاث مائة قصر من نار، في كل قصر ثلاث مائة بيت من نار، في كل بيت ثلاث مائة لون من عذاب النار، فيها حيات من نار، وعقارب من نار، وجوامع من نار،

وسلاسل من نار، وأغلال من نار، يقول الله: ﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً﴾.

والسابعة: جهنم، وفيها الفلق وهو جب في جهنم إذا فتح أسعر النار سعراً، وهو أشد النار عذاباً، وأما صعوداً فجبل من صفر من نار وسط جهنم، وأما أناماً فهو وادٍ من صفر مذاب يجري حول الجبل فهو أشد النار عذاباً..^(١).

وعلى هذا فكون جهنم لها سبعة أبواب هو كون العذاب المعد فيها متنوعاً إلى سبعة أنواع، ثم انقسام كل نوع أقساماً حسب انقسام الجزء الداخل الماكث فيه، وذلك يستدعي انقسام المعاصي الموجبة للدخول فيها سبعة أقسام، وكذا انقسام المعاصي الموجبة للدخول فيها سبعة أقسام، وكذا انقسام الطرق المؤدية والأسباب الداعية إلى تلك المعاصي ذاك الانقسام، وبذلك يتأيد ما ورد من الروايات في هذه المعاني^(٢).

أهون الناس عذاباً:

النار دركات، وفي كل درك منها عذاب معين يتناسب وحجم المعاصي والذنوب التي اقترفها الداخل في النار، حيث يكون العقاب من جنس العمل.

وقد أوضحت الأحاديث الشريفة: أدنى أهل النار عذاباً فقد روي عن الرسول (ص) أنه قال: «أدنى أهل النار عذاباً يتنعل بنعلين من نار، يغلي

(١) البحار، ج ٨، ص ٢٨٩، رقم الحديث ٢٧.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٢، ص ١٧٠.. وانظر إلى الروايات في البحث الروائي، ص ١٧٥.

دماغه من حرارة نعليه»^(١). وعنه (ص) أيضاً قال: «إن أهون أهل النار عذاباً ابن جذعان، فقليل: يا رسول الله! وما بال ابن جذعان أهون أهل النار عذاباً قال: إنه كان يطعم الطعام»^(٢). وعن الإمام الصادق^(ع) قال: «إن أهون الناس عذاباً يوم القيامة لرجل في ضحضاح من نار، عليه نعلان من نار، وشراكان من نار، يغلي منها دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أن في النار أحداً أشد عذاباً منه، وما في النار أحد أهون عذاباً منه»^(٣).

أشد الناس عذاباً:

وأوضحت الأحاديث أيضاً أشد الناس عذاباً في النار، فقد روي عن النبي (ص) قوله: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه»^(٤). وعنه (ص) أيضاً قال: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً، أو قتلته نبي، وإمام ضلالة، وممثل من الممثلين»^(٥). وقال الإمام علي^(ع): «أشد الناس عقوبة، رجل كافأ الإحسان بالإساءة»^(٦). وعنه^(٧) قال: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة المتسخط لقضاء الله»^(٧).

(١) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٧١، رقم الحديث ٢٩١٥.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٧١، رقم الحديث ٢٩١٤.

(٣) البحار، ج ٨، ص ٢٩٥، رقم الحديث ٤٤.

(٤) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٧٢، رقم الحديث ٢٩١٦.

(٥) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٧٢، رقم الحديث ٢٩١٧.

(٦) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٧٢، رقم الحديث ٢٩١٨.

(٧) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٧٢، رقم الحديث ٢٩١٩.

المخلدون في النار:

هل كل من يدخل النار سيخلد فيها؟
بالطبع... لا.

وهل كل من يدخل النار سيخرج منها؟
أيضاً... لا.

إذن.. من الذي سيخلد في النار؟ ومن الذي سيخرج منها؟

ينص القرآن الحكيم، وكذلك الأخبار والروايات الواردة عن النبي (ص) وأهل بيته^(١) إلى أن هناك من يدخل النار ويخلد فيها، وهناك من يدخل النار ويخرج منها.

فمن هم الذين سيخلدون في النار؟ ومن هم الذين سيدخلون النار ثم يخرجون منها؟!

ففي القرآن الكريم نقرأ هذه الآيات الشريفة:

١ - قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١). ومعنى الآية: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي جحدوا ﴿وَكَذَّبُوا﴾ بآياتنا ﴿أي دلاتنا وما أنزلناه على الأنبياء﴾ ﴿وَلِئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أي الملائمون للنار ﴿هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي دائمون، وفي هذه الآية دلالة على أن من مات مصراً على كفره غير تائب منه وكذب بآيات ربه فهو مخلد في نار جهنم.

٢ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢)، فقله: ﴿وَأُولَئِكَ

(١) سورة البقرة، ٣٩.

(٢) سورة آل عمران، ١١٦.

أَصْحَابُ النَّارِ ﴿ فَإِنَّمَا سَمُوا بِذَلِكَ لِمَا لَزَمَتْهُمْ فِيهَا ﴾ ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ أي دائمون ، وفي هذه الآية أيضاً دلالة واضحة على أن الكفار مخلدون في النار.

٣ - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ ^(١). وفي هذه الآية أشار الله تعالى إلى أن مصير الكفار والظلمة هو نار جهنم ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ﴾ معناه: لكن يهديهم طريق جهنم جزاءً لهم على ما فعلوه من الكفر والظلم ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ أي مقيمين فيها، غير خارجين منها ﴿ وَكَانَ ذَلِكَ ﴾ أي تخليد هؤلاء الذين وصفهم في جهنم ﴿ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ لأنه إذا أراد ذلك لم يقدر على الامتناع منه أحداً.

٤ - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ^(٢) ولعن الكفار إبعادهم من الرحمة، والإعداد التهيئة، والسعير النار التي أشعلت فالتهمت، وقوله تعالى: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ فيها دلالة واضحة على الخلود الأبدي في النار، ﴿ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ الفرق بين الولي والنصير، أن الولي يلي بنفسه تمام الأمر والمولى عليه بمعزل، والنصير يعين المنصور على بعض الأمر وهو إتمامه، فالولي يتولى الأمر كله، والنصير يتصدى لبعضه.

٥ - قوله تعالى: ﴿ .. وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴾ ^(٣) ومعنى الآية: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي خالف أمره في

(١) سورة النساء، ١٦٨ - ١٦٩.

(٢) سورة الأحزاب، ٦٤ - ٦٥.

(٣) سورة الجن، ٢٣.

التوحيد وارتكب الكفر والمعاصي ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾^(١) جزاءً على ذلك، وفي الآية دلالة على الخلود الأبدي في النار للكفار.

٦ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَابَا (٢٢) لَا بُدَّ فِيهَا أَحْقَابًا﴾^(٢) فقوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ أي طريقاً منصوباً على العاصين فهو مورد لهم ومنهلهم وهذا إشارة إلى أن جهنم للعصاة على الرصد لا يفوتونها ﴿لِلطَّاغِينَ مَابَا﴾ أي للذين جاوزوا حدود الله وطغوا في معصية الله مرجعاً يرجعون إليه ومصيراً فكأن المجرم قد كان بإجرامه فيها ثم رجع إليها ﴿لَا بُدَّ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ الأحقاب: السنين، والحقب ثمانون سنة، والسنة عددها ثلاثة مائة وستون يوماً، واليوم كآلف سنة مما تعدون!

والمعني في الآية هم أهل التوحيد، فعن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص): «لا يخرج من النار من دخلها حتى يمكث فيها أحقاباً، والحقب بضع وستون سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم كآلف سنة مما تعدون، فلا يتكلم أحد أن يخرج من النار»^(٣). وعن حمran بن أعين قال: سألت أبا عبد الله^(٤) عن قول الله: ﴿لَا بُدَّ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ قال: «هذه في الذين يخرجون من النار»^(٥).

إذن.. هذه الآية الكريمة تدل على أن هناك من الناس من يدخلون النار ثم بعد المكث فيها أحقاباً يخرجون منها.. وهؤلاء هم المذنبون من أهل التوحيد.

أما في السنة الشريفة فقد وردت روايات كثيرة عن النبي (ص)

(١) سورة النبأ، ٢١ - ٢٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ٦٤٣.

(٣) البحار، ج ٨، ص ٢٩٥، رقم الحديث ٤٥.

وأهل بيته^(ع) تشير إلى من سيخلد في النار، ومن سيدخلها ثم يخرج منها.. ومن هذه الروايات ما يلي:

١ - عن النبي (ص) قال: «إن الله لا يعذب من عباده إلا المارد والمتمرد على الله، إلى أن يقول: لا إله إلا الله»^(١).

٢ - وعنه (ص) قال: «لن يلج النار من مات لا يشرك بالله شيئاً، وكان يبادر صلاته قبل طلوع الشمس وقبل غروبها»^(٢).

٣ - وعنه (ص) أيضاً قال: «خمسة لا تطفأ نيرانهم ولا تموت أبدانهم: رجل أشرك، ورجل عَقَّ والديه، ورجل سعى بأخيه إلى السلطان فقتله، ورجل قتل نفساً بغير نفس، ورجل أذنب ذنباً وحمل ذنبه على النار»^(٣).

٤ - «فيما أوحى إلى عيسى عليه السلام»: «.. هي (يعني النار) دار الجبارين والعتاة الظالمين، وكل فظ غليظ، وكل مختال فخور»^(٤).

٥ - وعن الإمام الصادق^(ع) قال: «إن الله تبارك وتعالى أقسم بعزته وجلاله أن لا يعذب أهل توحيده بالنار أبداً»^(٥).

٦ - وعن الإمام الباقر^(ع) قال: «لا يخلد الله في النار إلا أهل الكفر والجحود، وأهل الضلال والشرك، ومن اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصغائر»^(٦).

(١) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٧٤، رقم الحديث ٢٩٢٤.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٧٤، رقم الحديث ٢٩٢٥.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٧٥، رقم الحديث ٢٩٣٢.

(٤) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٧٤، رقم الحديث ٢٩٢٦.

(٥) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٧٤، رقم الحديث ٢٩٢٧.

(٦) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٧٥، رقم الحديث ٢٩٣١.

٧ - وعن الإمام الرضا^(ع) قال: «إن الله لا يدخل النار مؤمناً وقد وعده الجنة، ولا يخرج من النار كافراً وقد أوعده النار والخلود فيها، ومذنبو أهل التوحيد يدخلون النار ويخرجون منها، والشفاعة جائزة لهم»^(١).

٨ - وعن الرسول الأعظم محمد بن عبدالله (ص) أنه قال: «يخرج الله قوماً من النار فيدخلهم الجنة»^(٢).

٩ - وعنه (ص) أيضاً قال: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»^(٣).

١٠ - وعن الإمام الباقر^(ع) قال: «إن قوماً يحرقون في النار حتى إذا صاروا حمماً أدركتهم الشفاعة»^(٤).

١١ - وعن الإمام الصادق^(ع) قال: «إنما خلد أهل النار في النار لأن نياهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنما خلد أهل الجنة في الجنة لأن نياهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء، ثم تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ قال: على نيته»^(٥).

ويستفاد مما مضى.. أن الذي يخلد في النار هو الكافر والمشرک والجاحد والظالم.. أما الموحد فإنه إذا أدخل النار فإنه لا يخلد فيها، بل يمكث فيها أحقاباً ثم يخرج بعد ذلك.

(١) البحار، ج ٨، ص ٣٦٢، رقم الحديث ٣٦.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٧٧، رقم الحديث ٢٩٣٨.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٧٧، رقم الحديث ٢٩٤١.

(٤) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٧٧، رقم الحديث ٢٩٤٠.

(٥) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٧٨، رقم الحديث ٢٩٤٣.

ومن المفيد هنا أن ننقل بعض آراء العلماء في هذا الموضوع:

يقول المحقق المجلسي: اعلم أن الذي يقتضيه الجمع بين الآيات والأخبار أن الكافر والمنكر لضروري من ضروريات دين الإسلام مخلد في النار، ولا يخفف عنه العذاب إلا المستضعف الناقص في عقله، أو الذي لم يتم عليه الحجة، ولم يقصر في الفحص والنظر، فإنه يحتمل أن يكون من المرجون لأمر الله.

وقال العلامة (رحمه الله) في شرحه على التجريد: أجمع المسلمون كافة على أن عذاب الكافر مؤبد لا ينقطع، واختلفوا في أصحاب الكبائر من المسلمين فالوعيدية^(١) على أنه كذلك، وذهبت الإمامية وطائفة كثيرة من المعتزلة والأشاعرة إلى أن عذابه منقطع، والحق أن عقابهم منقطع^(٢).

وقال الفقيه الفاضل المقداد السيوري في شرحه للباب الحادي عشر للعلامة الحلي: في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أولئك يستحقون الثواب الدائم مطلقاً، والذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك يستحقون العقاب الدائم مطلقاً، والذي آمن وخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فإن كان السيئ صغيراً فذلك يقع مغفوراً إجماعاً، وإن كان كبيراً فإما أن يوافي بالتوبة فهو من أهل الثواب مطلقاً إجماعاً، وإن لم يواف بها فإما أن يستحق ثواب إيمانه أو لا، والثاني باطل لاستلزامه الظلم، ولقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ فتعين الأول، فأما أن يثاب ثم يعاقب، وهو باطل بالإجماع، على أن من دخل الجنة لا يخرج منها، فحينئذ يلزم بطلان العقاب، أو يعاقب ثم يثاب وهو المطلوب،

(١) الوعيدية فرقة من الخوارج يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة.

(٢) انظر تمام البحث في البحار، ج ٨، ص ٣٦٣.

ولقوله عليه السلام في حق هؤلاء: «يخرجون من النار وهم كالحميم أو الفحم فيراهم أهل الجنة فيقولون هؤلاء: جهنميون، فيؤمر بهم فيغمسون في عين الحيوان فيخرجون ووجوههم كاللبد في ليلة تمامه».

وأما الآيات الدالة على عقاب العصاة والفجار وخلودهم في النار، فالمراد بالخلود هو المكث الطويل، واستعماله بهذا المعنى كثير. ثم اعلم: أن صاحب الكبيرة إنما يعاقب إذا لم يحصل له أحد الأمرين:

الأول: عفو الله فإن عفوهُ مرجو متوقع، خصوصاً وقد وعد به في قوله تعالى: ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾، ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ وخلف الوعد غير مستحسن من الجواد المطلق، ولتمدحه بأنه غفور رحيم، وليس ذلك متوجهاً إلى الصغائر ولا إلى الكبائر بعد التوبة للإجماع على سقوط العقاب فيهما فلا فائدة في العفو حينئذٍ فتعين أن يكون للكبائر قبل التوبة.. وذلك هو المطلوب.

الثاني: شفاعة نبينا رسول الله (ص) فإن شفاعته متوقعة، بل واقعة لقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

وصاحب الكبيرة مؤمن لتصديقه بالله ورسوله (ص) وإقراره بما جاء به النبي (ص) وذلك هو الإيمان.. هذا مع قوله (ص): «ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

واعلم: أن مذهبنا أن الأئمة عليهم السلام لهم الشفاعة في عصاة شيعتهم كما هو لرسول الله (ص) من غير فرق لإخبارهم^(ع) بذلك مع

عصمتهم النافية للكذب عنهم^(١).

فالمستفاد من كل ما مضى توضيحه: أن الكافر المحض والمشارك بالله مخلد في النار أبد الآبدين، وأن العذاب مؤبد لا ينقطع.

وأما العصاة من المسلمين والمؤمنين: فإن كان المذنب من أصحاب الصغائر فمغفوه عنه إجماعاً، وإن كان المذنب من أصحاب الكبائر فإنه يدخل النار أولاً، ويعاقب على أعماله السيئة أحقاباً من الزمن ﴿لَا يَتَيْنِ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ ثم يخرج من النار ويدخل الجنة، فعقاب صاحب الكبيرة منقطع، هذا بالطبع إذا لم يلحقه عفو الله عز وجل، ولم تشملته شفاعة النبي (ص) والأئمة^(٢)، وإلا إذا حصل له أحد الأمرين فإنه يدخل الجنة ابتداءً.

وعلى كل حال.. يجب على الإنسان المؤمن أن يجتهد في القيام بالأعمال الصالحة، والاجتناب عن ارتكاب الموبقات والردائل والمعاصي، فإن عقاب الله شديد، وعذابه عظيم ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٣).

ذبح الموت:

وبعد أن يدخل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.. يأتي دور الموقف الأخير والحاسم والمثير ألا وهو: ذبح الموت!.. فلا موت بعد ذلك أبداً، بل الخلود إن في الجنة وإلا ففي النار.

(١) النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، ص ١٢٣.

(٢) سورة البقرة، ٢٤ - ٢٥.

يقول الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١) الخطاب للنبي (ص) والمعنى خوف يا محمد كفار مكة يوم يتحسر المسيء هلا أحسن العمل، والمحسن هلا ازداد من العمل وهو يوم القيامة، وقيل: إنما يتحسر المستحق للعقاب، فأما المؤمن فلا يتحسر، فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ص): «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.. قيل: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون.. وقيل: يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيجاء بالموت كأنه كبش أملح فيقال لهم: تعرفون الموت، فيقولون: هذا، هذا، وكل قد عرفه، قال: فيقدم فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت. وقال: وذلك قوله: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾».

وروي الحديث كذلك عن أبي جعفر^(ع) وأبي عبد الله^(ع) ثم جاء في آخره: «فيفرح أهل الجنة فرحاً لو كان أحد يومئذ ميتاً لمتوا فرحاً، ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد ميتاً لمتوا».

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي فرغ من الأمر، وانقطعت الآمال، وأدخل قوم النار وقوم الجنة، وقيل: معناه انقضى أمر الدنيا فلا يرجع إليها الاستدراك الفائت. وقيل معناه حكم بين الخلائق بالعدل، وقيل: قضى على أهل الجنة بالخلود، وقضى على أهل النار بالخلود ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ في الدنيا عن ذلك، ومعناه: أنهم مشغولون اليوم بما لا يعينهم غافلون عن أحوال الآخرة ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لا يصدقون بذلك.

وقد جاء في الأخبار عن ذبح الموت عدة روايات.. منها:

١ - عن أبي جعفر^(ع) قال: «إذا أدخل الله أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جيء بالموت في صورة كبش حتى يوقف بين الجنة والنار، قال: ثم ينادي مناد

(١) سورة مريم، ٣٩.

يسمع أهل الدارين جميعاً: يا أهل الجنة، يا أهل النار، فإذا سمعوا الصوت أقبلوا، قال: فيقال لهم: أتدرون ما هذا؟ هذا هو الموت الذي كنتم تخافون منه في الدنيا، قال: فيقول أهل الجنة: اللهم لا تدخل الموت علينا، قال: ويقول أهل النار: اللهم أدخل الموت علينا، قال: ثم يذبح كما تذبح الشاة، قال: ثم ينادي مناد: لا موت أبداً، أيقنوا بالخلود، قال: فيفرح أهل الجنة فرحاً لو كان أحد يومئذ يموت من فرح لمتوا، قال: ثم قرأ هذه الآية: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ قال: ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد يموت من شهيق لمتوا، وهو قول الله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾^(١).

٢ - وعن أبي بصير، عن أبي جعفر^(ع) قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار جيء بالموت فيذبح، ثم يقال: خلود فلا موت أبداً»^(٢).

٣ - وعن أبي عبد الله^(ع) قال: «يوم الحسرة يوم يؤتى بالموت فيذبح»^(٣).

٤ - وعن أبي ولاد الحنّاط، عن أبي عبد الله^(ع) قال: سئل عن قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ قال: «ينادي مناد من عند الله - وذلك بعدما صار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار - يا أهل الجنة، ويا أهل النار.. هل تعرفون الموت في صورة من الصور؟! فيقولون: لا، فيؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، ثم ينادون جميعاً: أشرفوا وانظروا إلى الموت، فيشرفون، ثم يأمر الله به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت أبداً، ويا أهل النار خلود فلا موت أبداً، وهو قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ أي قضى على أهل الجنة بالخلود فيها، وقضى على أهل

(١) البحار، ج ٨، ص ٣٤٥، رقم الحديث ٢.

(٢) البحار، ج ٨، ص ٣٤٧، رقم الحديث ٦.

(٣) البحار، ج ٨، ص ٣٤٥، رقم الحديث ١.

النار بالخلود فيها»^(١).

وهكذا.. بذبح الموت تبدأ حياة جديدة، فأهل الجنة في الجنة منعمون بشتى النعم، سعداء بما هم فيه من نعيم دائم، وبما حصلوا عليه من سعادة أبدية، أما أهل النار فهم في عذاب مستمر، يعيشون العذاب والنكال والجحيم، إنهم الأشقياء حقاً!

وبذبح الموت.. يخلد أهل الجنة في الجنة.. ويخلد الكفار في النار.. وهذا مما أجمع عليه المسلمون.. ولم يشذ عن هذا الرأي إلا شريحة قليلة لا يعتد بهم.

نسأل الله عز وجل أن يدخلنا الجنة، وأن يرزقنا نعيمها وحوورها وقصورها وحبورها وسرورها، كما نسأله تبارك وتعالى أن يعتق رقابنا من النار بحق محمد وآله الأطهار.

دعاء:

ونختتم هذا الفصل بهذا الدعاء الذي يستحب قراءته في كل ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك.. وهذا نصه:

«اللهم برحمتك في الصالحين فأدخلنا، وفي عليين فارفعنا، وبكأس من معين من عين سلسيل فاسقنا، ومن الحور العين برحمتك فزوجنا، ومن الولدان المخلدين كأنهم لؤلؤ مكنون فأخدمنا، ومن لحوم الطير وثمار الجنة فأطعمنا، ومن ثياب السندس والحرير والإستبرق فأكسنا، وليلة القدر وحج بيتك الحرام، وقتلاً في سبيلك مع وليك، فوفق لنا، وصالح الدعاء والمسألة فاستجب لنا، يا خالقنا اسمع واستجب لنا، وإذا جمعت الأولين والآخريين يوم القيامة فارحمنا، وبراءة من

(١) البحار، ج ٨، ص ٣٤٦، رقم الحديث ٤.

النارِ وأماناً من العذابِ فاكتبِ لنا، وفي جهنمَ فلا تُغَلِّنا، وفي عذابِكَ وهوانِكَ فلا
تَبْتَلِنَا، ومن الرِّقُومِ والصَّرِيحِ فلا تُطْعِمْنَا، ومع الشياطينِ فلا تجعلنا، وفي النَّارِ على
وجوهنا فلا تُكَبِّنَا، ومن ثيابِ النارِ وسراويلِ القَطْرَانِ فلا تُلبِسْنَا، ومن كلِّ سوءٍ يا
لا إلهَ إلا أنت، بحقِّ لا إلهَ إلا أنت فَنجِّنا، آمين آمين».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصلَّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

ثبت المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - آل كاشف الغطاء، محمد الحسين، أصل الشيعة وأصولها، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٢ - ١٩٨٢م.
- ٣ - أمين، أحمد، التكامل في الإسلام، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٤ - ابن أبي طالب، الإمام علي، نهج البلاغة، شرح محمد عبده، دار البلاغة - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٥ - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٦ - البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي، صحيح البخاري، دار القلم - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٧ - الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، المكتبة الإسلامية، استانبول - تركيا.

- ٨ - الجزائري، السيد نعمة الله، زهر الربيع، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٩ - الحسيني، محمد رضا، كيف نفهم القرآن، دار الفردوس - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٠ - الحكيمي، محمد رضا، ومحمد، وعلي، الحياة، الدار الإسلامية - بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٩هـ.
- ١١ - الحلبي، أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف، النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، شرح الفقيه الفاضل المقداد السيوري، دار الأضواء - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- ١٢ - الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي، البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- ١٣ - الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي، منهاج الصالحين، دار أسامة للنشر والتوزيع والطباعة - دمشق، الطبعة العشرون.
- ١٤ - دستغيب، السيد عبد الحسين، عقائد ومفاهيم، دار البلاغة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ١٥ - الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ١٦ - ري شهري، محمد محمدي، ميزان الحكمة، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الثانية.
- ١٧ - الزنجاني، السيد إبراهيم الموسوي، عقائد الإمامية الاثني عشرية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ١٨ - زين العابدين، الإمام علي بن الحسين، الصحيفة السجادية الكاملة، دار الأضواء، الطبعة الرابعة ١٤١١هـ - ١٩٨٢م.

- ١٩ - سلامة، بسام، الإيمان بالغيب، مكتبة المنار، منشورات دار السلام - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٢٠ - الشافعي، أبو عبدالله محمد بن إدريس، ديوان الشافعي، جمعه وعلق عليه محمد عفيف الزعبي، دار الجليل - بيروت.
- ٢١ - شبر، السيد عبدالله، تسليية الفؤاد، مؤسسة الوفاء - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٢٢ - الشرباصي، د. أحمد، موسوعة أخلاق القرآن، دار الرائد العربي - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٢٣ - الشيرازي، السيد حسن مهدي، حديث رمضان، الشرق الأوسط للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٢٤ - الشيرازي، السيد محمد مهدي، الصياغة الجديدة.
- ٢٥ - الشيرازي، السيد محمد مهدي، المسائل الإسلامية.
- ٢٦ - الشيرازي، السيد محمد مهدي، حول القرآن الكريم، دار العلوم - بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- ٢٧ - الشيرازي، السيد محمد مهدي، عبادات الإسلام، مؤسسة الفكر الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٢٨ - الصدر، السيد محمد باقر، بحوث إسلامية، دار الزهراء - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ - ١٩٩١.
- ٢٩ - الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- ٣٠ - الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
- ٣١ - الطبرسي، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير

- القرآن، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٣٢ - الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، حققه وعلق عليه السيد حسن الخراسان، دار الأضواء - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- ٣٣ - عبد الصمد، محمد كامل، ثبت علمياً، الدار المصرية اللبنانية - القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٣٤ - العقاد، عباس محمود، الفلسفة القرآنية، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.
- ٣٥ - القشيري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار الكتب العامة - بيروت، طبع عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- ٣٦ - قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت، الطبعة العاشرة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ٣٧ - قطب، سيد، معالم في الطريق، دار الشروق - بيروت.
- ٣٨ - كاريل، ألكسيس، الإنسان ذلك المجهول، مكتبة المعارف - بيروت، طبع عام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٣٩ - الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، أصول الكافي، تحقيق الشيخ محمد جواد الفقيه، فهرسة وتصحيح الدكتور يوسف البقاعي، دار الأضواء - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٤٠ - الكيلاني، نجيب، الصوم والصحة، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ٤١ - المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار، مؤسسة أهل البيت، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٤٢ - مرعي، حسين، القاموس الفقهي، دار المجتبى - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

- ٤٣ - مطهري، مرتضى، الدين شمس لن تغيب، دار الزهراء - بيروت،
الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ٤٤ - المظفر، الشيخ محمد رضا، عقائد الإمامية، دار الصفوة - بيروت،
الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٤٥ - مغنية، الشيخ محمد جواد، الإسلام بنظرة عصرية، دار التيار الجديد -
بيروت، الطبعة الثانية ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ٤٦ - مغنية، الشيخ محمد جواد، الشيعة والتشيع، دار التيار الجديد،
الطبعة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٤٧ - مغنية، محمد جواد، أهل البيت منزلتهم مبادئهم عند المسلمين، دار
التيار الجديد - بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٤٨ - مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة، دار الكتاب الإسلامي -
بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٢م.
- ٤٩ - مغنية، محمد جواد، مذاهب فلسفية، دار ومكتبة الهلال - بيروت -
لبنان.
- ٥٠ - المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان، تصحيح الاعتقاد بصواب
الانتقاد، دار الكتاب الإسلامي - بيروت، طبع عام ١٤٠٣هـ -
١٩٨٣م.
- ٥١ - المنتظري، الشيخ حسين، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة
الإسلامية، الدار الإسلامية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ -
١٩٨٨م.
- ٥٢ - المهاجر، عبد الحميد، الأيديولوجية الإسلامية، مؤسسة الوفاء -
بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٥٣ - النيسابوري، محمد بن الفتال، روضة الواعظين، مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات - بيروت.

- ٥٤ - الهندي، علاء الدين المتقي بن حسام الدين، كثر العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة - بيروت، طبع عام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٥٥ - هوفمان، فيلفرد مراد، الإسلام هو البديل، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٥٦ - اليزدي، السيد محمد كاظم، العروة الوثقى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٥٧ - يماني، د. محمد عبده، علموا أولادكم محبة آل بيت النبي، دار القبلية للثقافة الإسلامية - جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

ثانياً: المجلات والجرائد:

- ١ - جريدة الخليج، تصدر عن دار الخليج للصحافة والطباعة والنشر - الشارقة، العدد ٥٤٢٢، تاريخ ٦/١٠/١٤١٤هـ - الموافق ١٨/٣/١٩٩٤م.
- ٢ - جريدة الشرق الأوسط، تصدرها الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة - لندن، العدد ٥١٥٣، تاريخ ٦/١/١٩٩٣م.
- ٣ - مجلة العربي، تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد ٤٢٦.
- ٤ - مجلة الكلمة، تصدر فصلياً عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث - بيروت، العدد ٢.

الفهرس

فهرس إجمالي

المقدمة.....	٥
الفصل الأول: أفكار عقدية.....	١١
الدين والإنسان.....	١٣
الدين والعلم.....	٢٧
خصائص الدين الإسلامي.....	٤١
فضل أهل البيت.....	٥١
القضاء والقدر.....	٦١
فوائد الاعتقاد بالبداء.....	٧٥
الفصل الثاني: أفكار تشريعية.....	٨٧
الثقافة الفقهية.....	٨٩
القرآن الكريم منهج حياة.....	٩٧
الصلاة عمود الدين.....	١١٣
الحج مدرسة تربوية.....	١٢٥
فلسفة الخمس.....	١٣٣
رمضان شهر التغيير.....	١٣٩

١٥٩	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
١٧٥	الفصل الثالث: أفكار ميتافيزيقية
١٧٧	الإيمان بالغيب
٢٠٣	عالم البرزخ
٢٢٥	مشاهد يوم القيامة
٢٧١	هذه هي الجنة
٣٠٥	تعرف على نار جهنم
٣٤٣	ثبت المصادر والمراجع
٣٥١	الفهرس
٣٥٣	فهرس إجمالي
٣٦١	فهرس تفصيلي

فهرس تفصيلي

المقدمة.....	٥
الفصل الأول: أفكار عقدية.....	١١
الدين والإنسان.....	١٣
مفهوم الدين.....	١٤
الدين والفطرة.....	١٥
١ — البعد المادي.....	١٥
٢ — البعد الفطري.....	١٦
حقائق دامغة.....	١٧
١ — الغريزة الدينية.....	١٧
٢ — الحاجات الروحية والنفسية.....	١٩
٣ — الآثار التاريخية.....	٢١
الدفاع عن العقيدة.....	٢٢
الدين والعلم.....	٢٧
لماذا لا يغني العلم عن الدين؟.....	٢٩
١ — العلم لا يلبي كل الحاجات الإنسانية.....	٢٩
٢ — محدودية العلم.....	٣١

٣٢	٣ — العلم والخطأ
٣٤	٤ — فشل العلم في إسعاد الإنسان ..
٣٦	العلم يدعو إلى الدين
٤١	خصائص الدين الإسلامي
٤٣	الخصائص الأساسية
٤٣	١ — الربانية
٤٤	٢ — الإنسانية
٤٥	٣ — الشمولية
٤٦	٤ — المرونة
٤٨	٥ — العالمية
٤٩	المستقبل لهذا الدين
٥١	فضل أهل البيت
٥٦	كيف نحب أهل البيت؟
٦١	القضاء والقدر
٦٢	معنى القضاء
٦٢	أ — المعنى اللغوي
٦٢	ب — المعنى القرآني
٦٣	معنى القدر
٦٣	أ — المعنى اللغوي
٦٤	ب — المعنى القرآني
٦٤	مفهوم القضاء والقدر
٦٦	لا جبر ولا تفويض
٧١	البهلول يلقن الخطيب درساً لا يُنسى
٧٣	معطيات هامة
٧٥	فوائد الاعتقاد بالبداء
٧٦	تعريف البداء
٧٧	النسخ والبداء
٧٨	القضاء والبداء

كتابان	٨١
الأول: كتاب اللوح المحفوظ	٨١
الثاني: كتاب المحو والإثبات	٨١
فوائد الاعتقاد بالبداء	٨٣
الفصل الثاني: أفكار تشريعية	٨٧
الثقافة الفقهية	٨٩
معنى الفقه	٨٩
أهمية الثقافة الفقهية	٩٠
١ — الواجب الشرعي	٩٠
٢ — فهم الإسلام	٩٢
٣ — القيمة الحقوقية	٩٤
٤ — تنمية الثقافة العامة	٩٥
القرآن الكريم منهج حياة	٩٧
المصدر الأول للتشريع	٩٨
القرآن.. كتاب حياة	١٠٠
الواقع والمفروض	١٠٢
١ — القراءة السطحية	١٠٣
٢ — الثقافة للثقافة	١٠٤
٣ — الفهم التحليلي والمصلحي	١٠٦
٤ — الاستفادة المحدودة	١٠٨
٥ — الاهتمامات الجزئية	١١٠
الصلاة عمود الدين	١١٣
عقاب تارك الصلاة	١١٥
فوائد الصلاة	١١٧
١ — الفوائد الروحية	١١٧
٢ — الفوائد النفسية	١١٨
٣ — الفوائد الصحية	١٢١
الحج مدرسة تربوية	١٢٥

١٢٧	فضل الحج
١٢٩	تربية النفس
١٣٣	فلسفة الخمس
١٣٤	فلسفة الخمس
١٣٥	١ — امتحان المؤمن
١٣٦	٢ — تطهير المال
١٣٧	٣ — تقوية بيت المال
١٣٩	رمضان شهر التغيير
١٤٢	مميزات شهر رمضان
١٤٢	١ — رمضان سيد الشهور
١٤٣	٢ — رمضان شهر العبادة
١٤٤	٣ — رمضان شهر المغفرة
١٤٦	٤ — رمضان شهر المستقبل
١٤٧	فوائد الصوم
١٤٧	١ — بناء النفس
١٥٠	٢ — بناء الإرادة
١٥١	٣ — بناء العقل
١٥٣	٤ — بناء الجسم
١٥٩	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
١٦١	تعريف المعروف
١٦٢	تعريف المنكر
١٦٣	شروط الأمر والنهي
١٦٣	١ — العلم بالمعروف والمنكر
١٦٤	٢ — احتمال التأثير
١٦٤	٣ — الإصرار على ترك الواجب وفعل المنكر
١٦٤	٤ — انتفاء الضرر
١٦٥	مراتب الأمر والنهي
١٦٥	١ — الإنكار بالقلب

١٦٦	٢ — الإنكار باللسان
١٦٦	٣ — الإنكار باليد
١٦٧	فلسفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
١٦٧	١ — المسؤولية الجماعية
١٦٩	٢ — تحذير القيم الدينية
١٧٠	٣ — تعميم الفضائل
١٧١	٤ — منع الرذائل
١٧٥	الفصل الثالث: أفكار ميتافيزيقية
١٧٧	الإيمان بالغيب
١٧٩	معنى الغيب
١٨١	تعريف الميتافيزيقا
١٨١	الموحدون والملحدون
١٨٩	معطيات الإيمان بالغيب
١٨٩	١ — الوازع الديني
١٩١	٢ — العمل من أجل الآخرة
١٩٤	٣ — الصحة النفسية
١٩٨	٤ — الاستقرار الاجتماعي
٢٠٣	عالم البرزخ
٢٠٤	معنى البرزخ
٢٠٦	لفت نظر
٢٠٦	بقاء الروح بعد الموت
٢١٢	حساب القبر
٢١٥	نعيم البرزخ وعذابه
٢٢١	ما ينفع الميت في قبره
٢٢٣	من مات في ليلة الجمعة أو يومها
٢٢٥	مشاهد يوم القيامة
٢٣٠	فناء الدنيا وقيام الساعة
٢٣٢	صور مفزعة!

٢٣٢	١ — نفخة الصعق
٢٣٤	٢ — زلزلة الأرض
٢٣٧	٣ — دك الأرض
٢٣٨	٤ — نسف الجبال
٢٣٩	٥ — انفجار البحار
٢٤١	٦ — انكدار النجوم
٢٤٢	٧ — انشقاق السماء
٢٤٣	٨ — نفخة القيام
٢٤٧	المشاهد الرئيسة
٢٤٧	المشهد الأول: المحشر
٢٥٣	المشهد الثاني: نصب الموازين
٢٥٨	المشهد الثالث: محاسبة الناس
٢٦٢	المشهد الرابع: نشر الكتب وإنطاق الجوارح
٢٦٦	المشهد السادس: عبور الصراط
٢٧١	هذه هي الجنة
٢٧٤	اعتقادنا في الجنة
٢٧٦	ثمن الجنة
٢٧٨	هؤلاء يدخلون الجنة
٢٨٠	هؤلاء لا يدخلون الجنة
٢٨٢	مخطط الجنة
٢٨٦	نعيم الجنة
٢٩٣	معلومات عن الحور العين
٣٠٠	الغناء في الجنة
٣٠٣	نهاية الرحلة
٣٠٥	تعرف على نار جهنم
٣١٠	اعتقادنا في النار
٣١٢	صور من عذاب جهنم
٣١٢	١ — طعام أهل النار

٢ — شراب أهل النار	٣١٤
٣ — سلاسل وأغلال	٣١٨
٤ — سراويل القطران	٣١٩
٥ — أشكال مختلفة من العذاب	٣٢١
أبواب جهنم	٣٢٧
أهون الناس عذاباً	٣٣٠
أشد الناس عذاباً	٣٣١
المخلدون في النار	٣٣١
ذبح الموت	٣٣٩
دعاء	٣٤٢
ثبت المصادر والمراجع	٣٤٣
الفهرس	٣٥١
فهرس إجمالي	٣٥٣
فهرس تفصيلي	٣٦١